المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المعهد العالي للدعوة الإسلامية

المغول والدعوة الإسلامية

في القرنين السابع والثامن الهجريين

رسالة (ماجستير)

أعدها

إسماعيل عبد العزيز الخالدي

بإشراف الدكتورين

أحمد محمد العسال و عبد الستار فتح الله سعيد

الأستاذين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الحمد الجميل والثناء الحسن ، سبحانه لا نحصي ثناء عليه . اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت إذا شئت تجعل الحَزْنَ سهلا ، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين وبعد .

فقد أخرجنا الله تعالى بالإسلام من الظلمات إلى النور ، وجعلنا به خير أمة أخرجت للناس ، وأدال لهذه الأمة الدول والشعوب ، وأظهر دينه وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده . ثم دب الى امتنا داء الامم من قبلهـــا ففرطت في جنب الله ، وانحرفت عن صراطه المستقيم ، فاضطرب حالها وتكاثر عليها الأعداء فأذاقوها مر العذاب .

وفي كل مرة كانت أمتنا تستفيق تحت مطارق المحن ، وتعـــرف خطأها وداءها ، فتعود إلى دينها وكتاب ربها ، وتكون مصداقا عمليا لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله . "

وقد حاول أعداء الإسلام فصل تاريخ هذه الأمة عن دينها ، وتشويه ذلك التاريخ بجعله سردا لأحداث مضت بعيدا عن الإسلام وتأثيره سلبا وايجابا ، حتى يزهد أبناؤنا في الدواء الذى تعودت هذه الأمة أن تعود إليه كلما اعتل أمرها وساءت أحوالها .

واليوم نرى أمتنا وقد ذاقت أنواع البلايا والهموم على أيدي شياطين الإنس الذين قادوها الى القومية التي تحارب الإسلام ، وإلى الإلحاد والزندقة والإنحلال والخلاعة ، بقيادة الغرب تارة ، وقيادة الشرق الملحد أخرى فما جنت إلا الضياع والخسران ، والذل والهوان ، فوقفت حائرة تنظر حولها علّها تجد القيادة الراشدة ، التي تقودها الى جادة الطريق .

وقد سألت نفسي ، هل مر في تاريخ أمتنا هوان وذلة وضياع مثل هذا الذى تعيشه الآن .

هل استأسدت على أمتنا شرذمة صغيرة ، متفرقة ضائعة فأذلتها إذلالاً لم تذقه أمة من الأمم ؟! وما سبب ذلك ؟! وما هي بواعثة الحقيقة ؟ هل لقلة المال ؟ ولدينا منه الكثير بفضل الله ، هل لقلة العدد ؟ ونحن نملأ السهل والجبل عددا وعدة .

وهل بقي - بعد هذا الذل والهوان ، والجبن والضياع - أمل بأن نعود ثانية سادة للعالم الذي يحكمه قانون الغاب ؟ فنعيد العدل والنور للدنيا المتصارعة ، وللبشرية العانية .

عدت إلى التاريخ استنطق صفحاته لنأخذ منها العظة والعبرة والتاريخ يعيد نفسه - كما يقولون - فوجدت تاريخ أمتنا الطويل مملوءاً

بمثل هـذه الأحـوال .

نسيت أمتنا ربها ، وانطلقت وراء الشيطان تشبع غرائزها وشهواتها من حب الجاه والسلطان ، وحب المال والنساء ، وحب الدنيا والاقبال عليها ، وكانت النتيجة أن جاءت أوربا بجيوشها الجرارة ، وشنت علينا حربا صليبية تجلت فيها أحقاد الغرب وهمجيته ،كعادة الغرب ، وذبحت من هذه الأمة أعدادا هائلة حتى لقد خاضت خيولهم في دماء المسلمين إلى ركبها .

وماذا كان العلاج ؟ كان العلاج العودة إلى الله وطاعته . لقد بعث الله للمسلمين قادة أتقياء مثل " عماد الدين زنكي " الذي فتح المدارس الإسلامية في طول البلاد وعرضها ، يعلم الناس الإسلام الصحيح ، ويعيدهم إلى الطريق القويم ، وجاء بعده الرجل الصالح " نور الدين محمود " فسار على نهجه ، وكان مثال الحاكم المؤمن الجاد ، الذى يبني بصمت وحزم وكان دائما عابس الوجه ، ولما سأله أحد أصحابه عن سبب عبوسه قال : " والله إني لأستحي من الله أن أضحك والأقصى أسير في أيدى الأعداء " .

ثم جاء " صلاح الدين " فوحد الأمة ، وسار بها في الطريق الذي رسمه الله لعباده المخلصين ، فكان النصر المؤزر في موقعة " حطين " التي أعادت للمسلمين كرامتهم وعزتهم ، وقهرت أعداء دينهم .

ثم عادت عوامل الفرقة والفساد - التي كانت لا تزال موجودة في أجزاء أخرى من العالم الإسلامي - عادت هذه العوامل وانتشرت في كل مكان ، وقامت في الشام - على سبيل المثال - خمس عشرة دولة ، واندلعت بينها الحروب والمنازعات حتى لقد استعان بعضهم بالأعداء !!

وقامت طوائف العسكر تتسلط على الخلافة بكل قسوة وجبروت ، لا تعرف رأفة ولا رحمة ، ولا تخاف قانونا ولا ربا ، فطغت ، وتجبرت كعادة العسكر في كل زمان ومكان ، تعلن عن الإصلاحات الجبارة وهي تقضي على عوامل الصلاح ، تحطم سلاح الأمة وهي تدعي أنها تسلح الأمة ، تستسلم للأعداء وهي تدعي النصر عليهم ، وعندما جاء الخطر رأينا أولئك الذين كانوا يستأسدون على شعوبهم رأيناهم رعاديد جبناء لم يصمدوا للأعداء في معركة واحدة .

رأينا الموبقات تنتشر بكل أنواعها في جميع البلاد الإسلامية ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، عرفوا الله وعصوه فسلط عليهم من لا يعرفه .

زحف المغول - في ظروف كهذه - على بلد إسلامي فذبحوا من أهله العدد الذى يريدون ، ثم اقتسموا الباقي ، فكم من سيد أصبح - بين يوم وليله - عبداً لجندي جلف من جنود المغول ، بينما أخذت زوجته أمة لسيد آخر ، وهكذا وجدنا الذين كانوا يتعالون على الله ، ويتحدونه بمخالفة أمره نجدهم وقد دميت آذانهم في أيدى النخاسين يباعون في أسواق النخاسة .

ثم بعث الله لهذه الأمة رجالا نصحوا لها واتبعوا سبيل الرشاد فدخلوا معركة "عين جالوت" فانتصروا نصراً مبينا .

أي دعوة أبلغ من نقل هذه الصورة التاريخية أمام أعين أمتنا لتعتبر ؟!

ولنا في القرآن خير أسوة حين سلك نفس الطريق فساق لنا القصص البليغ ، ورسم لنا الصور الواضحة لنهاية الضالين المكذبين ، الذين يتركون شرع الله وأوامره

ويقترفون الآثام ، ويخوضون في الموبقات ، لنعتبر ونتدبر . قال تعالى في ختام قصة يوسف : " لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "(١)

وقال تعالى في ختام سورة هود تعقيبا على قصص السابقين : " وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ." (٢)

ومن هنا اخترت هذا البحث ، ولم أقصد فيه إلى السرد التاريخي المجرد وإنما أردت عبرة الحاضر من وقائع الماضي ، وابراز ضرورة الدعوة الإسلامية اليوم ، كضرورتها بالأمس بل أشد لكثرة الأعداء من حولنا . وقد سميت هذا البحث : -

" المغول والدعوة الإسلامية في القرنين السابع والثامن الهجريين "

وقسمته الى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمه .

أما التمهيد فتحدثت فيه عن " المغول " وموطنهم الأصلي ، والقبائل التي يتكونون منها ، وعن حياة المغول الإجتماعية والدينية والسياسية والعسكرية لألقي الضوء على تأثير بيئتهم على سلوكهم ومعاملاتهم.

---

١. سورة يوسف آية ١١١.

٢. سورة هود آية ١٢٠.

وأَما الباب الاول : وعنوانه " المسلمون في مواجهة المغول "

فقد قسمته إلى فصلين :

الفصل الأَول : بعنوان " أَحوال المسلمين قبل الغزو المغولي "

تحدثت فيه عن أَحوال المسلمين قبل الغزو المغولي ، وقد قسمته إلى أَربعة مباحث -

المبحث الأُول : تحدثت فيه عن العلاقات بين القوى الإِسلامية في الجزء الشرقي من العالم الإِسلامي وما قام بينهم من خلافه وحروب قبل الغزو المغولي .

والمبحث الثاني : تحدثت فيه عن العلاقات بين الأَيوبيين الذين ورثوا مملكة "صلاح الدين الايوبي " والخلافات التي قامت بينهم .

والمبحث الثالث : تكلمت فيه عن الخلافات المذهبية وأَثرها في إِضعاف المسلمين .

والمبحث الرابع : وتحدثت فيه عن انتشار الموبقات في المسلمين ، وتشجيع أَعداء الإِسلام لذلك ، وأُثر هذه الموبقات في انهيار المسلمين أَمام الغزو المغولي حين دهمهم .

الفصل الثاني : وعنوانه " هجوم المغول على المسلمين "

وقد قسمته إلى أَربعة مباحث :

المبحث الأَول : تحدثت فيه عن حروب المغول مع الدولة الخوارزمية وانهيارها أَمامهم .

المبحث الثاني : خصصته للحديث عن قضاء المغول على الطائفة الإسماعيلية

المبحث الثالث : تحدثت فيه عن سقوط الخلافة العباسية والأثر البالغ لذلك في نفوس المسلمين .

المبحث الرابع : وخصصته للحديث عن حروب المغول في بلاد الشام وعن صحوة المسلمين ، وعودتهم إلى طريق الله قيادة وشعبا ، ثم انتصارهم في معركة " عين جالوت " ثم استقرار المغول في بعض البلاد الإسلامية .

الباب الثاني وعنوانه " الدعوة الإسلامية " .

وقسمته إلى أربعة فصول .

الفصل الأول وعنوانه " تعريف الدعوة ونشأتها وامتدادها "

وقد قسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول : عن تعريف الدعوة .

المبحث الثاني : عن نشأة الدعوة وامتدادها .

الفصل الثاني : وعنوانه " خصائص الدعوة الإسلامية "

وقد قسمته إلى خمسة مباحث :

المبحث الاول : وتحدثت فيه عن الإسلام باعتباره دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

والمبحث الثاني : خصصته للحديث عن الإسلام دين الحرية والمساواة .

والمبحث الثالث: جعلته للحديث عن عالمية الدعوة الإسلامية .

والمبحث الرابع : عن الإسلام دين العقل والفكـر .

والمبحث الخامس: عن الإسلام دين الشمـول .

الفصل الثالث : وعنوانه " أساليب الدعوة الإسلامية ووسائلها "

وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : عن تعريف الأسلوب والوسيلة والفرق بينهما .

والمبحث الثاني : وتحدثت فيه عن أساليب الدعوة الإسلامية ، تحديد الداء والدواء ، إزالة الشبهات ، الترغيب والترهيب .

المبحث الثالث : وخصصته للحديث عن وسائل الدعوة الإسلامية ، القـرآن الكريم ، السنة النبوية ، الداعية .

الفصل الرابـع : وعنوانه " الدعوة الإسلامية والجهـاد "

وقد تحدثت فيه عن الجهاد في الإسلام ، وكيف فرض على المسلمين ومتى يكون الجهاد واجبا على المسلمين ؟ وذلك لأبين منزلة الجهاد من الدعوة ، وأن الإسلام لم ينتشر بالقوة والبطش كما ادعى المرجفون .

الباب الثالث : وعنوانه " المغول يدخلون الإسلام "

وقد قسمته إلى ثلاثة فصـول .

الفصل الاول : " عداء المغول والنصارى للاسلام "

مهدت له بكلمة عن العلاقات العدائية التي قامت بين المغول واوربا وكيف واجهت اوربا ذلك ، وقد قسمته الى مبحثين .

المبحث الأول : وتحدثت فيه عن محاولات تنصير المغول وتسليطهم على المسلمين .

والمبحث الثاني : تحدثت فيه عن اضطهاد المغول للمسلمين .

الفصل الثاني : وعنوانه " توجيه الدعوة الإسلامية إلى المغول "

فقد خصصته للحديث عن توجيه الدعوة الإسلامية إلى المغول ، وقسمته إلى خمسة مباحث .

المبحث الأول : تحدثت فيه عن الذين حملوا الدعوة الإسلامية إلى المغول .

المبحث الثاني : وتحدثت فيه عن انتشار الإسلام بين المغول القبجاق (القبيلة الذهبية) .

والمبحث الثالث : تحدثت فيه عن أعمال ملوك قبيلة القبجاق لخدمة الدعوة الإسلامية ، بركه خان ، منكوتمر ، محمد أزبك .

المبحث الرابع : وتحدثت فيه عن انتشار الإسلام بين المغول الجغتائيين .

المبحث الخامس : وخصصته للحديث عن انتشار الإسلام بين ايلخانات (ملوك) فارس (مغول إيران) والملوك الذين أسلموا منهم ، وما قدموه للدعوة الإسلامية مثل : أحمد تكودار ، محمود غازان ، ومحمد خدابنده (أولجايتو) .

الفصل الثالث : وعنوانه " المغول يحملون الإسلام لمن حولهم "

وقد رأيت إثبات هذا الفصل لأنه امتداد ضروري لموضوع الرسالة وإن كان خارجا عن الفترة الزمنية التي حددتها لرسالتي ، لأن أحداث

يكملون المسيرة ، ويأتون بمزيد من الدراسة والفائدة .

وإني أقدم شكري الجزيل لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والقائمين عليها للمجهودات التي يبذلونها لنشر العلم والوعي الديني بين المسلمين ، وكذلك أشكر القائمين على المعهد العالي للدعوة الإسلامية الذين يسهلون العلم لكل طالب ، ويواصلون المساعي لبحث أنجع الوسائل وأحسن الطرق لتخريج دعاة يخدمون الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء العالم.

وأقدم جزيل شكري للدكتور الفاضل /أحمد العسال الذى شملني برعايته ، وتوجيهاته مدة طويلة ورسم لي الطريق ، وشجعني على الولوج فيه .

وأقدم جزيل شكري للأستاذ الدكتور /عبد الستار فتح الله سعيد ، الذى فتح لي بيته لأراجعه ولأطلب إرشاداته في كل ساعة ، ولقد أفادني الله تعالى بتوجيهاته وهو المأمول سبحانه أن يجزيه عني خير الجزاء .

وإني أشكر جميع الزملاء ، وأساتذتي الكرام الذين أعانوني في هذه الرسالة ، والله تعالى يجزيهم عني وعن العلم والإسلام خير الجزاء .

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، والحمد لله رب العالمين وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

تمهيد

المغول

- موطن المغول الأصلي
- حياة المغول الإجتماعية
- دين المغول
- حياة المغول السياسية والعسكرية

موطن المغول الأصلي

عاشت القبائل المغولية في المنطقة الواقعة في وسط آسيا بين نهري سيحون وجيحون من الغرب ، حتى حدود الصين الجبلية من جهة الشرق ممتدة حتى أقصى الشمال الشرقي لآسيا .[١]

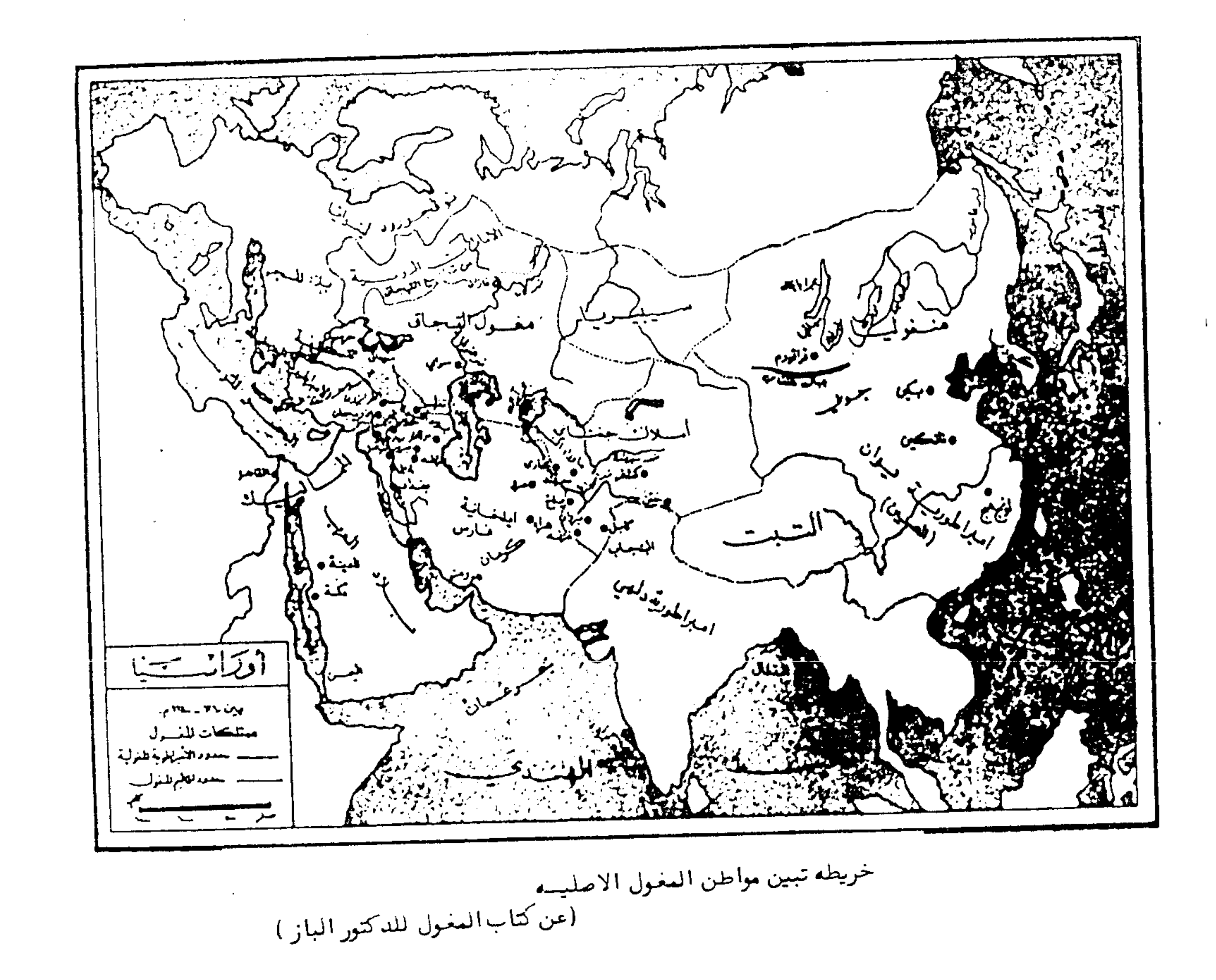
وتوسع البعض في حدودها حتى امتد بها الى البحر الادرياتيكي ويمكن إعتبار هضبة منغوليا وسلاسل جبال "تيان شان" وجبال "التاى" وما بينها من سهول وصحراء جوبي ، وحول بحيرة (بايكال) وضفاف الأنهار الموجودة في تلك المنطقة [٢] ،الموطن الرئيسي لهذه القبائل ، التي كانت تستقر في السهول الواقعة بين سلاسل الجبال ومناطقها الدافئة شتاء حيث تتوفر المراعي لحيواناتهم ، وفي الصيف يستقرون في المرتفعات وأعالي الجبال لمدة شهرين أو ثلاثة حيث تكون المنطقة باردة وتتوفر فيها المياه والمراعي .

إن بُعد هذه المناطق الشديد عن البحار فضلا عن ارتفاعها أسهم في أن يخصها بمناخ "قاري" ـ إذ تتراوح درجة الحرارة في معظم أجزائها مابين ٣٨ فوق الصفر و ٤٢ تحت الصفر ـ مما يؤدي الى تجمد أنهارها وبحيراتها فترة طويلة من أشهر السنة ،بالاضافة إلى الرياح الشديدة التي تهب من المنطقة الجليدية في سيبيريا الواقعة شمالا .[٣]

---

١ . انظر كتاب (الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغوليه) للدكتور /محمد صالح داود القزاز .

٢ و ٣ انظر كتاب (المغول) للدكتور /السيد الباز العريني ص ٥ ـ ٨



خريطه تبين مواطن المغول الاصليه

(عن كتاب المغول للدكتور الباز)

وتنعكس هذه الحالة في فصل الصيف حيث ترتفع الحرارة وتهب الرياح الشديدة المحملة بالرمال (١) .

في هذه البيئة القاسية ،كانت هذه القبائل التي تعيش على الصيد والرعي تجري وراء المياه القليلة في صحراء " جوبي " (التي يعني إسمها الجدب والفقر) (٢) وفي السهول بين الجبال وتعتلي المرتفعات وراء العشب والمرعى .

وكلما زحف الجفاف او قلت الأعشاب انتقلوا الى أرض مجاورة يدفعهم الى ذلك تزايد عدد القطعان والماشية ،وهذا الأرتحال والتنقل هو القاعدة الطبيعية لحياتهم .

واذا احتبست الامطار أو تعرضت المراعي للآفات وقلت الاعشاب تبعا لذلك وجد الراعي نفسه امام خطر فقدان ماشيته - وهي مصدر رزقه - ثم التعرض للمجاعة وهذا بدوره يدفعه الى السرقة ، والنهب ، والسلب ممن يجاورونه من السكان الذين يشتغلون في الزراعة ومن هنا تقوم الحروب والغارات والاعتداءات ، والاخذ بالثأر (٣) .

وبالرغم من وحدة أصول هذه الأقوام ، إلا أنهم كانوا ينقسمون الى قبائل عديدة ،تتزايد أعدادها يوما بعد يوم بحكم انقسامها على نفسها وانفصالها عن بعضها حاملة أسماء جديدة ، تفرعت إليها وعرفت بها . (٤)

---

١ . أنظر كتاب (الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية) للدكتور القزاز ص ٣ - ٥ .

٢ . أنظر كتاب (تاريخ بخارى) تأليف ارمينيوس فامبرى - ترجمة الدكتور الساداتي والدكتور الخشاب ، حاشية صفحة ١٦١

٣ . لتفصيل اكثر انظر كتاب (المغول) للدكتور الباز ص ١٣

٤ . انظر كتاب (الحياة السياسية في العراق) للدكتور القزاز ص ٥

القبائل التي تكون منها المجتمع المغولي (١)

في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادى (السادى الهجري) كان ينزل شمال منشوريا ، ومنغوليا ، وتركستان ، قبائل بدوية متأخرة تتخذ من الرعي والصيد مهنة لها ، تنتقل وراء العشب من مكان الى آخر وتنتمي هذه القبائل من الناحية اللغوية إلى مجموعات منها : مجموعات تركية ، ومجموعات مغولية ، ومجموعات تونغوزية ، ويصعب على المؤرخ أن يفصل بشكل قاطع بين هذه المجموعات ذلك لأن صلات معينة قامت بينهم جعلت ألقابهم ، وعاداتهم ، وكلامهم متقاربا ، ومن هذه المجموعات :

أولا : القبائل التركية

قبيلة توركش :

وهذه القبيلة من أشهر القبائل التركية في الغرب ، وكان روساؤها يلقبون بلقب " خان " وبقيت هذه القبيلة محافظة على إستقلالها الى أن قضى عليها العرب المسلمون بقيادة " نصر بن سيار " (٢) سنة ١٢١هـ (٧٣٩م)

---

١ . لتفصيل اكثر انظر كتاب (المغول) للدكتور البازص ٢٨ - ٣٦

٢ . نصر بن سيار : هو نصر بن رافع بن حرى بن ربيعه الكناني ولد سنة ٤٦ هـ (٦٦٦م) وتوفي سنة ١٣١هـ (٧٤٨م) أمير وقائد وشاعر من الدهاة الشجعان كان واليا لبلخ ثم ولاه " هشام بن عبد الملك " خراسان سنة ١٢٠هـ بعد وفاة " أسيد بن عبد الله القسرى " فقضى على الثورات الداخلية وأقر الأمن لكنه لم يقو على وقف الدعاية العباسية ضد البيت الاموى وتغلب أبو مسلم على خراسان فأجبر على الفرار .

قبيلة القرغيز :

وهم من الترك الذين كانوا ينزلون في أعالي نهر نيبيسي ، وكان أميرهم يلقب " خاقان " اشتهروا سياسيا حوالي سنة ٢٢٥ هـ (٨٤٠ م) حينما تغلبوا على " الايغور " في منغوليا ولكن " الخطا " هزموهم وطرد وهم من منغوليا في أوائل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ثم احترفوا الزراعة ، وبعد ذلك خضعوا للمغول زمن "جانكيز خان" سنة ١٢١٨ م -

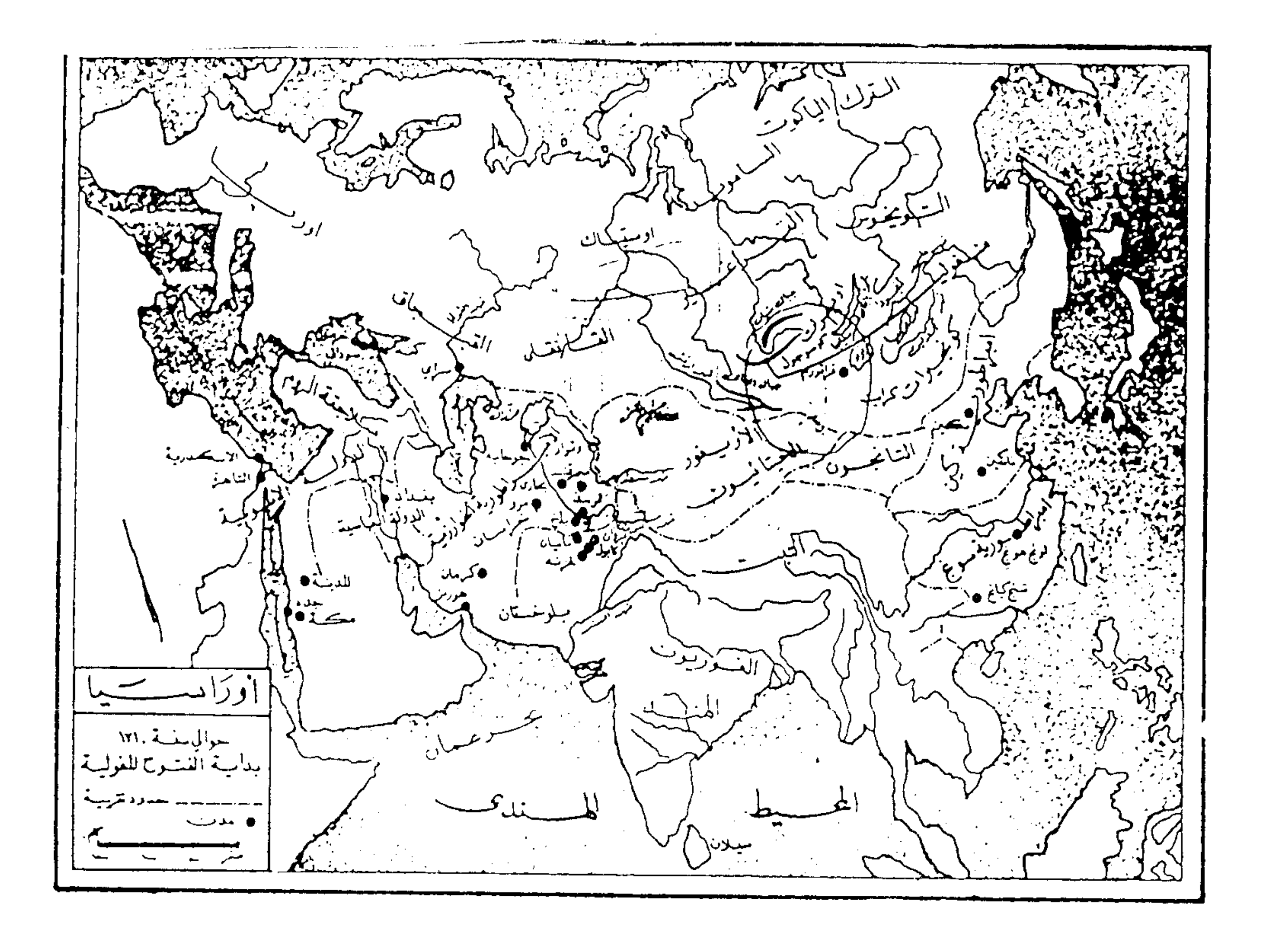
قبيلة الايغور :

كانوا ينزلون شمال منشوريا على نهر " سلنجا " (SELENGA) وكان لقب أميرهم " التابير " وحوالي سنة ١٢٧ هـ (٧٤٥م) اتخذ أميرهم لقب (خاقان) بعد أن إنتقل اليهم الملك في منغوليا عن "الاغوز"، ثم اعتنقوا "المانويه "[١] حوالي النصف الاول من القرن الثاني الهجرى (النصف الثاني من القرن الثامن الميلادى) ، ونشط في هذه الفترة دعاة البوذية والمسيحيه "النسطوريه"[٢] في نشر دعوتهم بين الصينيين وبين القبائل التركية .

---

١. نسبة الى ماني (أومانو) بن فاتك : الذى يقول بنبوة المسيح واقتبس من الديانه المجوسيه القول بأن العالم مركب من أصلين أحدهما نور والآخر ظلمه وأنهما أزليان لم يزالا وسيبقيان ، وأنكر وجود شيء من اصل قديم . انظر كتاب "الانسان في ظل الاديان" د. عمارة نجيب

٢. النسطوريه : طائفة من طوائف النصارى ينتسبون الى (نسطور) بطريرك القسطنطينية قطنوا كردستان بين الموصل وأرمينيا إلى أن تبدد شملهم بعد حرب ١٩١٤م وازدهرت عندهم الحياة الرهبانيه فأوفدوا المبشرين الى آسيا الشرقية ونشروا المسيحية في ايران والهند والصين وينكرون أن تكون (مريم أم الله) (الباحث) .



خريطه تبين مواقع القبائـل المغوليه (عن كتاب المغول للدكتور الباز)

قبيلة الاغــوز (الغـز في اللغة العربية) :

وهم من القبائل التركية أيضا وذكرتهم نقوش " ارخون " في القر ن الثاني الهجرى (الثامن الميلاد ى) بإسم " التغزغز " - أي القبائل العشرة - لأنهم كانوا يتألفون من عشرة قبائل . دخل " الغـز " الى البلاد الأسلاميــة في نهاية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلاد ى) وينتمي السلاجقة الــى قبيلة الغـز ، وقد أقاموا امبراطورية إمتدت من تركستان حتى حدود مصر .

قبيلة القارلوق :

أصبحت لهم أهمية سنة ١٤٩ هـ (٧٦٦م) حينما احتلوا واد ي نهر " جو " بعد سقوط امبراطورية " خاقان " الترك الغربيين ، لم يتخــذ امراؤهم لقب " خاقان " (١) وإنما اكتفوا بإتخاذ لقب " يبغوا " وكانوا كفــارا حتى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلاد ى) ويقول "ابن حوقــل "(٢) ، أن بلاد هم كانت تمتد من " فرغانه " (٣) مسافة يجتازها المسافر في ثلاثين

---

١. خاقان : تعني خان أي ملك .

٢. ابن حوقل : هو محمد بن حوقل البغداد ي الموصلي أبو القاسم رحالة من علماء البلدان ،كان تاجرا ،رحل من بغداد سنة ٣٣١ هـ ودخل المغرب وصقلية وجاب بلاد الاندلس وغيرها ، ويقال كــان عينا للفاطميين . له " المسالك والممالك " (الاعلام)

٣. فرغانه : بالفتح ثم السكون ، وغين معجمة وبعد الالف نون ، وهــي مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس ، يقال كان بها اربعــون منبرا وبينها وبين " سمرقند " خمسون فرسخا ، ومن ولايتها "خجنده" (معجم البلدان)

يوما ، ولقربهم من البلاد الإسلامية ، تأثروا بالحضارة الفارسية ، ولم يلبثوا أن اشتغلوا بالزراعة ، وجرت الاشارة إليهم لآخر مرة في القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى)[١].

---

١ - الدكتور الصياد، المغول في التاريخ، ص ٣٠

ثانيا : القبائل غير التركيـــة

الخطا (او قرة خيتاوى ، أو خيتاوى وكلها أسماء لشعب خيتاى) :

الراجح أنهم من القبائل التونغوزية (ويرى البعض أنهم مغول) كانوا أعداء للترك الذين كانوا ينزلون أقصى الشرق في المنطقة التي بلغها "الاتراك" في حملاتهم . وفي بداية القرن الرابع الهجرى (العاشـــر الميلادى) قام "الخيتاى" بحملات حربية من أجل التوسع ، فاستولوا على شمال الصين ، كما أخضعوا شمال منشوريا ووطدوا نفوذهم في جنوب الصين ، بعد ذلك ،وامتدت مملكتهم من بلاد القرغيز - على نهر ينسي - شمالا حتى بلخ جنوبا ، ومن خوارزم غربا الى بلاد الايغور شرقا وكانت "بالاساغون" عاصمتهم وكان لقب ملكهم "الكورخان" أي : خان الخانات .

ولما تحطمت مملكتهم وحلت مملكة الأمير "كجلك" النايماني في جانب من أملاكهم ، اتخذ آخر ملوك "قره خيتاى" العادات والملابس الإسلامية ، وبقي اقليم ما وراء النهر في أيديهم ، إلى أن انتزعه منهم علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة ٦١٢ هـ (١٢١١ م) ، وتداعت مملكتهم بفضل نشاط الأمراء المسلمين في الغرب ، وطغيان المغول من الشرق .

التتـــار :

من الشعوب غير التركية ، ورد ذكرها في نقوش "أرخون" وقـد اتخذ المغول هذا الاسم فيما بعد ، وكان التتار في القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) قسمين : الأول تسع قبائل ، والثاني ثلاثين قبيلة

وكانوا يسكنون جنوب غربي بحيرة "بايكال" حتى نهر كيرولين ،
وهم ثلاثة اقسام : -

١. التتار البيض : وهم الذين ينزلون خارج سور الصين مباشرة ، وتأثر هؤلاء بالحضارة الصينية .

٢. التتار السود : وكانوا ينزلون شمال صحراء "جوبي" وكانوا بدوا رحلا .

٣. تتار الغابة : وكانوا يعيشون حول الروافد العليا لنهري "اونون" و "كيرولين" ومارسوا حياة الصيد .

وعلى الرغم من أن المغول الذين قاموا بالغزوات والفتوح المشهورة في القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) كانوا يعرفون باسم "التتار" في كل مكان وكان يسحب هذا الاسم على أسلاف "جنكيز خان" وعلى النايمان فقد كان "التتار" قبائل مستقلة عن المغول ، بينما صار اسم "مغول" يطلق على جميع الشعوب التي خضعت لجنكيز خان بعد قهرها ، ولم تلبث لفظة "تتار" أن تغلبت عليها ، خاصة في الجهات الغربية من الامبراطورية المغولية .

وهنا ينبغي أن توضح حقيقة هامة هي أن لفظي "المغول" و "التتار" إسمان لقبيلتين كانتا تعيشان في القسم الشرقي من آسيا الوسطى ، وفي الشمال الغربي من الصين ،على أنهار اولدزا (ULDZA) وكيرولين ، و أرخون ، وأونون وسائر روافد نهر عامور .

قبيلة الكرايت : (١)

أقاموا لهم مملكة احتلت المنطقة الممتدة من نهر أرخون و جبال كنتارى حتى سور الصين ، وقد تغلبت على جميع العناصر المغولية ، وتحولوا الى النسطورية بين عامي ٤٠٠ـ ٤٠٢ هـ(١٠٠٧ - ١٠٠٩ م) على يد أسقف نسطورى مقيم في «مرو »، ومنذ ذلك الحين صاروا يدينون "بالنسطورية" وفي القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) اتخذ زعماؤهم أسماء مسيحية .

وكان طغرل من أشهر ملوكهم ، استطاع أن يطرد عمه الذى كان ينافسه على العرش ، وذلك بمساعدة رئيس مغولي هو "يوكاى" والد "جانكيزخان" الذى ظل من أتباعه - واستطاع طغرل أن يهزم "التتار" وبذلك صار أقوى ملك في منغوليا ومنحه الامبراطور "كين" لقب "وانج" واشتهر بـ "وانج خان" .

قبائل المركيت : (٢)

يرجح أنها قبائل مغولية ، ومن المعروف تاريخيا أن والدة "جنكيز خان" وزوجته منهم .

كانوا ينزلون بالقرب من بحيرة "بايكال" جنوبها في حوض نهر "سلنجا" وكانوا يعيشون على الصيد في الغابات .

---

١ ، ٢ لتفصيل أكثر أنظر كتاب "المغول" للدكتور الباز ص ٢٨ - ٣٦ ، الدكتور الصياد "المغول في التاريخ" ص ٢٧ ، ٣٨

قبيلة النايمان :

يبدو من إسمهم أنهم مغول "نايمان" - معناها ثمانية - ولكن القابهم كانت تركية ولذا يصح إعتبارهم (تركا - مغول) .

كان النايمان يسكنون غرب منازل "الكرايت"، وامتدت منازلهم حتى نهر "ارتيش" . كانت ديانتهم "الشامانية" (١) الا أن النسطورية نفذت اليهم .

قبيلة برجقين المغولية :

كانت تسكن عند أنهار "تولا ، وأرنون ، وكيرولين" والى هذه القبيلة ينسب "جانكيز خان" .

توالى نزول القبائل المغولية على ضفاف هذه الأنهار بالقرب من هذه القبيلة ابتداء من "كيرولين" شرقا حتى بحيرة "بيكال" غربا ، انقسمت القبائل المغولية في زمن "جانكيز خان" الى قسمين : -

القسم الاول : ويشمل عشائر بيرون أو بورس واتخذت هذا الاسم لانتمائها الى "بورجقين" ، وهم أشد أصالة في النسب من القسم الثاني ، ومن هذه العشائر : (تايجيوت ، وجاجيرات ، وبرلاس ، وبارين ودربان ، وسالجيوت ، وكتاكين) .

---

١ . الشامانية - سيأتي تعريفها عند الحديث عن دين المغول .

واما القسم الثاني : فيشمل عشائر "د ورلوكين" (DURLUKIN) ومنهـــم (ارلات ، وبايا وت ، وفورلاس ، وايكراس) هذا ويضاف اليهم عشيرة "جلائر" التي لم يعرف أصلهم على وجه التحقيق ، وهذه القبائل خضعت لاجداد "جانكيز خان" وارتبط "القنقرات" الذيـن كانوا ينزلون على ساحل بحيرة "بويرنور" التي تتوسط نهـــر خلقا ـ بمعاهدة مع التايجيوت ومرجقين في القرن السادى الهجرى (الثاني عشر الميلادى) .

كان المغول الأصليون ـ أجداد جانكيز خان ـ يشتغلون بالرعـــي ويعيشون على الصيد ، وذلك لأن منازلهم كانت تقع بين السهول والغابات ويفصل نهر سرداريا "سيحون" بين العالم التركي المغولي والعالم الإسلامي ولهذا السبب ظل المغول الترك محافظين على تقاليد عنصرهم ، بأن بقوا وثنيين ،أو بوذيين ، أو نساطرة وكانت الحضارة الصينية أشد الحضارات تأثيراً عليهم .

حياة المغول الاجتماعية

كان المجتمع المغولي يقوم على الطبقية ،[١] فقد كانت القبيلة مقسمة الى ثلاث طبقات : طبقة النبلاء وكانوا يلقبون بالألقاب "بهادر" اى الباسل - "وتوبان" - اى النبيل - و"ستسن" - أي الحكيم) .
والطبقة الثانيه هي طبقة ال " نوكور " - أي الاحرار - وعلى هوءلاء كان يرتكز النظام العسكرى والسياسي في منغوليا ، زمن "جنكيز خان" وكانوا يوءلفون طبقة المحاربين والموالين له .
والطبقة الثالثه ، هي طبقة العامه ، وطبقة الأرقاء .

وكان لكل جماعة أو عشيرة من المغول رئيسا ، قد يكون ملكا (خان ، قان) أو زعيما (باكي اوبكي) وبهذا اللقب اشتهر روءساء قبائل الغابه أمثال (اويرات ، ومركيت)[٢] .

وكانت بعض القبائل الصغيرة تلجأ أحيانا إلى إحدى القبائل الكبيرة على عادة البدو في كل مكان ، وذلك لعجزها من الدفاع عن نفسها ، كما حدث لقبيلة "الجلائر" في علاقاتها مع أجداد "جنكيز خان" ، وما جرى أيضا لقبيلتي (القنقرات ، والاويرات) حينما خضعتا لجنكيز خان .

لقد أثرت البيئة التي عاشت فيها تلك القبائل تأثيراً كبيراً على حياتهم الإجتماعية والإقتصادية .

فمناخها القاري والسعي وراء الأعشاب لرعي الماشية والأغنام فرضت عليهم مع مرور الزمن نمطاً معينا من الحياة .

فقد عاش الترك المغول الذين أقاموا في منطقة الغابات ، حول بحيرة "بايكال" ، ونهر عامور ، عيشة المتبربرين ، يعيشون على صيد الحيوانات

---

١ و ٢ انظر كتاب (المغول) للدكتور الباز ص ٣٨

في الغابات ، وعلى صيد السمك في الأنهار والبحيرة .

وأما الذين كانوا يعيشون في الأستبس فقد عاشوا على تربية الخيل والماشية ، والأغنام يلتمسون العشب ، ويسير الرجل في أثر قطعانه .

وتوزيع المراعي والمياه حدد مجال تحركهم في فصول السنة ، وكثيرا ما كانت تحركاتهم نحو المراعي سببا في المنازعات والغارات والسلب والنهب.

وما كان يمارسه الرعاة من التدريب المستمر على ركوب الخيل والسعي لإكتشاف المراعي والمياه ، واستخدام الأسلحة ، وما يتصفون به من قوة الإحتمال ومعاناة الجهد والتعب ، والشجاعة ، والميل الى الحركة ، وحب المخاطرة واتساع الأفق ، وحب التسلط ، كل ذلك جعل رجال هذه القبائل عبارة عن جنود بارعين وجيش جاهز في كل لحظة .

وعندما جاء " جنكيز خان " واستطاع توحيد هذه القبائل ، تحت حكمه ، نظم لهم نوعا من الحياة الإجتماعية مستفيدا من التجارب التي عاشها والشدائد التي عاناها ، وما قام به من حروب وغزوات ، وكتب ما نظمه فيما يعرف بـ " الياسا " (١) ذلك لأنه كان حريصا على جمع كلمة القبائل الخاضعة له ، وعلى كبح جماحها ، والزامها بالنزول على حكمه ، فاشتمل هذا القانون على عقوبات بالغة الصرامة ، حتى يقضي على أسباب

---

١ . الياسا : هي احكام " او دستور " " جنكيز خان " دونها لـه الايغور بخطهم ، وهي مزيج من القوانين موضوعه على ارادة الخان المغولي تسجل أنفع العادات القبلية ، كان المغول يرجعون اليها عندما يجلس خان جديد على العرش ، وفي حالة تعبئة الجيوش والإستعداد للقتال . (الباحث)

الفوضى ، و يعيد الأمن إلى نصابه .

وتحدد في هذا القانون علاقة الحاكم بالمحكوم ، وعلاقة المحكومين بعضهم ببعض ، وعلاقة الفرد بالمجتمع .(١)

وقد نجح "جنكيز خان" في هذا الغرض واستطاع أن يحول جموع المغول إلى جيوش منظمة ، تسير وفقا لخطط حربية مرسومه .

وكان المغول يتغذون بلحوم الحيوانات على اختلافها من خيول وكلاب وذئاب وثعالب وفيران ، وغذاؤهم قليل وخاصة في الشتاء إذ تقسو عليهم الطبيعة . ولهم طريقة في حفظ اللحوم ، وهي أنه إذا مات عندهم حيوان قطعوا لحمه شرائح رقيقه وعلقوها في الشمس والهواء لتجف دون أن تعتريها العفونه .

وكانت ملابسهم بسيطة جدا تتفق والبيئة التي يعيشون فيها ، وكانت في الغالب مصنوعة من أصواف الغنم أو وبر الإبل أو من جلود الحيوانات ولم يكن فرق كبير بين ملابس الرجال وملابس النساء . وكان من عادة المغول أنهم لا يغيرون ملابسهم طوال فصل الشتاء ، وأما في الصيف فيكتفون بتغييرها مرة واحدة كل شهر ، ومن عاداتهم ألاّ يغسلوا ثيابهم أبدا بل يلبسونها حتى تبلى وكان من عاداتهم أن يطلوا أجسادهم بالشحم إتقاء البرد والرطوبه .(٢)

---

١ . البداية والنهاية ج ١٣ ص ١١٨ - ١١٩ (وقد عزا ابن كثير هذا للجويني) .

٢ . لتفصيل أكثر انظر "المغول في التاريخ" للدكتور الصياد ص ٣٣٠ الى ٣٣٤ .

دين المغول

وأما عن ديانتهم فان دارس تاريخ هؤلاء الأقوام يجد صعوبة في التعرف على المبادئ الصحيحة لدينهم ، فبعض المراجع تذكر نتفا قليلة لا تشفي غليلا ، وبعضهم لا يذكر شيئا ، فقد قال ابن كثير عن عقيدتهم:

"وهم مع ذلك يسجدون للشمس اذا طلعت ،ولا يحرمون شيئا ، ويأكلون ما وجدوه من الحيوانات والميتات" (١) .

ويحتوى (الياسا) كما ذكر ابن كثير نقلا عن الجويني (٢) بعض المبادئ التي منها :-

(.... أنه من زنا قتل ،محصنا أو غير محصن ،وكذلك من لاط قتل ، ومن تعمد الكذب قتل ،ومن سحر قتل ،ومن تجسس قتل ،ومن دخل بين اثنين يختصمان فاعان احدهما قتل ،ومن بال في الماء الواقف قتل ، ومن انغمس فيه قتل ،ومن أطعم أسيرا أو سقاه أوكساه بغير إذن أهله قتل ، ومن وجد هاربا ،ولم يرده قتل ، ومن أطعم أسيرا أو رمى إلى أحد شيئا من المأكول قتل ،بل يناوله من يده الى يده ،ومن أطعم أحدا شيئا فليأكل منه أولا ولوكان المطعوم أميرا لا أسيرا ، ومن أكل ولم يطعم من عنده قتل ومن ذبح حيوانا ذبح مثله بل يشق جوفه ويتناول قلبه بيده، يستخرجه من جوفه أولا ....) .

---

١. البداية والنهاية لإبن كثير المجلد ٧ جزء ١٣ صفحه ٨٨

٢. البداية والنهاية لإبن كثير المجلد ٧ جزء ١٣ صفحه ١١٨، ١١٩

وقد جاء في حديث لأحد ملوكهم وهو " منكو خان " (١٢٥١ - ١٢٦٠) في لقائه مع الرحالة " روبركي " قال :

(.... نحن المغول نعتقد بأن هناك إلَها واحدا له نحيا وله نموت ، وعندنا قلب يخفق بحبه ، لكن الله الذي أعطى اليد أصابع مختلفة ، كذلك أعطى الناس طرقا مختلفة ، فقد أعطاكم الكتاب المقدس ، لكن المسيحيين لم يحافظوا عليه ، وقد أعطى " الشاماناس " (SHAMANAS) ونحن نفعل ما يأمروننا به ونعيش بسلام .) (١)

وذكر الجويني " .... أن " جنكيز خان " لم يكن متحمسا لدين معين وأن أولاده مالوا مع رغباتهم ، فمنهم من مال إلى الإسلام ، ومنهم من مال إلى المسيحية وآخرون إلى عبادة الأصنام ، وغيرهم حسب قاعدة الآباء والأجداد " (٢)

وأما ابن فضل الله العمرى فيقول " ... الظاهر من عموم مذاهبهم الإدانة بوحدانية الله وأنه خلق السموات والارض . " (٣)

وفي تعريف الديانة الشامانية يقول الدكتور القزاز (٤) :

" كانت الديانة الرسمية للمغول تسمى " بالشامانزم " (SHAMANISM) وتتمثل بعبادة مظاهر الطبيعة وخاصة الشمس ، وتمتاز بشدة الطاعة لكهنتها

---

١ . "الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية " للدكتور القزاز صفحه ٢٠ ، ٢١

٢ . نفس المصدر صفحه ١٩ ويعزوه للجويني .

٣ . نفس المصدر يعزوه لابن فضل الله العمرى في كتابه مسالك الابصار ج ٢ ق ٢ الورقة ٢١٩

٤ . نفس المصدر ، حاشية صفحة ٢٧٦

الذين يتولون بدورهم الحياة الخاصة لأتباعها ، كما يدل على ذلك حديث "منكوخان" إلى الرحالة "روبركي" - الذي مر ذكره - ، ولم تستطع تعاليمها الصمود أمام الديانات الأخرى التي إحتك بها المغول ، الأمر الذى أدى إلى ذوبانها ، وتحول المغول عنها إلى البوذية في الصين ، والإسلام في البلاد الإسلامية والمسيحية في روسيا." .

وأما أرنولد فقد كتب (.... كانت "الشامانية" SHAMANISM الديانة القديمة للمغول ، الذين كانوا ، على رغم اعترافهم بإله عظيم قادر ، لا يؤدون له الصلوات ، وإنما كانوا يعبدون طائفة من (الآلهة) المنحطة وبخاصة تلك (الآلهة) الشريرة التي كانوا يتقدمون إليها بالقرابين والضحايا لما كانوا يعتقدونه فيها من السلطان والقدرة على إيذائهم ، كما كانوا يعبدون أرواح أجدادهم القدامى ، التي كانوا يعتبرونها ذات سلطان عظيم على حياة أعقابهم ، ولكي يوفق المغول بين هذه القوى السماوية والعالم السفلي كانوا يلجأون الى القسيسين ، وهم "الشامان" - (SHAMANS) والسحرة أو الى رجال الطب ، الذين كانوا يعتبرونهم ذوى نفوذ خفي وسلطان غريب على عناصر الموتى وأرواحهم ، ولم يكن دينهم معدودا من تلك الأديان التي تستطيع أن تقاوم طويلا جهود هذه الأديان الكثيرة الأتباع والأنصار ذات اللاهوت المنظم الذى يملك قوة الإقناع وسد حاجات العقل ، وذات الهيئات المنظمة للمعلمين الدينيين ، ومن ثم تأثر المغول بمدنيات تلك الشعوب .....) .(١)

---

١ . ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٥١

وإني أُرجح بأن هذه العقيدة المشوهه التي أشار اليها المؤرخون هنا وهناك ، ما هي إلا بقايا عقيدة كانت صحيحة جاءت عن طريق بعض الرسل مصداقا لقوله تعالى :

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (١)

ولكن الأنحرافات البشرية المتمثلة في تدخل بعض الناس حكاما أو زعماء ، أو علماء - في العقيدة بالاضافة أو الحذف أتباعا للشيطان والهوى أو وصولا الى شهوة ، أو رغبة في انتقام ، أو إظهاراً لمكانة . . . . أو . . . . كل ذلك جعل هذه العقيدة تصل إلينا بشكل مشوه ، ولكن الذي يتفحص هذه النتف القليلة يرجح أن هذه النصوص ما هي إلا بقايا عقيدة وصلتنا مشوهه ، فهم يعترفون بوجود إلّه واحد ، وأنه خلق السموات والأرض ولكنهم يشركون معه بعض المخلوقات مثل " الشمس " " والأرواح " وغيرها .

وهم يستنكرون القتل ، والزنى ، واللواط ، والكذب ، والسحر والتجسس ، وكلها من صميم النواهي والمحرمات التي حرمها الله سبحانه على عباده بواسطة الرسل الكرام . وإذا وجدنا العقاب قاسيا على بعض هذه الجرائم ، فإن هذه القسوة علامة التشويه التي وضعتها يد الانسان الظالمة ظانين أنهم بهذا إنما يكملون نقصا أو يستفيدون من تجربة .

وخلاصة القول إنني أرجح ، أنه كان لهذه الأمم عقيدة صحيحة شوهت مع مرور الزمن ثم ترك كثير من أوامرها الى أن جاء " جنكيز خان " فأمر بكتابتها بالخط " الأويغورى " وكتبت بعد أن أضاف اليها ما يعتقد

---

١ . سورة فاطر آية ٢٤

أنه ينفع أُمته ويقوي ملكه .

هذا وقد امتدت اليد الإنسانية الى العقائد السماوية بالتبديل والتحريف والتشويه ، ابتداء من العقيدة التي أُنزلت على آدم عليه السلام ومرورا بعقيدة ابراهيم واسماعيل التي شوهت في الجزيرة العربية ، وعقيدة موسى التي شوهت على أيدى اليهود ، وانتهاء بعقيدة عيسى التي شوهت على أيدى "النصارى" (١) وقد أكد القرآن هذه الحقيقة في أكثر من موضع وكفى به قولا فصلا وذلك في مثل قوله تعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ، فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا .) (٢)

وقال تعالى عن اليهود (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ . . . .) (٣)

---

١. لمزيد من التفصيل راجع كتاب "الدين" للدكتور محمد عبدالله دراز ، وكتاب "خصائص التصور الاسلامي ومقوماته" للاستاذ الشهيد سيد قطب وكتاب الانسان في ظل الاديان للدكتور عمارة نجيب .

٢. سورة النساء آية (١٧١)

٣. سورة المائدة آية (١٣)

حياة المغول السياسية والعسكرية

كان المغول يعيشون عيشة البداوة بكل مقوماتها ، ولا يلتزمون من النظام إلا بما يعود عليهم وعلى خيولهم وأغنامهم ومواشيهم بالمنفعة وكانت هذه الحياة نفسها تفرض عليهم نوعا من الوحدة والطاعة لرئيس القبيلة الذى يتصف بالحنكة ، والشجاعة ، والجرأة بالإضافة إلى كبر السن .

عندما اجتمع رؤساء القبائل المغولية ، إختاروا "تموجين" خانا على المغول ، ذلك لأنه كان يتمتع بجميع الصفات التي يتطلبها هذا المركز وأطلقوا عليه لقب "جنكيز خان" - أي امبراطور العالم أو ملك العالم -

كان الخان يجمع بين يديه جميع السلطات ، ويوزعها على أعوانه المخلصين ، وكان من عادته أن يحيط نفسه بمجموعة من صفوة أتباعه الذين كان يضع فيهم ثقته الكبيرة ، وكان يركن إليهم في كل الأمور ، ويوزع عليهم من الغنائم ، والسبايا أحسنها ومن المنح أغلاها[1].

وقد استفاد المغول من خبرات الشعوب التي غلبوها ، فبعد هزيمتهم "للنايمان" استخدموا الأختام ، والكتابة التي لم يعرفوها من قبل كما كان من عادتهم أن يبقوا على حياة بعض الصناع ، وأرباب الحرف ليستفيدوا من مهارتهم .[2]

على أن أهم المظاهر السياسية في حياة المغول ذلك الدستور أو القانون الأساسي المسمى بـ" الياسا " إذ جمع فيه "جنكيز خان" ما مر في حياة

---

١ . أنظر كتاب "المغول" للدكتور الباز ص ٤٨ والحاشية و ص ٥٥

٢ . ==================== ص ١٣٤

القبائل المغولية من قوانين وخبرات وخاصة الخبرات التي توصل إليها هو نفسه في حياة الكفاح والمغامرات التي عاشها ، وما تعرض له من مؤامرات وخيانات . كل ذلك أثر على طريقة صياغة مجموعة الآداب ، والتقاليد ، والقوانين التي تعارفوا عليها ، فعدلها بالحذف ، والإضافة ، وجعل لها صفة رسمية وأمر بتدوينها واحتفظ بها في خزائن أُمراء المغول .

وبقيت أحكام " الياسا " موضع اهتمام الأقوام المغولية والمرجع الذى يرجعون إليه في أُمور الحكم والسياسة .

وقد ظل الاهتمام بهذه الأحكام حتى بعد زوال دولة "الإيلخانيين" في إيران ، وسار عليها "التيموريون" في أحكامهم ، وسياستهم ، وحفلاتهم حتى لقد تسربت بعض مبادئها الى نظم سلاطين المماليك والعثمانيين .

ولقد حدد ذلك الدستور "الياسا" علاقة الحاكم بالمحكوم ، وعلاقة المحكومين بعضهم ببعض ، وعلاقة الفرد بالمجتمع .

كما رتب للجنود أُمراءهم "ضباطهم" ، وعدد الجنود الذين يحكمهم كل أَمير " ضابط " وحض الجنود على طاعة أُمرائهم .

وبالاضافة الى ذلك كله نظم البريد ، ليضمن وصول الرسائل بسرعة ، ونظم حلقات الصيد التي تدرب الجنود على أَساليب الحرب وفنون القتال .

واتخذت قوات الحرس - التي أُنشأها "جنكيز خان" - صورتها النهائية سنة ٦٠٧ هـ (١٢٠٦ م) وحددت واجبات هؤلاء الحراس الذين بلغ عددهم عشرة آلاف ، اختارهم من الجنود الأقوياء ، المعروفين بالشجاعة وشدة الحذر ، واليقظة ، ولم يكن للقائد الحق في إعدام أي جندي إلا

بعد موافقة "الخان" ، وتصديقه .

وقد تألفت كتيبة من هذا الحرس ، وقوامها ألف رجل ويطلق على كل واحد منهم اسم (بهادر) أى الشجاع وهؤلاء هم الذين يقومون بخدمة الخان ولا يخرجون للقتال إلا معه .

وللجيش المغولي نظام يقوم على وحدات مؤلفة من عشرات ومئات وألوف الجنود ، وكانت سرعة تحركهم وشدتهم مثيرة للرعب والخوف في نفوس أعدائهم .[1]

---

١ . أنظر كتاب (المغول) للدكتور البازص ٥٦ - ٥٧

الباب الاول

المسلمون في مواجهة المغول

بين يدي الباب الأول

عند ما شرع المغول في غزو العالم الإسلامي كانت البلاد الإسلامية في العراق ، وإيران ، وخراسان ، وبلاد الشام في حالة شديدة من الضعف والتفرق ، تسودها الفتن والحروب ، والدسائس والأهواء المختلفة ، والمذاهب المتصارعة ويسيطر عليها حكام متنازعون يؤثرون مصالحهم الشخصية على مصالح المسلمين العليا متناسين قول الله تعالى (. . . وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ . . . . . .) (١)

وكانوا في سلوكهم الخاص ومعاملاتهم لشعوبهم أو لبعضهم بعضا قد تخلوا عن قواعد الإسلام ومبادئه ، وانحرفوا عنه إنحرافا شديداً وانتشرت بينهم الموبقات ، من معاقرة للخمر ، وقتل الوقت بحضور حفلات الرقص الماجن وارتكاب الفواحش واللهو الخليع ، وقد تبعهم في ذلك كبار قادتهم ، وكثير ممن يلوذ بهم من الناس ، ولِمَ لا ؟ والناس على دين ملوكهم .

وكان من نتيجة تخليهم عن أخلاق الإسلام فقدان روح التضحية وحب الإستشهاد مما أُضعف الروح المعنوية في حروبهم مع المغول .

وذلك هو "الوهن " الذى حذر منه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه حين قال:" يوشكُ أن تَتَداعى عَلَيْكَم الأُمَمُ كما تَتداعى الأَكلةُ على قصعتِها قالوا : أَمِنْ قِلَةٍ نَحْنُ يومئذٍ يا رسولَ اللهِ ؟ قال : بل أنتم يومئذٍ كُثُر ، ولكنكم غُثاء كَغُثاء السيل ، ولينزعنَّ اللهُ من صدورِ عدوكم المهابةَ منكم ،

---

١ . سورة الانفال آية ٤٧ .

وليقذفنّ في قلوبكم الوهنَ . قالوا وما الوهْنُ يا رسولَ اللهِ ؟ قال : حبُ الدنيا وكراهيةُ الموتِ . " (١)

أما الأمة المسلمة فكانت أكثريتها لا تزال مؤمنة بربها ودينها ، وقرآنها ونبيها ، وترى أن كل الخير في إتباع هدى الله والعمل بشرعه ، وأن كل شر وخسران في الإنحراف عن صراطه وعن هدى رسول الله ، وأما الحكام والأمراء والسلاطين والملوك ـ الذين بيدهم الأمور ـ فكانوا لاهين في محاربة بعضهم بعضا ، وغزو إمارات إخوانهم ، وسفك الدماء ، وحرق الأخضر واليابس والتمرد على الخلافة ، وإعلان الاستقلال في إمارات يكاد عدد سكان بعضها لا يزيد عن عدد سكان قرية من القرى المتوسطة ، وقد تسمى هؤلاء الحكام بأسماء رنانه ، فمنهم السلطان ومنهم الملك ، ومنهم الأمير ، ومنهم نظام الملك ، ومنهم شاهنشاه (ملك الملوك) إلى آخر الألفاظ التي لم تغن المسلمين شيئا عندما حزب الأمر ، واشتدت الحروب ، ففي كل ناحية سلطان وفي كل قبيلة أمير ورحم الله القائل (٢)

مما يزهدني في أرض أندلس	ألقاب معتصم فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها	كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

وانتهوا إلى بلاء شامل قال الله تعالى فيهم وفيه :
" أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِيْنَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوارِ " (٣)

---

١ . رواه الامام احمد عن ثوبان و هو في سنن أبي داود ـ عن ثوبان أيضا بإسناد صحيح (كتاب الملاحم الباب الخامس : تداعي الأمم على الإسلام) .

٢ . أبو الحسن بن رشيق القيرواني

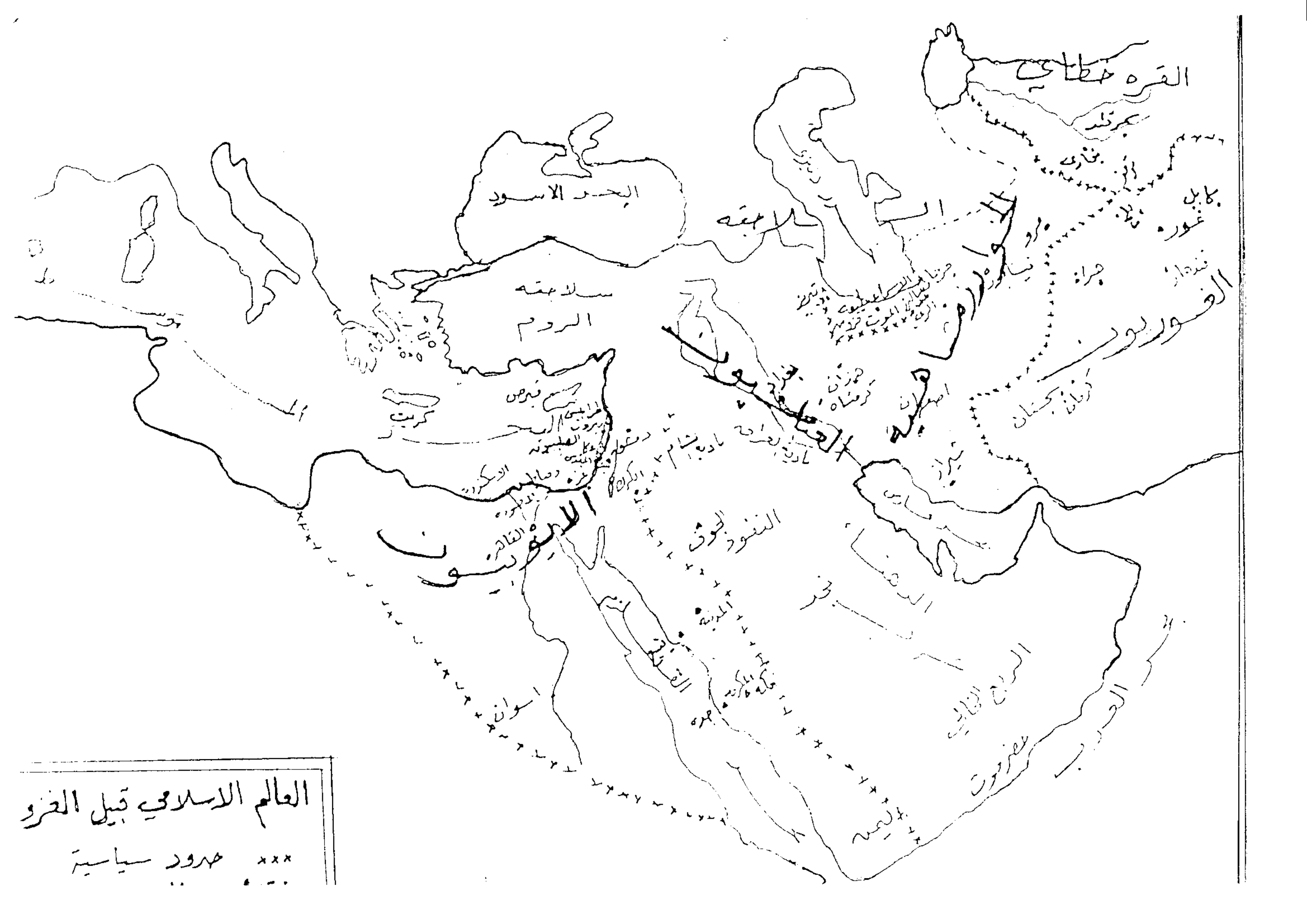
٣ . سورة إبراهيم آية ٢٨

لقد غلت عندهم المعيشة ، ورخص الإنسان ، وعمرت المراقص والحانات ، وخربت المساجد ودور العبادة ، وقل عدد الملتزمين من الحكام وخاصتهم بالفضائل ، وأُطلقوا العنان لشهواتهم ، وأُكرموا أَهل النفاق والكفر فكانوا كما قال الله عز وجل " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ " (١)

وسنتناول ذلك بالتفصيل الواقعي فيما يأتي :

---

١ . سورة النحل آية ١١٢


العالم الاسلامي قبيل الغزو
××× حدود سياسية
القره خطاي
سمرقند
بخارى
كابل
غورة
مرو
نيسابور
هراة
الخوارزمية
الغوريون
البحر الاسود
سلاجقة الروم
سلاجقة
العباسيون
الأيوبيون
اصفهان
شيراز
همذان
كرمنشاه
بغداد
الموصل
تبريز
قبرص
كريت
دمشق
بيت المقدس
بيروت
الاسكندرية
القاهرة
غزة
الكرك
بادية الشام
النفود
نجد
المدينة
مكة المكرمة
جدة
اليمن
حضرموت
الربع الخالي
اسوان
كرمان
سجستان

الفصل الأول

أحوال المسلمين قبل الغزو المغولي

في الجزء الشرقي من البلاد الإسلامية كان هناك خمس قوى هـي : الخوارزميون ، والسلاجقة ، والغوريون ، والطائفة الإسماعيلية ، والخليفة العباسي . وكانت هذه القوى في خلاف مستمر ، وصراع دائم أكل الأخضر واليابس ، وأضعف القوة الاسلامية المادية والمعنوية والعسكرية ، وجعل تلك البلاد أوهى من بيت العنكبوت . وسنتحدث عنها فيما يأتي : -

المبحث الأول :

العلاقات بين القوى الإسلامية في الجزء الشرقي من العالم الإسلامي : -

أولا : الخوارزميون والسلاجقة :

لقد أسس الدولة الخوارزمية " نوشتكين " الذى كان عبدًا اشتراه أحد الأمراء السلاجقة ، وتولى بعض المناصب إلى أن أصبح حاكمًا على إقليم " خوارزم " وتلقب بلقب " خوارزم شاه " سنة ٤٩٠ هـ (١٠٩٦م) .

وعندما شعر خلفاء " نوشتكين " بضعف الدولة السلجوقية أخذوا يعملون على الإستقلال عنها ، ولما اعتلى السلطان " تكش " ٥٦٨ - ٥٩٦ هـ (١١٧٢ - ١١٩٩ م) العرش الخوارزمي وسع نفوذه مستغلا الخلاف

الذى حصل بين " طغرل الثالث " ـ آخر السلاطين السلاجقة ـ والخليفة العباسي " الناصر لدين الله " فوقف " تكش " هذا الى جانب الخليفة وحارب " طغرل الثالث " وقتله ، وضم أملاكه الى سلطانه ، وفي وقت قصير استقل على العراق العجمي ، وتقلد حكم جميع هذه البلاد رسميا من الخليفة العباسي ، وبهذا طويت صفحة السلاجقة من الشرق .

وهكذا صارت الدولة الخوارزمية تتسع شيئا فشيئا على حساب الأقاليم المجاورة حتى بلغت أقصى اتساعها في عهد السلطان " علاء الدين محمد خوارزم شاه " ٥٩٦ - ٦١٧ هـ (١١٩٩- ١٢١٩ م) .

ثانيا : الخوارزميون والغوريون :

ولم يلبث السلطان " محمد خوارزم شاه " أن دخل في معارك مع " الغوريين " الذين كانوا يسكنون شرقي خراسان ، وقسما من " أفغانستان " الحالية وغرب الهند ، وكانت هراة ، غزنة ، وبلخ ، وكابل ، وسجستان ، وكرمان ضمن أملاكهم وانتهت المعارك بهزيمة " الغوريين " بعد أن استعان السلطان " محمد خوارزم شاه " بـ " القراخطائيين " الكفار ضدهم .

وبعد ذلك ارتكب " خوارزم شاه " حماقة كبيرة بمحاربته "القراخطائيين " وهزيمتهم لأن هؤلاء كانوا سدًا منيعا بين المغول والمسلمين ، وبهذا أصبح "المغول " وجها لوجه مع المسلمين (١) .

---

١ . لتفصيل أكثر راجع كتاب " المغول في التاريخ " من صفحة ٦١ - ٦٨ (للدكتور ـ الصياد) .

ثالثا : الخوارزميون والخليفة العباسي :

بعد هزيمة السلاجقة والقضاء عليهم بمعاونة "محمد خوارزم شاه" تبين للخليفة العباسي "الناصر لدين الله" أن للخوارزميين أطماعا في إقليمه "العراق" وأنهم لا يقلون خطرا على دولته من السلاجقة .

حاول السلطان "محمد خوارزم شاه" أن تكون له المنزلة الأولى في بغداد بالطرق الودية أولا فلما عجز لجأ إلى استعمال القوة ، وصمم على غزو بغداد لأن الخليفة احتقره عندما أساء معاملة رسله ، ورفض أن يأتمر بأمره أو أن تذكر الخطبة باسمه على منابر بغداد ، كما كان الوضع في عهد" السلاجقة والبويهيين "(١) .

وليثير المسلمين على الخليفة ويدفعهم إلى الوقوف إلى جانبه أعلن السلطان "محمد خوارزم شاه" بأن الخلفاء العباسيين تقاعسوا عن الجهاد وتركوا حماية الثغور ، ولم يقمعوا الفتن ، وأنهم للخلافة مغتصبون وأن آل علي أحق منهم بها ، وليزيد من أنصاره اعتنق مبادئ الشيعة (٢) .

وبناء على ما تقدم استصدر السلطان "محمد خوارزم شاه" فتوى من العلماء بتأييد قراره بعزل الخليفة ، وإسقاط اسمه من السكة والخطبة ووقع اختياره على رجل علوى من مدينة "ترمذ" اسمه "علاء الدين" فنادى به خليفة للمسلمين ، وخطب له على المنابر ، وضرب النقود باسمه (٣) .

---

١. البداية والنهاية : لابن كثير م ٧ ج ١٣ ص ٢٧

٢ و ٣ الدكتور الصياد : المغول في التاريخ ص ٧١ ،
الجويني : تاريخ جهانكشاي ج ٢ ص ٩٦

بعد ذلك عزم السلطان " محمد خوارزم شاه " على القيام بحملة على بغداد سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧م) بعد أن قضى على كثير من أعوان الخليفة المجاورين له .

أرسل الخليفة " شهاب الدين السهروردى " إلى " خوارزم شاه " ليعرض عليه الصلح إلا أن هذا استقبله إستقبالا سيئا (١) عند ذلك أرسل الخليفة إلى " جنكيز خان " طالبا مساعدته ضد السلطان " خوارزم شاه " وكانت الطامة الكبرى والجريمة النكراء التي إرتكبها الخليفة فقد لفت هذا الطلب نظر " المغول " إلى التدخل في العالم الإسلامي وعرّفهم بمدى تفرق المسلمين

وجه " خوارزم شاه " حملته إلى بغداد بعد فشل " شهاب الدين السهروردى " في إقناعه بالعدول عن ذلك ،إلا أن عواصف ثلجية شديدة هبت على قواته في منطقة " أسد أباد " لمدة ثلاثة أيام فقطعت أيدى الرجال وأرجلهم ، وعمهم من البلاء مالا يحد ولا يوصف " (٢) ولهذا فشلت حملته فشلا ذريعا .

وقد كانت هذه الحروب التي خاضها السلطان " خوارزم شاه " سببا في استنزاف القوى الإسلامية في هذه المنطقة ، كما أن هذه الدولة كانت في الحقيقة تحمل هي الأخرى عوامل الضعف والإنحلال لتسلط طبقة العسكريين عليها ، كما أن الناس لم يغفروا للسلطان قتله " مجد الدين البغدادى " أحد كبار المتصوفين في ذلك العصر ، ولم يكن من السهل على الفقهاء أيضا

---

١ . البداية والنهاية م ٧ ج ١٣ ص ٧٦ .

٢ . نفس المرجع . = = = .

استولى عليها سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠م) فصارت عاصمة للإسماعيلية وقاعـدة لملكهم ، ولم يقف أمر " الصباح " عند هذا الحد ،بل استطاع ـ بمعاونـة أتباعه ـ أن يستولي على المنطقة جنوبي بحر قزوين بأكملها . (١)

ولقد اشتهرت الطائفة الإسماعيلية في التاريخ بأنهم قوم محاربـون أشداء ،بثوا الرعب في النفوس ، وعاثوا في الارض فساداً ، وقاوموا سلاطيـن السلاجقة ،واهتزت بسببهم السلطنة والخلافة ،فلا فرو أن كان العداء شديداً بينهم وبين سائر المسلمين .كان لهم جهاز رهيب ، وتنظيم سرى يتكون مـن طائفة من الشبان المغامرين الشجعان ،الممتلئين قوة وحماسة وتضحية وتفانيا في الدفاع عن عقيدتهم ،وكان هؤلاء الفدائيون يجيدون فَنَّ التخفي وساعدهم على ذلك طبيعة الدعوة الإسماعيلية الباطنية التي كانت تجرى في سريـة تامه ،بحيث أنه كان يتعذر على المرء أن يميز الشخص الباطني من غيره ، وكان أعضاء هذا الجهاز يختارون في سن مبكرة ، ويدربون تدريبات شاقة مضنية على أستعمال السلاح ، وأساليب القتال ، وطرق الإغتيال وسفك الدماء. (٢)

وكانت القاعدة عندهم ،أنه إذا ظهر حاكم قوى في البلاد الإسلاميـة المجاورة ،أسرع الفدائيون منهم إلى اغتياله ليأمنوا جانبه ، وكان هدفهـم الأول من وراء ذلك هو بث الرعب والفزع في نفوس الجميع ، ونشر الاضطرابات والفتن ،وإشاعة الفوضى في صفوف المعادين لمذهبهم ، فراح ضحيتهـم كبار الشخصيات في الدولة السلجوقية حتى جردوها من قوتها الفعالـة

---

١. " المغول في التاريخ " للدكتور الصياد ص ٧٧ - ٧٨

٢. نفس المرجع ص ٨١ و ٨٢ (ويعزو ذلك للجويني ج ٣ ص ٢٠٤)

وعقولها المدبرة ، مما أدى بها إلى نهايتها المؤسفة ، فلقد قتلوا أعظم وزراء السلاجقة على الإطلاق وأكبر عقلية مفكرة في دولتهم ، ألا وهو الخواجه " نظام الملك " وكان ذلك بأن تقدم إليه أحد الفدائيين من هذه الطائفة على هيئة رجل صوفي ، وطعنه بخنجره طعنة نجلاء ، خر على أثرها صريعا سنة ٤٨٥هـ (١٠٩٢م) فكان أول شخصية كبيرة تروح ضحية هذه الطائفة . (١)

وقد قام الولاة والحكام المسلمون بتسليط بعض أفراد هذه الطائفة ضد بعضهم بعضا ، ومن أمثلة ذلك عندما قام الصراع بين الخلفاء العباسيين والسلاجقة أتهم السلطان " مسعود " بأنه هو الذى أوعز الى جماعة من الفدائيين بالتخلص من الخليفة " المسترشد " فقتلوه سنة ٥٢٩هـ (١١٣٤م) ومثلوا به أشنع تمثيل ، إذ أنهم قطعوا أنفه وأذنيه ، وتركوه عريانا (٢) كذلك قتلوا ابنه " الراشد " بمدينة " أصفهان " سنة ٥٣٢هـ (١١٣٧م) لأن محاربة الخلفاء العباسيين هدف يتفق مع مبادئهم، كما سبق أن قامت هذه الطائفة باغتيال " أغلمش " نائب الخوارزميين في العراق العجمي ، بإيعاز من الخليفة " الناصر " وقد قام صراع بين الإسماعيلية والدولة الخوارزمية سبب للطرفين خسائر فادحة . (٣)

ولقد تسابق الخلفاء العباسيون مع السلاجقة في التقرب إلى هذة الطائفة ، وخطب ودهم ، والإستعانة بهم في التخلص من الأشخاص المعادين

---

١. "المغول في التاريخ " للدكتور الصياد ص ٨٢
٢. ابن كثير : البداية والنهاية م٦ ج ١٢ ص ٢٠٧
٣. " سيرة جلال الدين منكبرتي " للنسوى ص ٥٥

لهم مع علمهم الأكيد بأن هذه الطائفة تسعى للقضاء عليهم جميعا . (١)

كما قامت هذه الطائفة بأعمال إجرامية ضد الطوائف الاسلامية التي تخالفهم في العقيدة ، فأشاعوا الرعب والارهاب ، وظلموا وجاروا حتى لقد تمنى المسلمون زوال حكمهم بل لقد شجعوا المغول ، وحثوهم على محاربتهم والقضاء عليهم ، فقد ذكر "ابن طباطبا" (٢) : (حدثني الملك إمام الدين يحيى بن الافتخاري قال: أذكر ونحن بقزوين إذا جاء الليل جعلنا جميع مالنا من أثاث وقماش ورحل في سراديب لنا في دورنا غامضة خفيه ، ولا نترك على وجه الأرض شيئا خوفا من كبسات "الملاحده" (٣) فإذا أصبحنا أخرجنا أقمشتنا ، فإذا جاء الليل فعلنا كذلك ، ولأجل ذلك كثر حمل "القزاونه" للسكاكين وكثر حملهم للسلاح وما زال الملاحدة على ذلك حتى كان من أمر "شمس الدين" قاضي قزوين وتوجهه إلى "قا آن" وإحضار العسكر وتخريب قلاع الملاحدة - ما كان) .

ويذكر "الجوزجاني" (٤) أن القاضي "شمس الدين أحمد الكافي القزويني" كان على اتصال بالمغول ، وكان إماما عالما كبيرا ، ذهب مرة الى "منكو خان" وطلب منه أن يضع حداً لشر الملاحدة ، ويخلص الناس من فسادهم

---

١. (المغول في التاريخ) للدكتور الصياد ص ٨٥
٢. "الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية" ص ٢٥ - ٢٦
٣. إشتهر الإسماعيلية عند خصومهم باسم "الملاحده" لأنهم غيروا وبدلوا في أركان الدين ، ودعموا آراءهم بالأقوال التي وصلت اليهم عن فلاسفة اليونان كما اقتبسوا بعض المبادئ من مذاهب المجوس. (المغول في التاريخ للصياد)
٤. طبقات ناصرى : للجوزجاني ص ٤١٣ - ٤١٤

وفي أَثناء حديثه ، وبينما كان مندفعا بحماسة المسلم المتدين صدرت منه كلمات جافه أَغضبت " منكوخان " وكان لها أَثر عميق في نفسه إِذ نسب إِليه الضعف والعجز ،لأَنه لم يستطع أَن يستأْصل شأْفة هذه الطائفة الذين يدينون بدين يخالف ديانات النصارى والمسلمين والمغول ، وما ذاك إِلا لأَنهم استطاعوا أَن يغرو " منكوخان " بالمال بينما هم يتحينون فرصة ضعف دولته فيخرجون من الجبال والقلاع لينقضوا على البقية الباقية من المسلمين ويعفوا آثارهم .

وخلاصة القول أَن الطائفة الإِسماعيلية كانت من أَهم العوامل التي أَسهمت في إِضعاف المسلمين والدعوة الإِسلامية ودعاة الإِسلام ، وزيادة الفرقة بينهم وتدهورهم تدهورًا كاملا سَّهل على "المغول " مهمة القضاء عليهم في الوقت المناسب .

خامسا : الخلافة العباسية :

ضعفت الخلافة العباسية ضعفا شديدًا في هذه الفترة نتيجة لتسلط طوائف العسكر المختلفة على الخليفة في بغداد ، ومن المعروف أَن العسكر إِذا تركوا ثكناتهم وانحرفوا عن مهمتهم ، وحركوا قواتهم باتجاه عاصمة الدولة فإِن هؤلاء العسكر يضلون الطريق فلا يعرفون طريق العودة إِلى ثكناتهم ولا يستطيعون إِصلاح الأمور السياسية ، ويورطون أَنفسهم والبلاد في مشاكل كثيرة ، ذلك لأَن العقلية العسكرية التي تسيطر عليهم تجعلهم يلجأَون الى استخدام القوة والعنف في كل المشاكل التي يواجهونها .

فأخذوا يخلعون الخلفاء متى شاءوا (١) وإذا حاول الخليفة دفعهم الى المكان الطبيعي الذى يجب أن يكونوا فيه فإنهم يقتلونه (٢)، أو يعمدون الى إحداث نقص أو عاهة في جسم الخليفة تبرر لهم طرده لأنه ناقص الأهلية ، فسملوا عيون كثير من الخلفاء (٣) ، ووضعوا أحدهم في كهف وقفلوا عليه بالحجارة والطين دون أن يصغوا لرجائه أو استرحامه بعد أن أذاقوه

---

١. بالنسبة للمقتدر بالله يقول ابن كثير "..... وضربه احدهم بسيفه على عاتقه فسقط على الأرض ، وذبحه آخر وتركوا جثته ، وقد سلبوه كل شيء كان عليه حتي سراويله وبقي مكشوف العورة مجندلا على الأرض حتى جاء رجل فغطى عورته بحشيش ثم دفنه في موضعه ، وعفا أثره (البداية والنهاية م ٦ جـ ١١ ص ١٦٩). وبالنسبة للمستنجد يقول ابن كثير ".... ثم أدخله الطبيب الى الحمام وبه ضعف شديد فمات في الحمام . ويقال : أن ذلك كان بإشارة بعض رجال الدولة على الطبيب استعجالا لموته " . (البدايه والنهايه ج ١٢ ص ٢٦٧)

٢. يقول صاحب "الفخرى" : ".. خلع المقتدر وبويع "عبد الله بن المعتز" فمكث يوما واحدا في الخلافة ثم استظهر "المقتدر" عليه فأخذه وقتله ..... وجرت بين المقتدر وبين " مؤنس المظفر " ـ أمير الجيوش ـ منافره أدت الى حرب قتل فيها المقتدر وقطع رأسه وحمل الى بين يدي "مؤنس المظفر" ومكثت جثته مرمية على قارعة الطريق (الفخرى ص ٢٦٥)

٣. يقول ابن كثير عن الخليفة القاهر "... ثم أمروا باحضاره فلما حضر سملوا عينيه حتى سالتا على خديه ... ثم أرسلوه وكان تارة يحبس وتارة يخلى سبيله ... فخرج يوما ووقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس ..
(البدايه والنهايه م ٦ جـ ١١ ص ١٧٨)

ويقول صاحب الفخرى عن "المتقي بالله " "... فلما رآه " توزون " من أمراء الجيش قبل الارض وكان قد أوصى جماعة من أصحابه سرا ان يحتاطوا به فاحتاطوا به وادخلوه الى خيمته ثم قبض عليه وسمل عينيه وخلعه .."
(الفخرى ص ٢٨٤)

أَشـد العــذاب . (١)

جرائم لا يتصور الإنسان حدوثها . يرتكبونها ضد الشخص الذى يمثل الدولة الإسلامية وهيبتها . والويل كل الويل لمن يعترض العسكر ، وما أُكثر المبررات التي يلجأ اليها هؤلاء المجرمين لتبرير جرائمهم وحماقاتهم ، وتبرير تركهم لواجب الدفاع عن ثغور الدولة وحدودها ليبقوا في الأجواء المعطرة داخل المدن يحاربون ولاة الأُمور تحت شعار الإصلاح ، ويقتلون الناس تحت شعار ضمان حريتهم وحرية أُمتهم . وما أَسهل أَن يقتل هؤلاء اخوانهم ، أَو يعذبوهم ،أَما الثغور الاسلامية ،أَما الدفاع عن المسلمين ومحارمهم فهذا شيء عارض ،فإذا جاء وقته وجدتهم لا يجيدون إلا الهروب من وجه الأَعداء دون أَن يثبتوا في معركة واحدة مشاركين النساء والأَطفال ،مبررين ذلك بشتى الحجج والمعاذير الواهية . ويذكرني موقف أُولئك الزعماء بقول الشاعر المعاصر (٢)

ياشعب قد حلقت زمــا	متك البلاد فقل نعيمـا
ولتسقط الاوطان ولــ	يبق الزعيم لنا زعيمـا

هذه هي أَوضاع الخليفة قبل الحروب التي شنها المغول على البلاد الإسلامية ولا يمنع هذا من ظهور خليفة قوي تساعده بعض الظروف على القيام ببعض

---

١ . يقول صاحب " الفخرى " عن موت " المعتز بالله " : " . . . فاتفقوا على خلعه وقتله ،فحضروا الى بابه وأرسلوا اليه وقالوا له : أُخرج الينا ، فاعتذر بأنه شرب دواء ،فهجموا عليه وضربوه بالدبابيس ، وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر ،وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده ،ثم جعلوه في بيت وسدوا بابه حتى مات ، بعد أَن أشهدوا عليه انه خلع نفسه . . ."

٢ . الأُستاذ : أُحمد فرح عقيلان

الإصلاحات ، ولكنها صحوات تشبه صحوات الذى يعانى سكرات الموت ، إلا أنها كانت على أي حال رمزا لوحدة المسلمين ، ومعقدا لآمالهم ، راجين من الله أن يبعث لها من الرجال من يعيدون لها كامل قوتها وعزها ومجدها .

المبحث الثاني

الأيوبيون في مصر والشام

كان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" شخصية إسلامية فذة ومثلا أعلى للهمة والشجاعة، وكان قائدًا عظيمًا، وسياسيًا محنكًا، نهج نهجا إسلاميا فاقتفى أثر سلفه الصالح السلطان "نور الدين محمود" في تشجيع الدعوة الاسلامية، فزاد في عدد المدارس الإسلامية التي فتحها سلفه لتخريج الدعاة ولتوضيح الإسلام ولإعادة المسلمين إلى جادة الإسلام باقتفاء أثر السلف الصالح - بعد أن أصبح الإسلام غريبا بينهم - لأنهما آمنا بأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فأثمرت جهودهما أيما إثمار، فتوحدت في عهد "صلاح الدين" قلوب المسلمين في مصر والشام وأصبحوا يدًا واحدة فتحققت لهم - نتيجة لذلك - أروع الإنتصارات على أعدائهم الذين كانوا جميع دول أوربا وممالكها واستطاع أن يأسر في معركة "حطين" سنة ٥٨٣ هـ (١١٨١م) عددًا من ملوك أوربا وأمرائها وكان من يرى القتلى يحسب أن ليس هناك أسرى، ومن يرى الأسرى يحسب أن ليس هناك قتلى . (١)

وقد فتح الله على المسلمين "بيت المقدس" وعددًا آخر من البلدان والحصون، التي كانت في أيدى الصليبيين، كما كان هذا النصر سببا في ضعف الصليبيين والقضاء عليهم فيما بعد .

---

١ . الكامل في التاريخ لابن الأثير جزء ١١ ص ٢٢٤

ولكن بعد أن توفي صلاح الدين سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣م) تفككت أملاكه ، ووزعت بين أبناء البيت الأيوبي ذلك لأنهم اعتبروا مملكته تركة خاصة وقد قسمت إلى خمسة عشر قسماً (١) ، تزيد وتنقص حسب نتيجة المعارك التي

---

١. وزعت مملكة صلاح الدين كالاتي : -

١. الموصل : كانت في عقب عماد الدين زنكي ، ونور الدين محمود (ملكها في هذه الفترة أرسلان شاه) .
٢. دمشق وما حولها : أعطيت للملك للأفضل نورالدين علي .
٣. مصر : أعطيت للعزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان .
٤. حلب : أعطيت للظاهر غياث الدين أبو منصور غازى .
٥. الكرك والشوبك وبلاد جعبر : أعطيت للعادل سيف الدين بن أيوب (أخي صلاح الدين) .
٦. حماه وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم : أعطيت للملك المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر (ابن أخي صلاح الدين) .
٧. اليمن : أعطي للسلطان ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين بن أيوب (أخي صلاح الدين) .
٨. حمص وأرحبة وتدمر : أعطيت لشيركوه بن شارى
٩. بعلبك وأعمالها : أعطيت للأمجد بن مجد الدين بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهنشاه بن ايوب .
١٠ بصرى واعمالها : أعطيت للظافر بن خضر بن السلطان صلاح الدين .
١١ شيزر : بيد سابق الدين عثمان بن الرايه
١٢ صهيون وحصن برزيه : بيد أبي قبيس وناصر الدين بن كورس بن خمارد كين .
١٣ كوب وعجلون : بيد عز الدين أسامه
١٤ تل باشر : بيد بدر الدين دلدرم بن بهاء الدين باروق
١٥ بعرين وكفر طاب وفاميه : بيد عز الدين ابراهيم بن شمس بن المقدم . (ملخص عن " المختصر في أخبار البشر)

كانوا يخوضونها ضد بعضهم بعضا ،أو ضد أعدائهم ،إذ ما لبثت عوامـــل الإنقسام والشقاق أن دبت بين أبناء"صلاح الدين" أنفسهم ، وانتهز" العادل" ـ أخو صلاح الدين ـ تلك الفرصة ورأى أن يجمع هذا الشتات تحت إمرته فلم يترد د في فرض سلطانه على مصر إلى جانب أملاكه في الشام ، وهكذا لم يمض على وفاة " صلاح الدين " سوى سبع سنوات حتى طوى " العادل " معظـــم أولئك الأبناء فقد قال "إنه قبيح بي أن أكون أتابك صبي مع الشيخوخـــة والتقدم ، والملك ليس هو بالإرث ، وإنما هو لمن غلب ". (١)

ورغم كل ذلك فان " العادل " لم يستطع أن يسيطر على كل ما تركه " صلاح الدين " بل ظلت الدولة مقسمة إلى سبعة أقسام (٢) ، وكثيـرا ما استقل بعضها باستقلالا تاما عن مصر ، وخضع لها البعض الآخر خضوعـــا إسميا (٣) ، وكثيرا ما كان يحتدم النزاع بين حكام هذه البلاد فيستعـــين الواحد منهم على الآخر بعد و ثالث ، بل وصل الأمر الى استعانة بعضهـــم

---

١. "السلوك لمعرفة د ول الملوك للمقريزى" ج ١ ص ١٥٥
وكتاب " المغول "في التاريخ " للدكتور (الصياد) ص ٨٨
٢. كانت مقسمة في عهد العادل كمايلي:(عن المختصر في اخبار البشر)
  ١. حماة (وتوابعها) للملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر (ابن أخي صلاح الدين) .
  ٢. حمص (وتوابعها) لشيركوه بن محمد بن شيركوه بن شارى
  ٣. د مشق : للمعظم عيسى بن العادل
  ٤. الجزيرة : للاشرف موسى
  ٥. قلعة جعبير : للحافظ ارسلان
  ٦. مصر : للكامل ٧. ديار بكر : للاوحد الايوبي
٣. حافظ حمدى : الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ص ١٢٠

بالصليبيين على أقاربهم من الأيوبيين . (١)

وعلى هذا فإن بلاد الشام أيضا كانت في حالة من الإنقسام والحزازات والتباغض والشحناء أشد مما كانت عليه ايران ، وخراسان ، والعراق أضف الى ذلك أن هذه البلاد كانت قد وصلت الى حالة شديدة من الضعف نتيجة للحروب الصليبيه التي خاضتها لمدة قرن من الزمان ،تصد تلك الحملات فلما شن "المغول" غاراتهم المدمرة على البلاد الاسلامية كان من الطبيعي أن يقف حكام تلك المناطق في حالة عجز تام عن مد يد العون لاخوانهم في الشرق ، وكل ما فعلوه أنهم وقفوا يرقبون المعركة في غير اهتمام ولا بعد نظر منتظرين ماسيحل بهم . (٢)

كما أن سلاجقة الروم المسلمين كانوا في نزاع دائم مع الدولة البيزنطية ثم مع الصليبيين ،فهم أول من تصدى للحملة الصليبية الاولى من القوى الإسلامية كما أن حكام هذه الدولة كانوا في نزاع مستمر مع غيرهم من السلاطين المسلمين .

من هذا العرض السريع يمكننا أن نتوقع النتيجة الحتمية للمعركة القادمة التي ستنشب بين المسلمين من ناحية ، وبين القبائل المغولية من ناحية أخرى .

---

١ . "المغول في التاريخ" للصياد ص ٨٨

٢ . نفس المصدر ص ٨٩

المبحث الثالث

الخلافات المذهبية

كان للخلافات المذهبية أسوأ الأثر في نفوس الناس ، وفي تفرقهم شيعا واحزابا ، وقد قامت بينهم الحروب الطاحنة التي أزهقت كثيرا من الارواح وخربت بسببها البيوت ، ومن المعروف تاريخيا أن مجتمع بغداد كان يتكون من مسلمين سنيين ، وشيعه ، ونصارى ، ويهود ، وكانت تقوم بين هؤلاء مناقشات دينية تنتهي أحيانا بقتال شديد يضطر الدولة للتدخل بجيشها لإنهائه . (١)

على أن أشد المعارك ضراوة تلك التي كانت تقوم بين الشيعة (٢)

---

١. "المغول " د . الباز ص ٢١٥

٢. الشيعة : هم الذين شايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وقالوا بإمامته ، وخلافته أيضا ووصايته إما جليا أو خفيا ، وأن الإمامة لا تخرج عنه ، وعن بنيه إلا بظلم من غير ذلك الإمام ، أو بتقية منه لغيره (صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٢٦) قال الشهرستاني في " الملل والنحل "ويجمعهم القول بوجوب التعيين للإمام ، والتنصيص عليه ممن قبله ، وثبوت عصمة الأئمة وجوبا عن الكبائر ، والصغائر والقول بالتولي للأئمة والتبرؤ من غيرهم . وقال في التعريف (الشهرستاني) ـ أنظر صبح الاعشى ج ١٣ ص ٢٢٦ وما بعدها) يجمعهم حب علي رضي الله عنه وتختلف فرقهم فيمن سواه ، فأما مع إجماعهم على حبه فهم مختلفون في اعتقادهم فيه ، فمنهم أهل غلو مفرط ، وعتر (فروع) زائدة ،

أنه ارتكب كثيراً من الفظائع ، فقتل الرجال ، وسبى النساء ، وسفك الدماء وهتك الأعراض ، (١) واستباح الحرمات ، فكان لهذا التصرف أسوأ الأثر في نفوس الشيعة فنقموا على " المستعصم " وعلى إبنه ، وقد أثار هذا الحادث كوامن الأحقاد على الدولة العباسية فكرهوها ، وتمنوا زوالها ، كما أن وزير الخليفة " مؤيد الدين بن العلقمي " - الذى كان من كبار الشيعة - تألم جداً لوقوع هذا الحادث ، وكاتب المغول سرا (٢) وهون عليهم أمر احتلال بغداد ، ونصح الخليفة بمصانعة المغول وإرضائهم ببعض المال الذى يوفره من تسريح الجيوش الكثيرة العدد التي ينفق عليها المال بدون حاجة اليها (٣) وقد كانت هذه النصيحة القشة التي قصمت ظهر البعير .

= يقول بإمامتهما ، ولا يتبرأ منهما ، رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة (انظر مقدمة ابن خلدون ص ١٩٨ الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) . قال الشهرستاني في التعريف (الملل والنحل) (وهم مسلمون ، إلا أنهم أهل بدعة كبيرة سبابه) ويرون جواز التقية ، وخطأ من أعان الشيخين على الخلافة ، ويقولون ببقاء حكم المتعة ، وهي النكاح المؤقت الذى كان في صدر الإسلام ويقولون باشتراط العصمة في الأئمة .

١٠ المختصر في اخبار البشر لابي الفداء ج ٣ ص ١٩٣

٢٠ "البداية والنهاية " لابن كثير ج ١٢ ص ٢٠١

٣٠ المختصر في اخبار البشر لابي الفداء ج ٣ص ٢٠٢
والبدايه والنهايه لابي كثير ج ١٢ ص ٢٠١-٢٠٢

ويورد " رشيد الدين روابة الشيعة الفرس ،التي تعتبـــــر " دوادار "(١) الخليفة " أَيبك " ـ وهو سني ـ مسئولا عن هذه الكارثة ، إذ أن دراية " أَيبك " التامة بضعف الخليفة ،واستناده "ايبك " إلى تأُييد السنيين أثار خوف الخليفة وذلك بتهديده بعزله عن الخلافة ،فاتهم الوزير ابن العلقمي بأنهيتآمر مع المغول . (٢)

على أَنه من المؤكد أَن ابن العلقمي كاتب المغول بدليل أُن المغول لم يتعرضوا له بأَي أذى ولا لأُهل بيته .

ويدل اختلاف الروايتين على الإنقسام الشديد في بغداد بين أَهل السنة والشيعة ،الذى أَفاد منه " المغول "(٣) إلا أن " المغول " لم يفرقوا في مذابحهم للمسلمين بين سني وشيعي ،وفي هذا عبرة دائمـــــة وتذكرة صارخـــة .

---

١٠ الداودار : كلمة فارسية معناها كاتب

٢٠ "جامع التواريخ " رشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٢٦٢ -٢٦٣ (الترجمة العربية) .

٣٠ " المغول " للدكتور الباز ص ٢١٥

المبحث الرابع

انتشار الموبقات في المجتمع الاسلامي

أولا : الخمر

(وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) (١) صدق الله العظيم .

حرّم الإسلام كل مسكر بطريقة سهلة ميسورة وعلى مراحل ، والتزم المسلمون بأمر الله ، فعندما سمعوا قول الله " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ " (٢) قالوا : انتهينا يارب ، وقام كل واحد منهم إلى ما عنده من الخمر ، وسكبها " فجرت في سكك المدينة ".(٣)

وقد أجمع الفقهاء على أن كثير الخمر وقليله حرام لأن " ما اسكر كثيره فقليله حرام " وأما النبيذ فمسكره محرم ، وقد اجتهد بعض فقهاء الحنفية في العراق ، وحللوا بعض الأنبذه غير المسكرة ، فشرب الخلفاء وبعض الناس هذه الأنواع غير المسكرة ، ثم لم يلبثوا أن تجاوزوا ما حلله

---

١. سورة الاسراء آيه ١٦

٢. سورة المائدة آية ٩٠ ، ٩١

٣. انظار تفسير ابن كثير سورة المائدة

الاحناف الى السكر المحرم من الانبذة والخمور ، وفي ذلك يقول ابن الرومي :

أباح العراقي (١) النبيذ وشربه ... وقال حرامان المدامة والسكـر

وقال الحجازى (٢) الشرابان واحد ... فحل لنا من بين قوليهما الخمـر

سآخذ من قوليهما طرفيهمـا ... وأشربها لا فارق الوازر والوزر (٣)

فقد جاء ابن الرومي بمذهب ثالث وهو تحليل جميع أنواع الخمر وتبعه في ذلك كثير من مُجّان الشعراء والناس ، وقد بدأ الخلفاء بشرب النبيذ غير المسكر ، كما ذكرنا ، ثم تورطوا وشربوا أنواعا مسكرة ، وتبعهم في ذلك وزراؤهم وندماؤهم وكثير من كبار رجال الدولة والأمراء . (٤)

وكان يحلو لهؤلاء الشرب في البساتين بين الأزهار ذات الروائح الطيبة وتحت الأشجار الوارفة الظلال بينما يغني المغنون بين أيديهم .

وقد أدمن بعض الخلفاء شرب الخمر ، وحولوا قصور الخلافة في بعض الأوقات إلى مقاصف للشراب والسماع والغناء ، وكذلك كانت قصور كثير من الأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة ، وعلية القوم . (٥)

وكان الخليفة العباسي " الراضي " عاهد ربه ألاّ يشرب وظل على ذلك سنتين من خلافته مع إذنه لجلسائه وندمائه بالشرب ، ثم وجدوا له رخصة من

---

١. يقصد ابا حنيفه
٢. يقصد مالكا
٣. ديوان ابن الرومي ج ٣ ص ٩٨٣-٩٨٤ تحقيق الدكتور "حسين نصار"
٤. "تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الثاني " د . شوقي ضيف
٥. "البداية والنهاية " لابن كثير ج ١١ ص ٣٤

يمينه فكفر عنها ، وعاد إلى الشراب ، وآخر الخلفاء العباسيين " المستكفي " كان قد ترك الشراب ، فلما ولي الخلافة دعا به توا ، وعاد الى شربه . (١)

وكان الذين يشتغلون في الحانات ـ رجالا ونساء ـ من غير المسلمين بل والمشرفون عليها كانوا من اليهود والنصارى ، وكانوا حريصين جداً على نشر هذه الآفات في المجتمع الإسلامي ، ونشر الشعر الذى يدعو إلى الخلاعة وتلحينه وغنائه ، ونشر الشراب ، ودفع الشباب إلى التفتيش عن المرأة وجمالها ووصلها ، ذلك لأنهم يعلمون أن هذه هي أقصر الطرق إلى تسهيل القضاء على المسلمين ، والدعوة الإسلامية ؛ بتحطيم المجتمع الإسلامي من الداخل وذلك بدفع الشباب المسلم إلى إشباع البطن والفرج ، وحصر تفكيره ونشاطه في ذلك ، وقد قال الجاحظ :

" ومن تمام آلة الخمار أن يكون ذميا ، وأن يكون اسمه " أذين " أو " مازيار " أو ازدانقاذار " أو " ميشا " أو "شلوما " ويكون أرقط الثياب . " .

وكانت الحانات مملوءة بالجوارى الفاتنات ، وغالبا ما كن أجنبيات من أجناس مختلفة ، والشباب والشعراء يأتون إليهن ، وكن يعرضن أنفسهن على الشباب والشعراء بلا تحفظ ، وبلا حشمة أو كرامة ، وكن يتفنن في الحيل التي يجذبن بها الشباب ، ويستكثرن من العشاق بطرق غير مستقيمة فكن سببا في كثير من الفجور والمجون وكل شيء حولهن يدفعهن إلى هذا السلوك الآثم . (٢)

---

١. " مروج الذهب ومعادن الجوهر " للمسعودى م ٢ ج ٤ ص ٣٦١

٢ " تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الثاني " د . شوقي ضيف ص ٩٣ و ٩٤ .

وصور الجاحظ ذلك فقال (١) "كيف تسلم القينة من الفتية أو يمكنها أن تكون عفيفة ، وإنما تكتسب الأهواء وتتعلم الألسن والأخلاق بالمنشأ ، وهي إنما تنشأ من لدن مولدها إلى أوان وفاتها فيما يصد عن ذكر الله من لهو الحديث . . . . . . و . . . . . وبين الخلعاء والمجان، ومن لا تسمع منه كلمة جد ، ولا يرجع منه إلى ثقة ولا دين ، ولا صيانة مروءة ، وتروى الحاذقة منهن أربعة آلاف صوت (أغنية) فصاعداً يكون الصوت فيما بين البيتين إلى أربعة أبيات ، وعدد ما يدخل في ذلك من الشعر إذا ضرب بعضه ببعض عشرة آلاف بيت ، ليس فيها ذكر الله إلا عن غفلة ، ولا ترهيب من عقاب ، ولا ترغيب في ثواب ، وإنما بنيت كلها على ذكر الزنى والقيادة والعشق والصبوة ، والشوق ، والغلمة . (٢)

وفي سبيل القضاء على الدعوة الإسلامية وتحطيم الإسلام في نفوس المسلمين حوّل النصارى أديرتهم إلى دور للعبث ، واللهو الماجن ، وساعدهم على ذلك ما كانت تحويه تلك الأديرة من خمور معتقة تقدمها لروادها وكانت هذه الأديرة متناثرة في ضواحي بغداد " وسامراء" وفي طول البلاد الإسلامية وعرضها فأكثر الشعراء والشباب من الإختلاف اليها طلبا للخمر والمجون ، وأكثروا من التغني بها ووصف متاعهم بخمورها ونشوتها وسقاتها من الرهبان والراهبات حتى لقد ألفت الكتب في ذلك مثل كتاب "الديارات"

---

١ . "كتاب القيان " رسائل الجاحظ ج ٢ ص ١٧٦ (الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة) .

٢ . الغلمة : شدة الشبق او النهج الجنسي

"للشباشتي" ، وهو يكتظ بأشعار ابن المعتز ، وغيره ، ومن شعره في ذكر لياليه" بالمطيره " احدى منتزهات سامراء" وبالكرخ وحاناته و " بدير السوسي " وراهباته (١) .

يا ليالِيَّ بالمطيرة والكـــر   خ ودير السوسيِّ بالله عودى
كنت عندى أُنموذجات من الـ   جنه لكنها بغيـــر خلــــود (٢)

وكان لكل دير عيد تقريبا يخرج فيه الناس إليه للهو والمجون ، والهزل ، وكانت هذه الأَديرة تستغل أَعياد النصارى لدعوة شباب المسلمين وتسهيل وصولهم إلى الموبقات ومن تلك الأَعياد " عيد الميلاد " الذى كانوا يكثرون فيه من إيقاد الشموع والنيران (٣) ومنها عيد " الشعانين " أَو " عيد الزيتونه" وهو يقع في يوم الأَحد الذى يسبق " عيد الفصح " من كل سنة" وعيد الفصح" وكان يحتفل فيه " دير سمالو " شرقي بغداد ، ولا يبقى أَحد من أَهل الطرب واللهو إلا قصده للقصف والمجون ، وفيه يقول " محمد بن عبد الملك الهاشمي" (٤)

ولرب يوم في "سمالو " تم لـي   فيه السرورُ وغيبت أَحزانــه
فتلاعبت بعقولِنا نشواتُــــــه   وتوقدت بخدودِنا نيرانُــه
حتى حسبت لنا البساطَ سفينةً   والديرُ ترقصُ حولنا حيطانُهُ

وكان يقام في " اكتوبر " عيد للقديسه " أشموني " في " قُطْرَبُّلْ " وهي قريــــة في شمال بغداد كانت أَشبه بحانة للخمارين ، وكان الناس يذهبون من بغداد

---

١ . لتفصيل أُكثر أُنظر " تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الثاني" للدكتور د شوقي ضيف ص ٩٤
٢ . الديارات : للشابشتي ص ١٤٩
٣ . "الكامل في التاريخ " لابن الاثير الجزء الثامن ص ٢٢٢
٤ . الديارات "للشاشتي " ص ١٤

وسامراء إلى هذا العيد من طريق الدواب برا ، والسفن في دجلة بحـــرا متنافسين فيما يظهرونه هناك من زيهم ، وزينتهم ، ومباهين بما يعد ونـــه لقصفهم ، وكانوا يضربون في شط القرية وديرها وحاناتها وأكنافها الخيـــم والفساطيط ، وتعزف عليهم القيان ، وهم يحتسون كئوس الخمر .

وبالمثل كانوا يصنعون في عيد " دير الزند ورد " بالجانب الشرقـي لبغداد وفيه يقول " جحظله " :

سقيا ورعيا لدير "الزند ورد" وما   يحوى ويجمع من راح وريحـــان

دير تدور به الأقداحُ مترعـــةً   من كف ساق غَريض الطرف وسنان

والعود يتبعه ناى يوافقــــه   والشد و يحكمه غصن من البان (١)

وبالإضافة إلى الأعياد النصرانية التي كانت تقام فيها الحفلات الماجنة الداعرة أُحيا الفرس أَعيادهم ، وأُخذوا يحتفلون بها ويقدمون من الخمور والمأكولات مالا يتصورة عقل (٢) ومنها " عيد النيروز " في أَول الربيع وهو أَول السنة الفارسية " وعيد المهرجان " في أَول الشتاء ويحتوى ديوان " البحترى " على وصـــف لبعض ما كان يجرى في تلك الأَعياد مثل :

لا تخل من عيش يكر سروره   أَبدا ونيروز عليك معـــاد

وفي بيت آخر :

وكأَن الأَيام أُوثر بالحـــ   ـسن عليها المهرجان الكبير

ولا شك في أَن كل ما ذكرناه أُعد لإنتشار المجون والخلاعة فـــي

---

١ . الديارات "للشابشتي" ٣٣٨

٢ . تاريخ الأدب العربي في العسر العباسي الثاني للدكتور شوقـــي ضيف ص ٩٥

" بغداد " و " سامراء " بل وفي كثير من البلاد الإسلامية ،إذ كانت الخمر في كل مكان تقريبا ، ومعها القيان المبتذلات وعم تبعا لذلك الشعر الصريح بل المفرط في الإباحية ، وفي التعبير عن الغرائز الجسدية التي تدفع الشباب إلى الجرى وراء إشباع غرائزه تاركا واجبه نحو الدعوة الإسلامية ، والثغرة التي هو عليها ليؤتى الاسلام من ناحيته ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ثانياً : الجواري والنساء والغلمان

عن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الدنيا حلوة خضره ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فان أَول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء).(١) صدق رسول الله

انتشر الرقيق في المجتمع ، فقد كان موجودا في كل مكان ، في القصور والأَكواخ ، والمصانع والمزارع ، وكان منهم الزنجي الإفريقي والحبشي والتركي والصقلبي ومنهم الصيني ، والخراساني ، والأَرمني ، والبربرى ، فكان المجتمع الإسلامي في تلك الفترة يجمع كل الأَجناس .

ومع أَن الإسلام قصر الرق على من يوءخذ في الحرب أَسيرًا كافرًا فقد قلد المسلمون الشعوب الأُخرى ، فشاركوهم في تجارة الرقيق وخرجوا بها عن حدودها الشرعية ، فبنوا لها في كل مدينة كبيرة سوقا خاصة يقوم على مراقبتها موظف يسمى "قيم الرقيق" (٢) .

ويذكر اليعقوبي أَن سوق سامراء في القرن الثالث الهجرى كانت مربعة وبها طرق متشعبة ، وفيها الخمر والغرف والحوانيت . (٣)

ومن المعروف أَن الإسلام منع جميع مصادر الرق ، ولم يبق إلا مصدرًا

---

١. مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى ج ٢ ص ٣١٠

٢. تاريخ الأَدب العربي في العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف ص ٨٠

٣. جغرافية اليعقوبي ص ٢٥٩

واحداً فقط " وهو الرق عن طريق الحروب " لاستحالة منعه وذلك لأن الذي يأمر بالمنع لا بُدَّ أن يكون مطاعا من جميع الأطراف ، ولما كانت أوامر الإسلام غير مطاعة عند أعداء الإسلام ، فقد أصبح إلزام المسلمين بالمنع تشجيعا لأعدائهم على محاربتهم ، وأما مصادر الرق الأخرى فقد منعت تماما .

ثم إن هذا المصدر سلط الاسلامُ عليه طرقاً عدة للتخلص منه ، فجعل كفارة كثير من الذنوب عتق رقبه ، وجعل القربى إلى الله في عتق الرقاب .

ثم أمر بحسن معاملة الرقيق " هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فاطعموهم مما تأكلون ، والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم . (١) .

وأمر أن يطعموا من نفس طعام السيد ، وأن يلبسوا من نفس ما يلبس السيد ، وبهذا فإن الإسلام حرص على تحرير الرقيق من الداخل وحث على المكاتبة بين العبد ومولاه ، وهي أن يشترى العبد نفسه ، وأن يكتب الثمن دينا عليه . (٢)

لذلك وجدنا كثيرا من الرقيق يصلون - بعد تحريرهم - الى مناصب عالية في المجتمع الاسلامي أمثال " بلال " مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم ، " وسلمان " الفارسي أمير المدائن ، كما أن "طارق بن زياد" - فاتح الأندلس - كان عبداً لموسى بن نصير ، ومن هؤلاء من كان يتمتع

---

١ . مختصر صحيح مسلم " للحافظ المنذرى تحقيق الشيخ ناصر الدين الالباني الجزء الاول ص ٢٣٨ رقم ٩٠٤ .

٢ . لتفصيل أكثر يراجع موضوع الرق في الاسلام - في كتاب " شبهات حول الإسلام " للأستاذ محمد قطب .

بجاه عظيم مثل قواد الترك طوال العصر العباسي الثاني .

وقد انتشر الخصيان في المجتمع الإسلامي إنتشارا سريعا مع أن الإسلام حرم الخصاء تحريما قاطعا ، فكان العبيد يخصون خارج حدود الدولة الإسلامية ، ثم يجلبون ويباعون في أسواق الرقيق ببغداد ، وغيرها من المدن الإسلامية ويكفي للدلالة على كثرة الخصيان أن نذكر أنه كان في قصر "المقتدر " أحد عشر ألف غلام خصي (١) ، ولو كان في الخبر مبالغة فإنه يدل على كثرتهم الكاثرة في المجتمع يومئذ .

وكان عدد الجواري والإماء في البيوت والقصور أكثر من الخصيان والرجال الأرقاء ، إذ أباح الإسلام للمسلم أن يتملك ما شاء من الجواري والإماء وهذا باب من الأبواب التي تتحرر بواسطتها المرأة ، فاذا حملت ووضعت أصبحت حرة لا يباح بيعها لأنها " أم ولد " وقد كانت أمهات عدد من الخلفاء أمهات أولاد (٢) .

وكثير من الرجال كانوا يفضلونهن على الحرائر اللواتي كانوا يتزوجون بهن ، وهم لا يعرفونهن ، بخلاف الجواري اللائي كن معروضات لهم في الأسواق وبيوت النخاسين ، فكانوا يختارونهن على حسب وقوعهن في نفوسهم ، ومن أجل ذلك كان يندر تزوجهم بأكثر من واحدة من الحرائر ،

---

١ . النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٤ ؛ الفخرى في الآداب السلطانية ص ٢٦٠ .

٢ . منهم "الهادى " والرشيد " وأمهم " الخيزران " والقائم بأمر الله وأمه اسمها " يمنى " و " المقتدى بالله " وأمه " أرجوانه " ـ أرمنية وتدعى " قرة العين " و " المسترشد " وأمه تركية " والراشد وأمه أرمنية ...... (البداية والنهاية ـ الدولة العباسية لابن كثير في مواضع شتى)

فقد كفاهم اتخاذ الإماء هذا التعدد ، فأقبلوا عليه إقبالا كبيرا متخذين من الخلفاء ، والأمراء قدوة لهم ، ويرى ان المتوكل كان لديه اربعة آلاف جارية (١)

ويروى أيضا أن "زيادة الله بن الأغلب" أهدى " المكتفي " حين ولي الخلافة مائة وخمسين جارية ، وقد كانت أمهات كثير من الخلفاء - كما ذكرنا من قبل - من الجواري خاصة التركيات ، والروميات ، وكن يتدخلن في شئون الحكم (٢) .

وكان الناس يغدون ويروحون إلى سوق الرقيق ، ودور النخاسين يتفرجون على الوافدات الجديدات من الجواري الحسان .

وكثيرا ما كانوا يحملون معهم الهدايا للجواري وللنخاسين ، وكان هذا يكلفهم كثيرا من الأموال ، وكانت الجواري يظهرن حبهن الشديد لهؤلاء الزوار ، وكلفهن بهم ، وحزنهن لفراقهم ، أو لتأخرهم في الزيارة ، وربما زودت الواحدة منهن من تظهر له الحب بخصلة من شعرها أو قطعة من ثيابها . (٣)

وكان النخاسون - في سبيل الحصول على المال والهدايا - يتغافلون عن سفاهة بعض الزوار الذين كانت تمتد أيديهم للعبث باجسادهن خاصة إذ كن راضيات عن ذلك ، وفي ذلك يقول (علي بن الجهم) متحدثا عن جوارى نخاس يسمى " المفضل " وابتزاز صاحبهن أموال من يزورونهن (٤)

---

١. تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف ص ٨٣ (ويعزو ذلك لصاحب الاغاني) .
٢. الهداية والنهاية لإبن كثير ج ١١ ص ١٤٦
٣. رسائل الجاحظ القيان ص ١٧٣
٤. تاريخ الأدب العربي للدكتور شوقي ضيف ص ٨٤ نقلا عن ديوان ابن الجهم .

أوانس ما فيهن للضيفِ حشمةٌ ولا ريهن بالمهيب المُعجل
يُسَرُّ إذا ما الضيفُ قلَّ حياؤه ويغفلُ عنه وهو غيرُ مُغَفَّلِ
ولا يدفعُ الأيدى السفيهةَ غيرةً إذا نالَ حَظًّا من لَبوسٍ ومأكلِ
لكَ البيتُ ما دامت هداياكَ جمةً ودمتَ مليًّا بالشراب المعسلِ

ولقد انتشر الغناء والطرب ، وظهر في هذا العصر كثير من المغنين الذين ألَّفوا الكتب وصنفوها ، واخترعوا ألحانا ومزامير ، كما ظهر بعض النساء ممن يُحْسِنَّ هذا الفن ، ويتقنَّه أَمثال " دنانير البرمكية " وكان ممن أَتقن الغناء " فريدة " زوجة " المتوكل " وجارتيه " محبوبه " وقد انكب الناس على الغناء والرقص وعلى الدنيا حتي أن آخر الخلفاء العباسيين هاجمه المغول وهو مشغول بمحظيته التي كانت ترقص له . (١)

وكان للجواري في ذلك الجو المشبع بالموسيقى والغناء أَثر كبير في شيوع الخلاعة والإنحلال الخلقي بين الشباب ، وكثير من الشيوخ ، ومُجّان الشعراء ، إذ أَصبحت قلوبهم مشغولة باللهو والطرب ، والسعي وراء إشباع الغرائز ،

كما انتشر في العصر العباسي ، وخاصة الثاني منه حب الغلمان والغزل بهم ، واتخاذهم بدل الخليلات ، وقد انتشرت هذه الموبقات بين قادة الجيوش والسلاطين ، وقد قال أحدهم من غلامه (... ضياع هذا الغلام مني أشدُ عليَّ من أُخذ " بغداد " من يدى ، بل وأَرض العراق كلها) (٢)

---

١. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٨٢ لابن كثير

٢. نفس المصدر ج ١١ ص ٢٩١

وكان أحدهم يقبل " المردان " من غير ريبة أو خجل . (١)

وكانت تقام الحفلات والسهرات ، للغناء والطرب وكان إذا طرب الملك أو السلطان أعطى عطاء لا يتصور . (٢)

وكان للزانيات والفساق بيوت تكاد تكون معروفة للجميع ، وتنتشر في " بغداد " وغيرها من البلاد الإسلامية الكبيرة ، وكان يردها عدد كبير من الناس يقتلون فيها ثروتهم وأعمارهم غير مبالين بدين ، ولا هيابين من سلطة ولم لا ؟ والناس على دين ملوكهم . (٣)

ولم يقتصر الفساد على الجواري والغلمان ، بل تعداه في أوقات كثيرة الى الحرائر (٤) ، ولا شك في ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم . . . ." (٥) .

وكان زمان آخر الخلفاء العباسيين ينقضي أكثره في سماع الأغاني ومما اشتهر عنه أنه كتب الى " بدر الدين لؤلؤ " صاحب الموصل يطلب منه جماعة من ذوى الطرب ، وفي نفس الوقت وصل رسول " هولاكو " إلى صاحب الموصل نفسه يطلب منه منجنيقات ، وآلات حصار ، فقال "بدر الدين" "أنظروا الى المطلوبين ، وأبكوا على الإسلام واهله " (٦)

---

١. البداية والنهاية لابن كثير ج ١١ ص ٢٩١
٢. نفس المصدر ج ١٢ ص ٩٢
٣. نفس المصدر ج ١٢ ص ٢٢١
٤. نفس المصدر ج ١١ ص ٣٥٢
٥. وبقية الحديث (. . . . وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه اخوه متنصلا فليقبل ذلك منه محقا كان أو مبطلا ، فإن لم يفعل لم يرد على الحوض . رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة - الحديث صحيح - أنظر السيوطي في الجامع الصغير .
٦. الفخرى في الآداب السلطانية لإبن طباطبا ص ٢٩٠

ويجب ألّا يتبادر إلى أذهاننا أن المجتمع الإسلامي كله انقلب إلى مجتمع فاسد بعيد عن الاسلام ، فقد كان المجتمع مجتمعا إسلاميا وكانت طبقة العامه فيه - التي تمثل الأغلبية - حسنة الإسلام تتمسك بفرائضه وسننه ، وشعائره ، ولم تكن تعرف الترف ولا ما يجر إليه من مجون وانحلال وفساد في الإخلاق ، إنما كانت تعرف الشظف والبؤس والحرمان ، وكانت ساخطة سخطا شديداً على المجّان والمنحلين ، وكان المؤمنون يعمرون مساجد الله ، وكان حملة الدعوة الاسلامية لا يزالون يُذكّرون الناسَ بالله واليوم الآخر ، وأنهم معروضون يوم الحساب فإما الجنة والنعيم وإما النار والجحيم ونشأت في تلك الفترة طبقة من الزهاد ، عاشوا معيشة كلها شظف وتقشف وتبتل وعبادة . (١)

ولكن الطبقة الفاسدة المترفة هي التي كانت تقود الأُمة ، وتمسك بزمامها ، فقادتها إلى محاربة الفضيلة ، ونشر الرذيلة ، تحقيقا لرغبات هؤلاء المترفين وارضاء لشهواتهم ثم سيطرت طبقة (العسكر) على أُمور الناس فقادوهم الى محاربة بعضهم بعضا وصولا إلى الحكم ، ولتوسيع رقعة الأَرض التي تحت أَيديهم ، فأَضعفت هذه التصرفات الغبية الأُمة الإسلامية وجعلتها هشة ضعيفة خائرة مثل بيت العنكبوت ، فانهارت تحت ضربات أَعدائها المتربصين بها من كل جانب ، كما سنبين ذلك في الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

---

١ . تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف ٩ ١٠٥



الفصل الثاني

هجوم المغول على المسلمين

بعد أن وصلت الأمة الإسلامية في تلك المناطق من العالم الإسلامي إلى ذلك الإنحراف الخطير عن الإسلام ، والدعوة الإسلامية ، وبعد أن نسوا الله ، وانحرفوا عن سبيله ، واتبعوا الشيطان ، وتحكم في رقابهم شرارهم ، أصبحت هذه الأمة جاهزة للسقوط ومهيأة لتلقي عقوبة الهية قاسية بسبب ذنوبها وتفريطها .

وقد صاحب هذا الوضع الاسلامي السيء ، قيام دولة فتية "للمغول" على حدود المسلمين الشرقية ، توحدت تحت قيادة " جنكيز خان " الذى لَمَس -كما مر بنا - تفرق المسلمين ، وخلافاتهم ، وحروبهم فأطمعه ذلك الوضع في ضم بلادهم إلى ملكه ، على ما نبينه في المباحث التالية :

المبحث الاول

القضاء على الدولة الخوارزمية

لقد أصبحت أملاك " جنكيز خان " مجاورة لأملاك الدولة الخوارزمية بعد أن تغلب على جميع القبائل المجاورة له ، ووحدهم تحت سلطانه ، وقد حرص " جنكيز خان " على تأمين طرق التجارة بين أملاكه ودول العالم الأخرى فأبرم معاهدة تجارية مع السلطان " محمد خوارزم شاه " جعلت التجارة حرة بين أملاكهما ، وتعهدا بالمحافظة عليها ، وتوفير الحماية لها في بلديهما

إلا أَن عامل السلطان في " أُترار " - على الساحل الغربي لنهر سيحون - اعتدى على إحدى القوافل التجارية ، فقتل التجار الذين كانوا يحملون بضائع مغولية واستولى على ما كان في حوزتهم من بضائع ثمينة ، فغضب " جنكيز خان " غضبا شديداً ، وهاج وماج ، ثم أَرسل إلى السلطان مع بعض الرسل يطلب منه أَن يسلمه حاكم " أُترار " ليعاقبه العقاب الذى يستحقه حقنا للدماء ، إلا أَن السلطان أَخذته العزة بالإثم ورفض طلبه فكانت الحرب بينهما (١) .

كون " جنكيز خان " جيوشا أَربعة كان الأَول بقيادة ولده " جغتاى " وجّهه إلى " أُترار " فاستولى عليها بعد مقاومة عنيفة وخاصة من قبل "ينال خان" حاكم " أُترار " الذي أُلقي القبض عليه وأُرسل إلى " جنكيز خان " فقتله بطريقة بشعة جدا ، وقتلوا جميع من وجد وهم في طريقهم ، ثم أَخذوا بقية السكان أَسرى ، ونهبوا جميع ما في المدينة .

توجه الجيش الثاني بقيادة " جوجي بن جنكيز خان " الى " جند " وفعلوا بها كما فعلوا بأُترار ، وتوجه الجيش الثالث بقيادة " أُوكيتاى بن جنكيز خان " إلى (بناكت) و " خجند " والوادى الأَعلى لنهر سيحون ، ولم تكن هذه المدن أَحسن حظا من سابقاتها .

وأَما الجيش الرابع الذى قاده " جنكيز خان " نفسه ، يساعده إبنه " تولوى " فقد توجه الى " بخارى " فحاصرها وعرض أَهلها عليه التسليم فتظاهر بالموافقة ، وبعد ذلك أَخذ سادة المدينه وزعماءها وطلب إليهم أَن يخدموا الخيول ويحافظوا عليها ، وبعد أَن نهبوا المدينة مزقوا سكانها

---

١ . "سيرة جلال الدين منكبرتي " للنسوى ص ٨٧

كل ممزق ، فمنهم من قتل ومنهم من أُسر ، وقليل منهم هرب بعد أَن فقد أعز ما يملك من مال وولد وعرض . (١) .

ثم توجه " جنكيز خان " إلى " سمرقند " واحتلها وفعل بها كما فعل ببخارى من قتلٍ ونهبٍ وتشريدٍ وأَسر ، وبسقوط هذه الأَجزاء من الدولة الخوارزمية أَصبحت الأَجزاء الأُخرى مفتوحة سهلة الإحتلال أمام الغزاة .

وأَما عن السلطان " محمد خوارزم شاه " الذى كان مستأسداً على إخوانه من المسلمين ، فقد فرَّ دون أَن ينازل "المغول " في معركة من المعارك ، وبقيت القوات المغولية تلاحقه من مدينة إلى أُخرى حتى وصل الى إقليم " مازنران " ، وعندما سمع بوصول المغول إلى هذا الإقليم

---

١ . ويصف إبن الاثير حالة الناس في " بخارى " يوم سقوطها فيقول ((.... ودخل الكفار البلد فنهبوا وقتلوا من وجدوا فيه ... وأحاط بالمسلمين فأمر أصحابه أن يقتسموهم ، فاقتسموهم . وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من الرجال والنساء والولدان ، وتفرقوا ايدى سبأ ، وتمزقوا كل ممزق ، واقتسموا النساء أيضا ، وأصبحت " بخارى " خاوية على عروشها كان لم تغن بالأمس ، وارتكبوا من النساء العظيم ، والناس ينظرون ويبكون ، ولا يستطيعون أن يدفعوا من أنفسهم شيئا مما نزل بهم ، فمنهم من لم يرض بذلك واختار الموت على ذلك ، فقاتل حتى قتل ... ومن استسلم أخذ أسيرا ، والقوا النار في البلد والمدارس ، والمساجد ، وعذبوا الناس بانواع العذاب)) .

(الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٣٢)

ورآهم يهجمون عليه ركب في سفينة وأَبحر بها إِلى إِحدى الجزر في بحـــر قزيون ، بينما كانت سهام الأَعداء تنهال عليه .

ولعل من العبرة لحملة الدعوة الإِسلامية نقل وصف النسوي لحال السلطان لما فيها من موعظة حسنه لمن يقبل على الدنيا ظنا منه أن عزهـا دائم ، ولا يدرك ذلك إِلا بعد فوات الأَوان .

يقول النسوي " حدثني غير واحد ممن كانوا مع السلطان فـي المركب قالوا : " كنا نسوق المركب بالسلطان من علة (ذات الجنب) ما آيسه من الحياة ، وهو يظهر الاكتئاب ضجراً ويقول : لم يبق لنا مما ملكناه من أقاليم الأرض قدر ذراعين نحفر فنقبر ، فما الدنيا لساكنيها بدار ، ولا ركونه إِليهـا سوى انخداع واغترار ، ما هي إِلا رباط يدخل من باب ويخرج من باب ، فاعتبروا يا أُولي الأَبصار "(١) .

عاش السلطان في الجزيرة شهراً في محنة وكرب ثم مات بعد أن عهد بالبيعة لولده " جلال الدين منكبرتي " وكان موته في شوال ٦١٧ هـ (١٢٢١م) ، ومن العبر البالغة أن أَتباعه لم يجدوا كفنا يكفنونه به .. وأَخيرا صنعوا له كفنا من قميص واحد منهم ، ودفن بالجزيرة . (٢)

أَمر " جنكيز خان " أَولاده " جغتاى " و " أُوكيتاى " و " جوجي " بالتوجه إِلى " جرجانية " وبعد أَن اجتمعت قواتهم حول المدينة طلبوا من سكانها التسليم ، فرفضوا فحاصرها المغول إِلى أَن فتحت عنوة فاعطوا السيف

---

١ . "سيرة جلال الدين منكبرتي" للنسوي ص ١٠٦_١٠٧

٢ . "المغول في التاريخ" للدكتور الصياد ص ١٢٣

في رقاب الرجال ، وأَسروا النساء والأَطفال ، ويقال إِنه خص كل جنـــدي أَربعة وعشرون شخصاً . (١)

ثم فتح "تخشب" و "ترمذ" و "بلخ" وبعد ذلك تـــرك "جنكيز خان" مهمة فتح بقية هذا الإِقليم لابنه "تولوى" وسار هو نحـــو "الطالقان" ليخضعها .

توجه "تولوى" إلى "نسا" فحاصرها واستمر القتال ليلا ونهـارا إلى أَن سقطت وعندئذ ارتكبوا في الأَهالي أَشد الفظائع ، وأَنزلوا بهـــا أَقسى الاهوال . (٢)

---

١. "المغول في التاريخ" للدكتور الصياد ص ١٢٣

٢. يقول النسوي : (فساقوهم إِلى فضاء وراء البساتين ..... كأَنهم قطعان الضائيه تسوقها الرعاة ، ولم يمد "التتار" أَيديهم إلى سلب أَو نهب إِلى أَن حشروهم إِلى ذلك الفضاء الواســـع بالصغار والنساء ، والضجيج يشق جلباب السماء ، والصياح يسد منافذ الهواء ، ثم أَمروا الناس بأَن يكتف بعضهم بعضا ، ففعلوا ذلك خذلانا ، وإِلا فلو تفرقوا ، وطلبوا الخلاص عدوا من غير قتال والجبل قريب لنجا أَكثرهم ، فحين كتفوا جاءوا إِليهم بالمقـوس وأَضجعوهم على العدا ، وأَطعموهم سباع الارض ، وطيور الهـــواء فمن دماء مسفوكه وستور منهوكه وصغار على ثدى أُمهاتها المقتوله متروكه ، وكان عدد من قتل بلسان من اهلها ، ومن انضوى اليها من الغرباء ورعية بلدها سبعين الفا (سيرة جلال الديـــن منكبرتي ص ١١٤ - ١١٥) .
العدى والعدا مقصور عداء ومفرده عدو وهو حجر رقيق يستر بـــه الشيء وعدو كل شيء طواره (والمعنى أَنهم أَضجعوهم على حجارة رقيقه وذبحوهم) (نفس المصدر هامش ص ١١٥) .

ثم توجه إلى مرو " التي كانت تزخر بالمكتبات وتموج بالعلماء والأُدباء (١) وفتحها ولم يبق فيها إلا أربعمائة شخص من أرباب الحرف.

ذهب بعد ذلك إلى " نيسابور " فاحتلها وارتكب فيها مذابح فظيعة إذ لم يبقوا فيها أحدا حتى لقد قتلوا القطط والكلاب ، وعملوا من رؤوس القتلى أهراما ،ليتأكدوا من موت الناس جميعا ، ثم توجه " تولوى " الى " هراة " فاحتلها وقتل من سكانها أثنى عشر ألفا . (٢)

ذكرنا سابقا أن " جنكيز خان " ذهب من " بلخ " الى "الطالقان" وقد فعل بأهلها مثلما فعل باولئك ، ثم سار الى " باميان " فعصاه أهلها وقاتلوا المغول قتالاً شديداً ، ولكنها فتحت أخيرا ،فقام "المغول " بقتل كل من فيها حتى الدواب ، والأجنه ولم يأسروا منها أحداً قط بل تركوها أرضا قفرا لا يسكنها أحد وسموها " ماوباليغ " أى " مدينةالبؤس" (٣) .

عرفنا أن السلطان " محمد خوارزم شاه " قد عهد بالملك لإبنه "جلال الدين منكبرتي " وقد أثبتت الأيام أن "جلال الدين "كان فارسا شجاعا ،فعندما ولي الحكم جمع جيشا كبيرا من مختلف الأجناس ، ودخل بهم في معركتين مع المغول في سهول " براون " شمال شرق " فزنه " واستطاع أن يهزم المغول فيهما هزيمة نكراء ، وفكر في مواصلة القتال ضدهم إلا أن قائدين كبيرين من قواده اختلفا على الغنائم فانسحبا بقواتهما ،مما جعل "جلال الدين " عاجزا عن مواجهة المغول ،فانسحب إلى غرب نهر السند وهناك

---

١. معجم البلدان : لياقوت الحموى ج ٤ ص ٥٠٩ - ٥١٠

٢. "المغول في التاريخ " للدكتور الصياد ص ١٣٢

٣. "العراق بين احتلالين " عباس العزاوى ج ١ ص ١٢٦

على الشاطيء وجد نفسه محاطاً بالجيش المغولي ، فاضطر إلى الدخول معهم في معركة غير متكافئة بقواته الصغيرة ، وقد أظهر بطولة نادرة ، ولكنه أدرك في النهاية أنه خسر المعركة ، فعبر النهر هاربا على ظهر جواده ، وتبعه عدد من جنوده الذين مات أكثرهم غرقا أو بسهام "المغول" (١) .

من هذا العرض السريع لحروب المسلمين ، في هذه المنطقة من العالم الإسلامي - مع المغول نجد أن كثرتهم كانوا شديدي الحرص على الحياة ، فكانوا دائما أسرع إلى فقدانها بطريقة بشعه ، وأن هؤلاء الذين كانوا أبطالا شجعانا في محاربة بعضهم بعضا ، نجدهم رعاديد جبناء وبشكل يثير الإشمئزاز أمام الأعداء ، وأن خلافاتهم لم تنته حتى أثناء خوضهم لأشد المعارك ضراوة مع الاعداء ، وأنهم لم يخفوا لنجدة اخوانهم رغم علمهم الأكيد أن الخصم الذى يذبح إخوانهم قادم لذبحهم لا محاله .

---

١ . "سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي" للنسوي ص ١٦٠

المبحث الثاني

القضاء على الطائفة الإسماعيلية

هناك سببان أساسيان دعوا المغول إلى القضاء على هـــــذه الطائفة :

أولهما : أدرك " المغول " - عند ما كانوا يفكرون في إزالة الدولة العباسية - أن هذه الطائفة ستكون شوكة في ظهورهم ، وأنها قد تحول بينهم وبين تحقيق أطماعهم في السيطرة على القسم الغربي من العالم الاسلامي .

ولا بد أنه نمى إلى علمهم ما قام به بعض أفراد هذه الطائفة - بعد أن اجتاحت جيوش " المغول " الصين ، واوروبا ، وخراسان ، والعــراق العجمي وآسيا الصغرى - من محاولة لتأليف جميع الشعوب المعرضة للخطـــر المغولي- حتى أولئك الذين يناصبونهم العداء - في حلف واحد لمقاومـــة المغول ، بل امتدت هذه المحاولة إلى أوروبا . ففي سنة ٦٣٧هـ (١٢٣٨م) أرسلوا الى ملكي انجلترا وفرنسا يطلبون مساندتهما ، غير أنهم لم يلقوا آذانا صاغية . (١)

وثاني تلك الأسباب : الأعمال الإجرامية ، والعنت ، والإرهاب ، والظلـــم الذى أذاقته هذه الطائفة للمسلمين الذين كانوا تحت حكم " المغول " فـــي منطقة قزوين لأنهم كانوا يخالفونهم في المذهب ، فقد ضج هؤلاء المسلمــون بالشكوى الى " منكو خان " وأشاروا إلى أن هذه الطائفة يخالفون في عقيدتهم ديانات النصارى والمسلمين ، والمغول ، ويذكر صاحب طبقات ناصرى (٢)

---

١. انظر كتاب البعثة التبشيرية للمغول ص ١٤
1. The Mongol Mission P.14

٢. المغول في التاريخ للدكتور الصياد ص ٢٣٦ نقلا عن طبقـــات ناصرى للجوزجاني ٤١٣ - ٤١٤ .

أن القاضي " شمس الدين أحمد الكافي القزويني " كان على اتصال بالمغـــول وكان إماما وعالما كبيرا ، ذهب مرة الى " منكو خان " وطلب منه أن يضع حـــدا لشر " الملاحدة " ويخلص الناس من فسادهم .

إنطلق " هولاكو " على رأس جيش كبير من عاصمة " المغول " (قراقورم) سنة ٦٥١هـ (١٢٥٣م) تسارع أمراء المناطق في تسهيل الطرق وتنظيمها أمام هذا الجيش وقدموا له كل مساعدة ممكنة ، وكان موضع تكريم جميع الوجوه والأعيان ، واحترامهم في إقليم خراسان ، وقد أسرع هؤلاء إليه بقدمـــون هداياهم ، وفروض الولاء والطاعة ، وقد وجه " هولاكو " رسائل إلى الملـــوك والسلاطين في إيران يطلب منهم أن يساهموا معه في حملته ، فإن فعلـــوا فسوف تبقى لهم ولاياتهم وإلا فسوف يحل بهم ما يحل بالملاحدة (١) .

كانت الطائفة الإسماعيلية في ذلك الوقت - تستوطن الجبال فـــي ولاية "الطالقان " و " دوذبار ألَموت " وكان لهم في تلك المناطق حوالي خمسين قلعة حصينه ، أشهرها وأقواها ثلاث هي : ألَموت ، وميمون دز ، ولنبه ســـر وكانت قلعة " ألَموت " عاصمة ملكهم كما كان لهذه الطائفة قلاع محكمة أُخـــرى في " قوس " " وقهستان " يحكمها حاكم يقال له " محتشم " (٢) .

تقدم القائد المغولي " كُتبغا " في طليعة جيش " هولاكو " الـــى "قهستان " واستولى على كثير من القلاع الموجودة هناك ، وحاصر قلعـــة "كردكوه " الحصينة" .

---

١. تفصيل هذه الرسالة التي وجهها هولاكو الى الملوك والسلاطين موجود في كتاب (جامع التواريخ - لرشيد الدين م٢ ج ١ ص ٢٤٠ -
٢. نفس المصدر م٢، ج١، ص ٢٤٦

وفي غرة ذي الحجة سنة ٦٥٣هـ (يناير ١٢٥٦م) عبر " هولاكو " بجيشه نهر " جيحون " وتقدم نحو تلك القلاع المنيعة ، وأخذ هو وقـــواده يعملون في تحطيمها ، وقد حاصر قلعة " سرتخت " التي كان يعتصم بهـــا محتشم الاسماعيلية " ناصر الدين " وبالترغيب ، والترهيب استطاع " هولاكـو" أن يجعله يستسلم له .

وبعد ذلك توجه الى بقية القلاع يفتحها الواحدة تلو الاخرى ، ولـم تستعص عليه الا قلعتا " ميمون دز " و " أُلَموت " وبعد تهديد ، وترغيـــب وترهيب لملكهم " خورشاه " ـ الذى يأتمرون بأمره ـ وبمراوغة هذا ومداورتـــه سلمت قلعة " ميمون ذر " بعد أن تكفل " هولاكو " لركن الدين خور شاه " بالإبقاء على حياته .

وليحصل " ركن الدين خورشاه " على شروط أَفضل ذهب الى "منكو خان" في عاصمته ، غير أنه حينما وصل إلى هناك بصحبة جماعة من المغول رفض الخان أَن يستقبله وقال " ما كان لكم أن ترهقوا الجياد في سفارة غير مجدية " (١) ثم أَرسل من قبله شخصا قضى عليه ، وتبع ذلك حركة تقتيل في جميع أفـــراد أُسرته وأَقاربه من الرجال والنساء ، ولم يستثنوا حتى الأَطفال ، وصدرت الأُوامر إلى " هولاكو " بالتخلص نهائيا من هذا المذهب فحشد المغول هذه الطائفة متظاهرين بأَنهم يريدون إحصاءهم ، ثم أَجهزوا عليهم جميعا ، ولم يبق منهـم إلا من اعتصم بجبال فارس ، وقد استمر حكم هذه الطائفة في تلك المناطـــق سبعا وسبعين ومائة سنة (٢) .

وبهذا تنفس الناس الصعداء بالقضاء على هذه الطائفة الملعونة الملحدة لكنهم لقوا ما هو أَشد وأَنكى على أَيدي المغول .

١ و ٢ جامع التواريخ لرشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٢٥٨

المبحث الثالث

سقوط الخلافة العباسية

كان إسقاط الخلافة العباسية ، واحتلال بغداد ضمن الأهداف التي يسعى إليها " هولاكو " لذلك نجده - بعد أن قضى على "الطائفة الاسماعلية" ينطلق الى تحقيق ذلك الهدف .

وفي شهر رمضان سنة ٦٥٥هـ (١٢٥٧م) أرسل " هولاكو " رسالة الى الخليفة ، فيها تهديد ووعيد له لامتناعه عن إرسال مدد له عندما كان يحارب "الطائفة الاسماعلية" ، وكانت هذه هي الذريعة التي اتخذها " هولاكو " ، لمهاجمة الدولة العباسية ، وكان يريد منه نفس الحقوق التي كانت للديلم والسلاجقة ، وغيرهم من الهيمنة على الخلافة والتحكم في بغداد (١) .

ولكن الخليفة رد عليه رافضا طلبه ذلك ، وهدده قائلا بأن المسلمين جميعا رهن إشارته إذا دعاهم لقتاله ، إلا أنه يفضل السلام على الحرب والقتال .

ولما لم يعجب ردُّ الخليفة " هولاكو " ولأن الرسالة كانت تحمل تهديدا ووعيدا - ولما كانت رسل " هولاكو " قد تعرضوا لأذى العامة في " بغداد " فقد غضب هذا غضبا شديدا ، وحمّل رسل الخليفة رسالة تتضمن إنذارا نهائيا (٢)

---

١ و ٢ جامع التواريخ لرشيد الدين مجلد ٢ الجزء الاول ص ٢٦٧ - ٢٧١

وعلى أثر وصول هذه الرسالة استشار الخليفة أعوانه ووزيره فأشار عليه وزيره " مؤيد الدين بن العلقمي " بتسريح الجيش ، وتوفير النقود والنفقات التي ينفقها على الجيش ، ويرسلها الى " هولاكو " فإن هذه هي أحسن الوسائل لاتقاء شرهم .

اتبع الخليفة نصيحة وزيره "إبن العلقمي " فخفض عدد الجيش وانفق ما وفره من المال ، فيما بذله تطوعا من " جزية " للمغول حتى يبتعدوا عنه . (١)

غير أن" هولاكو " طالب بحقوق السيادة على الخلافة ذاتها ، فلم يلق طلب " هولاكو " إلا الرفض . (٢)

وبعد استشارة منجميه قرر مهاجمة بغداد ،رغم اعتراض الفلكي (حسام الدين) (٣) فأصدر أمره بأن تتحرك جيوش المغول نحو بغداد لتحاصرها من جميع الجهات ، ويقول ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية " (... وقد سترت "بغداد " ونصبت فيها المجانيق ، والعرادات ، وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله سبحانه شيئا ، كما ورد في الأثر " لن يغني حذر من قدر " وكما قال تعالى (إن أجَلَ اللّه إذا جَاء لا يُؤخَّر) (٤) وكما قال جل من قائل (إنّ اللّه لا يُغيّر ما بِقَوْمٍ حَتى يُغيّروا ما بأنفُسِهِم واذا أرادَ اللّه بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَردَّ لَهُ ومالَهُم مِنْ دُونِه مِنْ وال) (٥) .

---

١. "البداية والنهاية " لابن كثير م ٧ ج ١٣ ص ٢٠٠-٢٠١ و رونسيمان تاريخ الحروب الصليبية ج ٣ ص ٨ ترجمة الباز العريني .
٢. تاريخ الحروب الصليبية لرونسيمان ج ٣ ص ٤١٨
٣. تفاصيل ذلك في كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين م ٢ ج ١ ص ٢٧٩-٢٨٠
٤. سورة نوح آية ٤ .
٥. سورة الرعد آية ١١.

لقد أحاطت التتار " المغول " بدار الخلافة يرشقونها بالنبـال من كل جانب ، حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة ، وتضحكه وكانت من جملة حظاياه ، وكانت مولدة تسمى " عرفه " جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة فانزعج الخليفة من ذلك ، وفزع فزعا شديدا (٦) .

يا سبحان الله ، حتى في هذا الظرف السيء ، والعدو يطرق أبواب بغداد ، والدبابات ، والمجانيق ، تدك أبواب حصونها ، يرقصون ويغنون ويضحكون ، وكأن الأمر لا يعنيهم ، ومن الذين يفعلون ذلك ؟؟ - رأس الدولة - الخليفة وحاشيته ، أما رعاع الناس فلا تسأل .

فالشباب كان قد فسد ، لأن طغيان النساء ، وتبرجهن وعرض أنفسهن لكل جائع تكون نتيجته الحتمية إنهيار الأخلاق ، وضياع القيم والاشتغال بالملذات التي تغري بترك الجهاد ، وإذا كان الفساد قد تعدى الشباب المراهق ليصل إلى كبار السن ، فلنا والحالة هذه أن نتصور ما آل اليه أمر الدفاع عن ثغور الإسلام وحواضره .

لم يكن ينقص المسلمين عدد ولا عدة ، ولكنه الوهن الذى ذكرنا والذى حذرنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هو الذى نزع مهابة المسلمين من قلوب أعدائهم . يحدثنا صاحب الفخري عن صديقه "فلك الدين محمد بن أيدمر" فيقول (كنت في عسكر الرويدار الصغير لما خرج إلى لقاء التتر "المغول" بالجانب الغربي من مدينة السلام في واقعتها العظمى سنة ست وخمسين وستمائة قال : فالتقينا بنهر بشير من أعمال دجيل

---

١ . البداية والنهاية : لابن كثير ج ١٢ ص ٢٠٠

فكان الفارس منا يخرج إلى المبارزة ، وتحته فرس عربي ، وعليه سلاح تام كأنه الجبل العظيم ، ثم يخرج إليه من " المغول " فارس تحته فرس كأنه الحمار وفي يده رمح كأنه المغزل ، وليس عليه كسوة ولا سلاح ، فيضحك منه كل من رآه ، ثم ما تم النهار حتى كانت لهم الكرة ، فكسرونا كسرة عظيمة كانت مفتاح الشر ، ثم كان من الأمر ما كان) (١)

وفي يوم الاحد ٤ صفر ٦٥٦هـ (١٠ يناير ١٢٥٨م) خرج الخليفة من بغداد ، وسلم نفسه مع كبار قادة الجيش ، وكبار الموظفين وعاصمته للمغول دون قيد أو شرط ، بعد أن وعده " هولاكو " بالأمان ، فأجهز هولاكو على قادة الجيش وكبار الموظفين جميعا ، ولم يبق إلا الخليفة ، ودخل " هولاكو" المدينه والقصر ، وفي تلك الأثناء كانت المذابح مستمرة في جميع أنحاء العاصمة وتعرض للقتل جميع الناس ، سواء من قاتل منهم ، ومن استسلم ، ولم يفرقوا بين النساء والأطفال والرجال ، ولم ينج من الذبح إلا النصارى الذين لجأوا إلى الكنائس والأديرة . (٢)

دخل " هولاكو " قصر الخلافة وأمر بإحضار الخليفة ، وقال له أنت المضيف ونحن الضيوف ، فيجب أن تقوم بواجب الضيافة ، فصدق قوله ، وكان يرتعد من شدة الخوف ، حتى أنه لم يعرف أين وضع مفاتيح خزائنه ، فأمر بكسر الأقفال وأخرج آلاف الدنانير ، والنفائس ، ومرصعات ، وجواهر عديدة قدمها لهولاكو الذي لم يعر تلك الأشياء التفاتا ، ووزعها على أتباعه ، ثم قال

---

١ . "الفخرى في الآداب السلطانية" لابن طباطبا ص ٦٩ الطبعة الثانية .

٢ . "تاريخ الحروب الصليبية" لستيفن رونسيمان ج ٣ ص ٥٢٠ - ٥٢١

للخليفة " هذه الأموال التي تملكها على سطح الأرض أمرها واضح ، وهذه تعتبر غنيمة ، فتكون من نصيب جنودنا ، والآن نريد أن تكشف لنا عن الأموال والدفائن ما هي ؟ وأين توجد ؟ عندئذ اعترف الخليفة بوجود حوض مملوء بالذهب وسط القصر فلما حفروا ذلك المكان ، وجدوه مملوءا بالذهب الإبريز وكانت كل قطعة تزن مائة مثقال) (١)

وبعد ما يقارب أربعين يوما من سفك للدماء وحرق للبيوت وتدمير للحضاره والعلم أمر " هولاكو " بالكف عن القتل وترك بغداد خوفا من انتشار الأمراض بين جنوده . (٢)

وأما عن معاملة " هولاكو " للخليفة فقد عامله معاملة سيئة جدا بحيث أنه حرم عليه الطعام فلما أحس الخليفة بالجوع ، طلب طعاما ، فقدم له " هولاكو " طبقا مملوءا بالذهب ، وأمره أن يأكل ، فقال الخليفة المستعصم كيف يمكن أكل الذهب ؟ فرد عليه " هولاكو " إذا كنت تعرف أن الذهب لا يؤكل فلماذا احتفظت به ، ولم توزعه على جنودك حتى يصونوا لك ملكك الموروث من هجمات هذا الجيش المغير . ولمَ لم تحول تلك الأبواب الحديدية إلى سهام وتسرع إلى شاطئ نهر " جيحون " لتحول دون عبورى ، فأجاب الخليفة" هكذا كان تقدير الله " (٣) .

نعم هذه هي نتيجة الطمع وعدم الإنفاق في سبيل الله للدفاع عن ديار الإسلام والمسلمين ، خاصة عندما يكون هذا من خليفة المسلمين الذي

---

١ . جامع التواريخ لرشيد الدين المجلد الثاني ج ١ ص ٢٩٢

٢ . البداية والنهاية لابن كثير م. ٧ ج. ١٣ ص ٢٠٣

٣ . المغول في التاريخ للدكتور الصياد ص ٢٦٧

قتر بتلك الأَموال ، وضن بها على الجنود الذين سُرحوا ، حتى لقد أُخـذ بعضهم يقف على أَبواب المساجد يسأَل الناس لقمة العيش ليمسك بها رمقـه بينما البلاد في أَمس الحاجة إِلى جهادة للدفاع عنها .

وفي يوم الأَربعاء ١٤ صفر سنة ٦٥٦ هـ (٢٠ فبراير سنة ١٢٥٨ م) رحل " هولاكو " من " بغداد " بسبب عفونة الهواء ، ونزل في قرية صغيـرة بالقرب من " بغداد " تدعى " وقف " حيث استدعى الخليفة ، وقضى عليه فـي ذلك اليوم بعد أَن حَسَّنَ ملأ من الرافضه ـ منهم الوزير " ابن العلقمي " و " نصير الدين الطوسي " ـ لهولاكو قتل الخليفة ، فقتلوه رفسا ، وهو في جولـق وقيل بل خنق خنقا ، ويقال بل أُغرق والله أَعلم . (١)

أَثر سقوط الخلافة العباسية :

كان لسقوط " بغداد " والخلافة العباسية ، رنة فرح وسرور في نفوس النصارى الذين كانوا يخططون للقضاء على الإسلام والمسلمين ، منذ قـرون طويلة ، بنشر الموبقات ـ من الخمر والميسر والنساء ـ على الصعيد الداخلـي وقد قامت الأَديرة ـ كما مر بنا ـ بنشاط واسع في هذا المجال ، وبالحـروب الطويلة ـ ومنها الحروب الصليبية ـ ثم أَخيرا باستعداء المغول ، وتشجيعهـم على تحطيم المسلمين ، واستئصال وجودهم ، وذلك بتزويج زعماء المغول بنساء نصرانيات متعصبات أَمثال " طقزخاتون " ـ زوجة هولاكو ـ ، ولذلك نجـد النصارى يُعبِّرون عن سقوط " بغداد " بسقوط " بابل الثانية " ، وهللوا لهولاكو وزوجته النصرانية " طقز خاتون " واعتبروهما " قسطنطين و هلينا " وأُنهما ليسا

---

١ . البداية والنهاية لابن كثير م ٧ ج ١٣ ص ٢٠١

إلا أدوات الله للإنتقام من أعداء المسيح) (١) .

وأما المسلمون فقد شعروا بالأسى والحزن العميقين لفقدآن الخلافة التي كانت رمزا لتجمع المسلمين .

فعلى الرغم من أن الخلافة العباسية ظلت منذ زمن طويل تفقد قدرًا كبيرًا من سلطتها المادية ،فإن مكانتها الأدبية كانت لا تزال قوية. لكن ما حدث من استئصال الأسرة العباسية جعل زعامة المسلمين شافرة يتطلع لإحتلالها كل زعيم طموح من المسلمين . (٢)

وإذا كان للحادث العظيم تأثيره العميق في نفوس المسلمين ، فقد كان أثره أشد وقعا وأعظم تأثيرا في نفوس الشعراء المسلمين ، فقد عبروا عن تلك المأساة في كثير من القصائد التي تصف الألم الشديد ، والحزن العميق الذى كان يعصر قلوبهم . جاء في قصيدة للشيخ تقي الدين بن ابراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي يرثي بها بغداد (٣)

لسائل الدمع عن بغداد أخبار ... فما وقوفك والأحباب قد ساروا

يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا ... فما بذاك الحمى والدار ديار

تاج الخليفة والربع الذى شرفت ... به المعالم قد عفّاه اقفار

أضحى لعطف البلى في ربعه أثر ... وللدموع على الآثار آثار

يا نار قلبي من نار لحرب وغى ... شبت عليه ووافي الربع اعصار

علا الصليب على أعلى منابرها ... وقام بالأمر من يحميه زنار

---

١. تاريخ الحروب الصليبيه لرونسمان ج ٣ الترجمة العربية ص ٥٢٢

٢. نفس المصدر ج ٣ ص ٥٢٢ - ٥٢٣

٣. انظر النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٥١ و ٥٢

ومنها :

وهم يساقون للموت الذى شهدوا	النار يارب نصلاها ولا العار
آل النبي وأُهل العلم قد قتلوا	فمن ترى بعدهم تحويه امصار
ماكنت آمل أن أَبقى وقد ذهبوا	لكن أبى دون ما أَختار أَقدار

وذكر ابن شاكر الكتبي نقلا عن الشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ قصيدة يتحسر فيها على خراب بغداد ، وقتل الخليفة وقد جاء فيها : -

عندي لأَجل فراقكم آلام	فالإم أُعذل فيكم وأُلام
من كان مثلي للحبيب مفارقا	لا تعذلوه فالكلام كلام
نعم المساعد دمعي الجارى على	خديَّ إلا أُنه نمّام
ويذيب روحي نوح كل حمامة	فكأنما نوح الحمام حمام
إن كنت مثلي للأحبة فاقدا	أو في فوءادك لوعة وغرام
قف في ديار الظاعنين ونادها	(يادار ما صنعت بك الأيام)

إلى أن يقول :

ولقيت من صرف الزمان وجوره	مالم تخيله لي الأَوهام
ياليت شعرى كيف حال أُحبتي	وبأَي أَرض خيموا وأَقاموا
مالي أَنيس غير بيت قاله	صب رمته من الفراق سهام
(والله ما اخترت الفراق وإنما	حكمت علي بذلك الأَيام)

ويقول ابن الأثير عن المسلمين (..... فلقد دفعوا من العدو إلى أَمر عظيم ، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تتعدى همته بطنه وفرجه) (١)

وصدق الله العظيم " وَإِذَا أَرَدنَا أَن نُهلِكَ قَرْيَةً أَمَرنَا مُترفِيهَا فَفَسَقُوا

---

١ . الكامل في التاريخ لإبن الاثير ج ٩ ص ٣٣٦

فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا) (١).

لقد كان بلاء المسلمين من هذا الصنف من الأُمراء الذين ساروا في الرعية سيرة سيئة ، فارتكبوا الفواحش والمنكرات ، واستباحوا الحرمات وظلموا ، وتجبروا ، ونسوا الله فأَنساهم أَنفسهم وَمَنْ هؤلاء العصاة ؟ . . إنهم السلاطين والملوك والخلفاء والأُمراء والقادة الذين وكلت إليهم أُمور المسلمين لقد عرفوا الله ونسوه ، فسلط الله عليهم من لا يعرفه ومن لا يرحمهم ، وأَي عذاب ذلك الذى حل بالمسلمين الذين نجوا من القتل ؟ إنهم استعملوا حواجز يتترس بهم الأَعداء ، أو أَصبح السيد منهم عبدا لسيد من الأَعداء ، وزوجته أَمة لسيد آخر . وابنته لسيد ثالث . وهم لا يملكون حينئذ إلا البكاء ، " وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلِكن كَانُوا أَنفُسَهُم يَظلِمون .

(وَكَأَيِّن مِنْ قَرْيَةٍ عَتَت عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبنَاهَا عَذابًا نُكْرا . فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمرِهَا خُسرًا . أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم عَذابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلبَابِ ، الَّذِينَ آمَنُوا قد أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيكُم ذِكرًا . (٢)

١ــ سورة الإسراء آية ١٦

٢ . سورة الطلاق الايات ٨ - ١٠

المبحث الرابع :

حروب المغول في بلاد الشام

كان في بلاد الشام في هذه الفترة ثلاث قوى :

قوة الأرمن النصارى ، وهؤلاء وقفوا مع المغول بحماسة شديدة ضد المسلمين ، وقدموا لهم كل مساعدة ممكنة بل لقد قدموا فرقا من الجيش قاتلت مع المغول جنبا الى جنب ، كما سيتضح عند عرضنا للأحداث إن شاء الله .

القوة الثانية : هي بقية الإمارات الصليبية التي كانت لا تزال في أجزاء من سواحل فلسطين ولبنان ، وهذه كانت مترددة وتفضل أحيانا التعاون مع المسلمين ، لأن أمراءها رأوا في المغول عداوة شديدة للانسانية ، وللحضارة معا ، ثم هم رأوا جرائم المغول في اوروبا . (١)

والقوة الثالثة : كانت ممثلة في الامارات الاسلامية : ميافارقين (٢) وحصن كيفا ، والكرك ، وحلب ، ودمشق ، وحماة ، وحمص ، والتي كان يحكمها أمراء " ايوبيون " من اسرة " صلاح الدين الايوبي" التي أسسها في الثلث الأخير من القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) وهي أُسرة كردية

---

١ . أنظر كتاب "المغول " للدكتور الباز ص ٢٥٨

٢ . ميافارقين : بفتح اوله ، وتشديد ثانيه ثم فاء ، وبعد الالف راء وقاف مكسوره وياء ونون .
أشهر مدينه بديار بكر قالوا : سميت بميا بنت لأنها أول من بناها ، وفارقين هو الخلاف بالفارسية يقال له بارقين ، لأنها كانت احسنت خندقها فسميت بذلك . (أنظر معجم البلدان ـ لياقوت الحموى ص ٢٣٥ - ٢٣٦) .

وكان " الناصر يوسف " صاحب " حلب " و " دمشق " هو اكثر الأمراء الايوبيين قوة واقتدارا " ومما يؤسف له أن كل واحد من هؤلاء الأمراء كان يعتبر نفسه مستقلا ، فلا وفاق بينهم ، ولا سلطان لامير منهم على أمير وكانوا في نزاع دائم ، وخلاف مستمر ، حتى في الوقت الذي بدا فيه شبح المغول يظهر مخيفا مرعبا ، وأصبح هذا الخطر ماثلا للعيان على أثر احتلال بغداد ، ولو قدر لهؤلاء الأمراء فاتحدوا وتكتلوا لاستطاعوا أن يكونوا سدا منيعا ، يدرأون به خطر المغول عن تلك البلاد " (١) .

بدأت حملة "المغول " على بلاد الشلام بالتوجه الى " ميافارقين" فلما اقتربوا منها أرسلوا إلى " الملك الكامل " يدعونه إلى الإستسلام ، فرفض قائلا بأنه لن ينخدع بأقوالهم المعسولة ، ولا بوعودهم ، وأنه سيمتشق الحسام ضدهم ما دام على قيد الحياة ، وقرر قتال " المغول " وتوجه إلى أفراد شعبه مقويا من عزائمهم فقال" أنني لن أمنع الفضة والذهب والغلات التي توجد في المخازن ، بل سأوثر بها المحتاجين فاني - بحمد الله - لست كالمستعصم عبدا للدينار والدرهم ذلك الذي طرح برأسه وملك بغداد بسبب بخله وشحه"(٢)

ولذلك اتحد معه جميع سكان المدينة ، وأصبحوا طوع أمره ، ورهن إشارته للإشتراك في المعركة .

لقد شاركت فرق أرمنية نصرانية في حصار " ميافارقين " مع المغول واستمر الحصار مدة طويلة ، أظهر المسلمون فيها ضروبا من الشجاعة المنقطعة النظير ، مقتدين بأميرهم الذي قدم للمعركة كل ما يملك .

---

١ . أنظر المغول في التاريخ للدكتور الصياد ص ٢٩٠

٢ . جامع التواريخ لرشيد الدين مجلد ٢ ج ١ ص ٣١٩ - ٣٢٣

وكان بين جنوده فارسان بارعان دوخا قادة المغول ، وأوقعوا فيهم الدهشة بسبب بسالتهما واتقانهما للرماية ، وقد أوقعوا بالمغول أفدح الخسائر واعظمها . (١)

ونظرا لطول الحصار فقد نفذت المؤن ، وجاع الناس في داخل المدينة حتى أكل بعضهم بعضا ، وللأسف الشديد لم يخف أي من الإمارات الإسلامية لنجدتها فسقطت أخيرا بعد أن أكل معظم سكانها بعضهم من الجوع وأما " الملك الكامل " فقد قتله " هولاكو " شر قتله (.... ثم أمر بتقطيعه إربا إربا ، وكانوا يضعونها في فمه حتى هلك سنة ٦٥٧هـ (١٢٥٩م) وكان رجلا زاهدا عابدا ، يعيش من أجر الحياكة) (٢) .

ثم توجهوا الى " ماردين " وكان أميرها " الملك السعيد " فأبى إلاّ المقاومة وحاصروها ثمانية أشهر إلا أن ابن " الملك السعيد " قتل والده وسلم المدينة للمغول .

وأثناء حصار "ميافارقين " استولى " هولاكو " على " نصيبين " و " حران "و" الرها " وقتل اهالي " سروج " عن آخرهم لأنهم قاوموه ، واحتل "البيره " وعبر الفرات ، واغار على " منبج " وسفك دماء الكثيرين من سكانها .

ثم توجه " هولاكو " الى " حلب " فحاصرها يعاونه في ذلك الأرمن من " قيليقيه " والفرنج من " أنطاكيا " وطلب من أميرها " توارنشاه " التسليم فرفض ، فأُخذوا يدكونها بالمجانيق حتى اضطرت إلى التسليم ، فاستباحوها سبعة أيام قتلوا خلالها عددا كبيرا من الناس ، وأُسروا النساء والذرية ونهبوا

---

١ و ٢ جامع التواريخ لرشيد الدين مجلد ٢ ج ١ ص ٣١٩ - ٣٢٣

الأموال ، وقد استغل " هيثوم " ملك أرمينية تلك الفرصة فاحرق الجامع الكبير ، وأخذ جزءا كبيرا من الغنائم ، وأعاد إليه المغول ما كان أخذه المسلمون من أقاليم وأعادوا إلى " بوهمند " جميع الأراضي التي كان المسلمون قد استردوها منه "(١) .

ثم اتجهوا الى قلعة " حارم " التي استسلمت فذبح المغول جميع من كان فيها ، كما استولوا على " حماة" و " المعرة " و " حمص " .

ونتيجة لهذه الانتصارات السريعة الحاسمة ، وما صاحبها من قتل وتشريد وتخريب ، عم الرعب كل بلاد سورية الإسلامية فسارع الأمراء الآخرون بتقديم فروض الولاء والطاعة للمغول .

تقدم المغول بعد ذلك الى " دمشق " وكان المدافعون عنها قد هجروها ولم يحاول " الملك الناصر " الدفاع عنها بل تركها وانسحب الى "غزة" ليكون قريبا من النجدة التي وعده بها سلطان مصر . (٢)

استسلمت دمشق لعلمها بما حل بغيرها من البلدان التي قاومت وقاومت قلعتها قليلا ثم استسلمت في منتصف جمادى الاولى سنة ٦٥٨ هـ ، وعلى أثر ذلك سنحت الفرصة للنصارى المحليين للتشفي بالمسلمين ، والإعتداء عليهم ، فنظموا مواكب عامة تسير في شوارع دمشق يغنون ويرقصون ، ويقولون : " ظهر الدين الصحيح دين المسيح ، ويذمون الإسلام وأهله ، ومعهم أواني فيها خمر ، لا يمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرا ، وقماقم ملآنة خمرا يرشونه منها على وجوه المسلمين وثيابهم ، ويأمرون كل من يجتازونه به في الأزقة

---

١. المغول في التاريخ : للدكتور الصياد ص ٢٩٤
٢. المختصر في أخبار البشر لابو الفداء ج ٣ ص ٢٠١ -٢٠٢

والأسواق أن يقوم لصليبهم ، وحكى الشيخ قطب الدين في ذيله على المرآة أنهم ضربوا بالناقوس في كنيسة مريم .... وذكر أنهم دخلوا الى الجامع الأموى ، بخمر وكان في نيتهم أن طالت مدة التتار أن يخربوا كثيرا من المساجد وغيرها " (١) .

ضجر المسلمون من تلك الأفعال فاجتمع القضاء والشهود والفقهاء ودفعوا شكواهم الى "كُتبغا " نائب هولاكو فلم يحفل بهم ، وضرب بعضهم وأخذته موجه من التقوى ، وكان نصرانيا - فجعل يزور الكنائس ويعظم رجالها على اختلاف مذاهبهم . (٢)

وبعد ذلك بثلاثة أسابيع أتم المغول فتح سوريا ، وقتلوا حامية نابلس ، ثم تقدموا الى " غزة " دون ان يلقوا مقاومة تذكر واستسلمت حامية " عجلون " ولكنهم لم يصلوا الى " بيت المقدس " نفسه (٣) .

---

١. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١٩

٢. "دول الاسلام" للذهبي ج ٢ ص ١٢٥ ، "السلوك" للمقريزي ج ١ ق ٢ ص ٤٢٥ ، النجوم الزاهرة ج ٧ ، ص ٨٠ و٨١

٣. المختصر في اخبار البشر لابي الفداء ج ٣ ص ٢٠٤ -٢٠٥

معركة عين جالوت (١٥ رمضان ٦٥٨هـ ، ١٢٦٠م)

لقد أثرت الانتصارات المتتابعة السريعة للمغول على المسلمين تأثيرا كبيرا جعلهم يعتقدون في قرارة أنفسهم بأن المغول إنما هم بلاء من الله سلطه على المسلمين ، ويبدو أن المغول أنفسهم أحسوا بهذا الاعتقاد فأخذوا يستخدمونه ضد المسلمين ، ويؤكدونه في أنفسهم حتى يقضوا على مقاومتهم ، ويلاحظ ذلك في الرسالة التي وجهها " هولاكو " إلى السلطان "قطز " والتي سنعرضها في مكانها فيما بعد باذن الله .

العودة إلى الإسلام :

بدأ قادة المسلمين يتحسسون أسباب هذه الهزائم ، ويحاولون علاجها ، فنجد السلطان " قطز " يسير سيرة حسنة بين قادته ورعيته ، وإذا دعاهم إلى أى عمل يبدأ بنفسه ، فهو بعد ان حرك "كوساته "(١) قال : " أنا ألقي المغول بنفسي "(٢) وأرسل قائده بيبرس مع قوة استطلاعية ليعرف أخبار المغول .

ثم اننا نحس في كلامه رنة القائد المسلم التقي الحريص على مصالح المسلمين ، يقول عنه ابن كثير : "... وكان السلطان قطز رجلا صالحا كثير الصلاة في الجماعة ، ولا يتعاطى المسكر ، ولا شيئا مما يتعاطاه الملوك"(٣) .

وعندما خاطب الأمراء - الذين كان من رأيهم عدم قتال المغول -

---

١. الكوسات : طبول الحرب (المعجم الوسيط)

٢. "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزى ج ١ ص ٤٢٩

٣. نفس المصدر ونفس الصفحة .

قال : " يا أمراء المسلمين : لكم زمان تأكلون أموال بيت المال ، وأنتم للغزاة كارهون ، وأنا متوجه ، فمن إختار الجهاد يصحبني ، ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيته ، فإن الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين " (١)

كما نلمس تقواه فيما روى عنه أنه لما رأى مصائب التتار قال للأمراء الذين معه وكان اليوم يوم جمعة : " لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس ، وتفيء الظلال وتهب الرياح ويدعو لنا الخطباء والناس في صلاتهم " (٢) .

هذا هو إيمان القائد السلطان الذي يملك الأمر والنهي فيما حوله ، لقد كان الإيمان موجودا في نفوس المسلمين من قبل الغزو المغولي ولكنه في قلوب من ليس لهم الأمر والنهي ، فقد كان أولو الأمر يشاهدون حفلات الرقص ، والغناء ، والسكر والعربدة ، ويبذلون في سبيل ذلك الغالي والرخيص بينما الجنود هناك يقارعون الأعداء ، ويتصدون لهم ، وهم على علم بسلوك قادتهم وأمرائهم وملوكهم ، وسلاطينهم فمن أين يأتي النصر ؟؟ .

أما الآن فالقائد السلطان يبدأ بنفسه ، ويتوجه إلى المعركة في شهر رمضان المبارك ، ويحض جنوده المسلمين على القتال ويذكرهم بما كان من المغول من عدوان على محارم المسلمين ، وقتلهم للشيوخ والأطفال والنساء والحرق والتدمير ، والسبي الذي لم ينج منه إلا القليل ، وحذرهم عقوبة الله تعالى ثم هو يدخل المعركة وقد نصر الله على نفسه ، حرمها الدعة والراحة ، حرمها النوم على الفراش الوثير بين النساء والحريم ، حرمها التمتع بالعز والجاه في مصر ، وذهب لمقارعة الخطوب ولقتال المغول الذين لم يهزموا بعد خوضهم

---

١. البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٢٢٢

٢. نفس المصدر ج ١٢ ص ٢٢٦

لعشرات المعارك ، حرمها كل ذلك ، وتوجه للقتال إرضاء لله ودفاعا عن الإسلام والمسلمين ، وعندما اشتد وطيس المعركة نجده يصرخ وا إسلاماه . .يا الله أنصر عبدك قطز على التتار " (١) فنصره الله .

وعندما أيقن بالنصر ، ورأى قوة الأعداء تندحر خرَّ راكعا يمرغ وجهه في أرض المعركة ويصلي شكرا لله ، ولم يحتفل بنصره بحفلة سكر ماجنة أو رقص داعر خليع ، نعم ينصر الله عباده المخلصين " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقدامَكُمْ " (٢)

وقبل تلك المعركة نجد ذلك السلطان يدعو لإصلاح ذات البين ولتوحيد المسلمين ، فيرسل الى " الملك الناصر " سلطان دمشق وحلب وتوابعها يقسم له الأيمان المغلظة أنه لا ينازعه الملك ولا يقاومه ، وأنه نائب عنه بديار مصر ، ومتى حل بها أقعده على كرسي السلطنه ، كما ويعرض عليه أن يقدم اليه مع جيشه ، واذا كان لا يطمئن الى حضوره ، فإنه على استعداد لأن يُسيِّر اليه الجيش صحبة من يختاره " وأن اخترتني خدمتك ، وإن اخترت قدمت ومن معي من العسكر نجدة لك على القادم عليك ، فإن كنت لا تأمن حضوري سيرت اليك العساكر صحبة من تختاره "(٣) وقد كانت هذه مطمئنة للملك الناصر .

وهكذا نجد هذا السلطان يسير على نهج الله الذى رسمه لعباده يدعو الى الوحدة ، وينبذ الفرقة محققا قول الله تعالى" وَلَا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا

---

١ . "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزى ج ١ ص ٤٣١

٢ . سورة محمد آية ٧

٣ . "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزى ج ١ ق ٢ ص ٤١٨

وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ "(١) وقوله تعالى "إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ "(٢) .

وهكذا استطاع السلطان "قطز" أن يجمع قلوب المخلصين في مصر والشام على طريق الإسلام الصحيح إستعداداً للمعركة الفاصلة .

رسالة هولاكو وما فيها من تشخيص للداء :

بعد أن احتل "هولاكو" "دمشق" وقبل أن يغادر الشام عائدا إلى بلاده أرسل رسله يحملون "كتابا" إلى السلطان "قطز" تضمن كل معاني التهديد والوعيد ، يدعوه فيها إلى الإستسلام ، وتقديم فروض الولاء والطاعة وقد جاء في ذلك الكتاب :

" من ملك الملوك شرقا وغربا ، القان الأعظم ، بإسمك اللهم باسط الارض ورافع السماء . يعلم الملك المظفر "قطز" الذى هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا الى هذا الاقليم(٣) ، يتنعمون بأنعامه ، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك ، يعلم الملك المظفر قطز وسائر أمراء دولته ، وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الاعمال أنّا نحن جند الله في أرضه ، خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل به غضبه ، فلكم بجميع البلاد معتبر ، وعن عزمنا مزدجر فاتعظوا بغيركم ، واسلموا الينا أمركم ، قبل أن ينكشف الغطاء ، فتندموا ويعود

---

١ . سورة الانفال من الآية ٤٦

٢ . سورة الصف آية ٤

٣ . يشير هنا إلى أصل السلطان قطز الذى يقال أن إسمه محمود بن مودود وأن أمه أخت السلطان "جلال الدين خوارزم شاه" وأن أباه إبن عم السلطان جلال الدين ، وإنما سبي عند غلبة المغول فبيع في دمشق للسلطان الملك المعز ايبك ثم انتقل إلى القاهرة . أنظر تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر ص٣٧٩ والسلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ق ٢ ص ٤٣٥

عليكم الخطأ ، فنحن لا نرحم من بكى ولا نرق لمن شكا ، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فعليكم بالهرب ، وعلينا بالطلب ، فأي أرض تؤويكم وأي طريق تنجيكم ، وأي بلاد تحميكم ؟ فما لكم من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص ، فخيولنا سوابق وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال فالحصون لدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يسمع ، فإنكم أكلتم الحرام ، ولا تعفون عند الكلام ، وخنتم العهود والأيمان ، وفشا فيكم العقوق والعصيان ، فأبشروا بالمذلة والهوان بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، فمن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم ، فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم ، فلكم مالنا وعليكم ما علينا ، وأن خالفتم هلكتم ، فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم ، فقد حذر من أنذر وقد ثبت عندكم أن نحن الكفرة ، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة ، وقد سلطنا عليكم من له الأمور المقدرة والأحكام المدبرة ، فكثيركم عندنا قليل ، وعزيزكم عندنا ذليل ، وبغير الإهانه ما لملوككم عندنا سبيل ، فلا تطيلوا الخطاب وأسرعوا برد الجواب قبل أن تضرم الحرب نارها ، وترمي نحوكم شرارها فلا تجدون منا جاها ولا عزا ، ولا كافيا ولا حرزا ، وتدهون منا بأعظم داهية ، وتصبح بلادكم منكم خاليه ، فقد أنصفناكم إذ راسلناكم ، وأيقظناكم إذ حذرناكم ، فما بقي لنا مقصد سواكم ، والسلام علينا وعليكم وعلى من أطاع الهدى وخشي العواقب الردى وأطاع الملك الأعلى .

ألا قل لمصر هاهلاون[1] قد أتى	بحد سيوف تنتضي وبواتـر
يصير أعز القوم منها أذلـة	ونلحق أطفالا لهم بالأكابـر (٢)

يبدوا واضحا من هذه الرسالة أن المغول - كما سبق أن ذكرت من قبل - يعلمون علم اليقين سر نكبة المسلمين ، وأنها بسبب إنحرافهم عن دينهم وانغماسهم في المعاصي والآثام - خاصة الطبقة الحاكمة التي بيدها الأمر والنهي - فقد ظلموا ، وطغوا ، وتجبروا ، وأكلوا الحرام ، وأرتعوا فيه ، وخانوا العهود والمواثيق مع الله ومع الناس ، وتعودت السنتهم على قول ما يغضب الله ويفسد العلاقات بين المسلمين ، عرفوا الله وعصوه "... ودعاؤكم علينا لا يسمع ، فإنكم أكلتم الحرام ، ولا تعفون عند الكلام ، وخنتم العهود والايمان ، وفشا فيكم العقوق والعصيان . فأبشروا بالمذلة والهوان ، بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ...." .

لكن هذه المعلومات التي عرفها المغول كانت تنطبق على المسلمين الذين سحقوا أما الآن فإن الله سبحانه وتعالى - قد من على المسلمين بحاكم عاد إلى روح الإسلام وقواعده - كما بينا من قبل - وطبقه على نفسه وعلى من حوله ، فجمع الكلمة على دعوة الإسلام ، ووحد الصفوف على طريقه الصحيح ، وابتعد من الظلم وعن الخطايا والآثام ، وشجع الأمر بالمعروف واستمع لنصحية الناصحين وتفانى في خدمة الإسلام والمسلمين ، نصر الله على نفسه فحق على

---

١ . هلاون : صيغة لإسم " هولاكو " وقد وردت في كتب المؤرخين المعاصرين "وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الاسلامي " للدكتور/ محمد ماهر حماده .

٢ . السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ج ١ ص ٤٢٧-٤٢٨

الله أن ينصره ، ومن هنا جاء أول نصر ساحق على المغول كما نبينه إن شاء الله .

موقف السلطان قطـز :

تداول السلطان قطز الرأي مع أمرائه فأظهر بعضهم التقاعس وفكروا في الهروب إلى المغرب وقال بعضهم بأن المغول لا يؤمن جانبهم ، فقد قتلوا كثيرا ممن سلم لهم ولكن السلطان قرر محاربة المغول وبدأ الحرب بقتل رسلهم (١) .

فكر السلطان في جمع الأموال من الناس ليصرف منها على الجهاد والمجاهدين ، وطلب رأي قاضي القضاة في مصر ـ الشيخ عز الدين بن عبد السلام (٢) ـ حتى إذا اتفق معه في الرأي وجه القاضي نداء الى الناس

---

١ . أنظر جامع التواريخ لرشيد الدين م ٢ ج ١ : الترجمة العربية ص ٣١٢-٣١٣ .

٢ . هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الشيخ عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد .
ولد في دمشق سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائه وعاش فيها ، برع في المذهب وجمع علوما كثيرة ، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس ، وتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي ، ثم الخطابه بالجامع الاموى . ولما سلم الصالح إسماعيل بن العادل "صفد" و "الشقيف" للفرنج اختيارا أنكر عليه ابن عبد السلام ذلك العمل ، ولم يدع له في الخطبة فغضب عليه الصالح اسماعيل وحبسه ، ثم أطلقه فخرج الى مصر فاكرمه صاحبها "الصالح نجم الدين ايوب" وولاه قضاء مصر وخطابة الجامع العتيق ، ومكنه من الامر والنهي .

يطلب منهم مساندة الدولة بأموالهم .

وفي هذا الموقف الشديد الحافل بالخطر ، يظهر الرجال المخلصون المؤمنون الأقوياء ، فيتقدم القاضي عز الدين بن عبد السلام إلى السلطان ليقول له كلمة الحق التي ترضى الله ، وينصحه بما يعود عليه وعلى الإسلام والمسلمين بالخير والبركة ، لم ينافقه بالموافقة على رأيه ، ولم يجعل من الظرف الدقيق الذى تمر به البلاد مبررا لإرضاء الحكام والمسئولين على حساب الأمة الإسلامية والموافقة على طلباتهم وتنفيذها مهما كان ظلمها وجورها ، بل وقف وقال :
"لابد أن تدفع أنت وجميع الأمراء والمماليك جميع ما تملكون من ذهب وغيره فإذا لم تكف هذه الأموال دعونا الناس إلى الجهاد بأموالهم ، أما أن يدفع الناس أموالهم وأنتم تكنزون الذهب والفضة ؟ فلا بد أن تضربوا للناس المثل الاعلى "(١) .

وقد تقبل السلطان المؤمن هذه النصيحة بقبول حسن فأمر جميع الأمراء من المماليك بجمع ما لديهم ففعلوا ، عند ذلك تسابق المسلمون إلى المشاركة بكل ما يملكون من أموال وأنفس لأنهم رأوا قيادتهم تضرب لهم المثل

== وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام لطيفا ظريفا يستشهد بالاشعار وله مصنفات حسان منها " التفسير الكبير "، " الالمام في أدلة الاحكام" و" قواعد الشريعة " و " قواعد الاحكام في إصلاح الآنام " و " ترغيب أهل الإسلام في سكن الشام " و " الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز " وغيرها .
وتوفي الشيخ عز الدين بن عبد السلام في العاشر من جمادى الاولى وقد نيف على الثمانين ودفن بسفح المقطم .
أنظر " الإعلام " حرف العين ، " البداية والنهاية " لابن كثير ص ٢٣٥-٢٣٦

١ . النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٧٢ و ٧٣

الأعلى في البذل والفداء .

وجد السلطان " قطز " أن الهجوم خير وسيلة للدفاع مؤمنا بالحكمة التي رددها علي (رضي الله عنه) ما غُزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا " ولم ينتظر مجيء المغول كما كانت تفعل البلدان الإسلامية ، بل توجه لملاقاتهم .

إنطلق الى " غزة " ومنها إلى " عكا " التي كانت تحت حكم الصليبيين ، فعرضوا عليه أن يسيّروا معه نجدة فشكرهم وخلع عليهم ، واستحلفهم أن يكونوا لا له ولا عليه ، وأقسم لهم أنه متى تبعه منهم فارس أو راجل يريد أذى عسكر المسلمين رجع وقاتلهم قبل أن يلقى التتر " المغول " (١) (انظر الخريطة المقابلة) .

وقد عاد إستعمال الطريق الساحلي الذي كان بأيدى الصليبيين بالفائدة الكبرى على المسلمين لأنه أتاح لهم فرصة التموين من الفرنجة ، فلقوا عدوهم وهم على أهبة الاستعداد ، بعد أن أخذوا قسطا من الراحة ، هذا بالإضافة إلى كثرة عدد المسلمين بالنسبة للمغول .

جهز القائد المغولي " كُتبغا " قواته وتقدم بها نحو الجنوب يريد ضرب القوات الاسلامية معتمدا على قوته وسطوته .

ومن ناحية أخرى فإن السلطان قطز أمر بالأمراء فجمعوا ، وحضهم على قتال " المغول " وذكرهم بالجرائم التي ارتكبها المغول في البلاد الإسلامية التي احتلوها من قتل وسبي وحرق وتخريب ، وخوفهم وقوع مثل ذلك في بقية البلاد الإسلامية ، وأن أولادهم ونساءهم ، وهم أنفسهم عرضة للقتل والسبي ، وحثهم على استنقاذ الشام من المغول ، ونصرة الإسلام والمسلمين وحذرهم غضب الله وعقوبته فضجوا بالبكاء وتحالفوا على الاجتهاد في قتال المغول ، ودفعهم عن البلاد فأمر السلطان حينئذ أن يسير الأمير ركن الدين

---

١. السلوك لمعرفه دول الملوك للمقريزي ج ١ ص ٤٣٠

مخطط معركة عين جالوت

قوات اسلاميه
المغول
امارة صليبيه

صيدا
بحيرة الحوله
دمشق
اتجاه قوات المغول
عكا
حيفا
الناصرة
حطين
بحيرة طبرية
نهر الجالوت
نهر اليرموك
بيسان
عين جالوت
قيساريه
عتليت
البحر الابيض المتوسط
نابلس
رام الله
يافا
اللد
أريحا
بيت المقدس
الرملة
عسقلان
الخليل
بيت جبرين
غزه
اتجاه القوات الاسلاميه
بئر السبع
البحر الميت

بيبرس" بقطعة من العسكر ، فسار حتى لقي طليعة المغول فكتب الى السلطان يعلمه بذلك ، وأخذ في مناوشتهم فتارة يقدم وتارة يحجم إلى أن وافـاه السلطان (١) .

وفي يوم الجمعة الخامس العشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ (٣ سبتمبر سنة ١٢٦٠م) في موقع "عين جالوت" (٢) التقى الجيش المغولي - تؤيده النجدات الأرمنية والكرجية - بجيوش المسلمين حيث دارت بين الفريقين المعركة الفاصلة وكان السلطان "قطز" يدرك أن جيشه متفوق على قوات المغول في العدد ، لذلك أخفى القسم الرئيسي منها في تلال قريبة ولم يظهر للعدو إلا المقدمة التي يقودها "بيبرس" ، فحمل "كُتبغا" بكل رجاله على العدو الذى كان أمامه فتظاهر المسلمون بالتقهقر - حسب خطة محكمة أعدت من قبل - فتعقبهم المغول حتى وصلوا الكمين الذي أطبق عليهم ، وطوق قواتهم جميعها .

وقد شارك السلطان قطز في المعركة ، إذ قاد الهجوم بنفسه وأبلى بلاء حسنا ، وضرب بذلك مثلا من أمثلة الشجاعة النادرة ، وتابعت قوات السلطان الضرب بكل قوة فلجأ المغول إلى الجبل "فعندما اصطدم العسكران اضطرب جناح السلطان وانتقض طرف منه ، فألقى السلطان المظفر عند ذلك خوذته عن رأسه إلى الأرض وصرخ بأعلى صوته "وإسلاماه" وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة فأيده الله بنصره . . . . وانهزم المغول ومنح الله ظهورهم المسلمين يقتلون ويأسرون وأبلى الأمير "بيبرس" أيضا بلاء حسنا بين يدى السلطان . (٣)

---

١ . السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ج ١ ق ٢ ص ٤٣٠

٢ . عين جالوت موقع في فلسطين بين بيسان ونابلس - انظر الخريطة .

٣ . السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزى ج ١ ق ٢ ص ٤٣١

وتبع الجيش الاسلامي المغول إلى قرب " بيسان " فرجع إليهم المغول وتجمعوا في قوة أعظم من القوة الأولى فهزمهم الله وقتل أكابرهم ، وعدد كبير منهم ، وكان قد زلزل المسلمون زلزالا شديدا ، ولكن صرخ السلطان قطز فيهم صرخة عظيمة سمعه معظم العسكر وهو يقول "وا إسلاماه " ثلاث مرات " يا ألله أنصر عبدك قطز على التتار " فلما انكسر المغول الكسرة الثانية نزل السلطان عن فرسه ومرغ وجهه بالأرض وقبلها وصلى ركعتين شكرا لله تعلى ، ثم ركب فأقبل الجنود وقد امتلأت أيديهم بالغنائم . (١)

وهكذا بفضل الله ثم بفضل القيادة التي اتخذت الاسلام طريقا والتزمت به سلوكا ومنهجا انهزم المغول لأول مرة في تاريخهم ، بعد أن " كانت القلوب قد يئست من النصرة عليهم لإستيلائهم على معظم البلاد الإسلامية ولأنهم ما قصدوا اقليما إلا فتحوه ولا عسكرا إلا هزموه " (٢)

وبعد ذلك حمل " كُتبغا " مكبلا إلى السلطان "قطز " فقال له :

(أيها الرجل الناكث العهد . ها أنت - بعد أن سفكت كثيرا من الدماء البرئيه ، وقضيت على الأبطال والعظماء بالوعود الكاذبة ، وهدمت البيوتات العريقة بالأقوال الزائفة المزورة - قد وقعت أخيرا في الشرك .

ثم حصلت مناقشة سجلت فيها غطرسة كُتبغا ووقاحته وكان ختامها أن أمر "قطز " بقتله ففصلوا رأسه عن جسده (٣)

ثم طارد المسلمون المغول في أكثر البلاد الشامية وطردوهم منها ، وصارت الحرب سجالا بينهم ، المغول في العراق وفارس والأجزاء الشرقية الأخرى والمسلمون في بلاد الشام .

---

١ . "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزي ج ١ ص ٤٣١

٢ . المختصر في اخبار البشر لابي الفداء ج ٣ ص ٢٠٥

٣ . أنظر جامع التواريخ م ٢ ج ١ ص ٣١٥ لرشيد الدين

وانطلق دعاة الإسلام يعرضون الإسلام عليهم ، ويتحملون الصعاب والمشقات بلا حماية من دولة ، ولا انتظار أجر دنيوى زائل ، فما هو الدافع إلى ذلك ؟ وما الذى جعل الدعاة يتحملون كل تلك المشاق ؟ وما هي المميزات الذاتية في الإسلام العظيم تلك التي دفعت المغول إلى اعتناقه ؟ وما هي الوسائل والأساليب الموجودة في هذا الدين التي تسهل نشره وقبوله ؟

هذا ما سنجده إن شاء الله في الباب الثاني الذى يعرض لموضوع الدعوة ويعرف بها .

الباب الثاني

الدعوة الإسلامية

الفصل الأول

تعريف الدعوة ونشأتها وامتدادها

المبحث الاول :

تعريف الدعوة

الدعوة لغة :

مصدر دعا يدعو دعوة : أى نادى .

تقول دعا فلان فلانا : أى صاح به وناداه . (١)

والدعوة اصطلاحا :

هي حث الناس على قبول دين الله ، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه مع ما يتبع ذلك من إقامة الحجة للدين ورد الشبهات عنه .

ومن هنا يتضح أن الدعوة تشمل أمرين :

الاول : أسلوب توجيه الناس إلى قبول دين الله تعالى وما يتبع ذلك من وسائل .

الثاني : الدين نفسه من حيث هو مبادئ ، وأصول وأحكام .... الخ .

ولذلك فالناس أمام الدعوة قسمان :

الاول : " أمة الدعوة " وهي العالم كله الذى ينبغي نداؤه وحثه على الدخول في دين الله ، وتعريف هذا الدين لأفراده بالأدلة والحجج والبراهين

---

١ . انظر المعجم الوسيط ج ١ مادة دعو ص ٢٨٦ ، المفردات لغريب القرآن ص ١٧٠ .

وبالحكمة والموعظة الحسنة .

الثاني : "أمة الإجابة " وهي الذين استجابوا فعلا للنداء ، ودخلوا في الدين والتزموا بأحكامه بموجب الشهادتين ، وهؤلاء أيضا قسمان : -

الاول : "الدعاة " وهم الذين درسوا هذا الدين ، وتعلموه وتفقهوا فيه ، وأخذوا يعلمونه للناس .

الثاني : " المدعوون " وهم جمهور الأمة الذين توجه اليهم هذه الدعوة .

المبحث الثاني :

نشأة الدعوة وامتدادها

أولاً : ضرورة الدعوة

لقد زود الله الإنسان بحواس محدودة تعينه على إدراك بعض ما حوله ، وتعينه على الحياة فوق هذه الأرض ، واستعمارها ولكن هذه الحواس لا تمكن الإنسان من رؤية كل شيء أو سماع كل شيء أو تفسير كل شيء حوله .

وقد أجهد كثير من الفلاسفة عقولهم في رسم طريقة مثلى لحياة الإنسان فوق الارض ، ولكن النظريات التي توصلوا اليها كانت مختلفة ، فمفهوم الحياة المثالية عند "سقراط" مغاير لمفهومها عند "أفلاطون" وهذا وذاك مختلفان مع ثالث ، وهكذا ، ذلك لأن الإنسان محدود بزمان ومكان يتأثر بهما ، ويبني تجاربه على أساسهما ، وهو في ذلك الوضع لا يستطيع أن يعرف ظروف الإنسان الآخر الموجود في مكان مغاير أو الذى سيكون في زمان قادم .

لذلك كله لا يستطيع الإنسان أن يستغني عن دعوة الله سبحانه وتعالى لأنها تحمل معها تعاليم الخالق جل وعلا بدقتها وحكمتها ، فهو يعلم سر من خلق ، وظاهره وباطنه ، ويعلم مصلحة الفرد والجماعة في كل زمان ومكان ، ويعلم المصلحة الدائمة والمنقطعة ، ومن هنا أتت الدعوة الإلهية على منهج البشر شاملة للجميع واضعة أسس الحياة على مفاهيم ثابتة ، وقواعد متينه ، لا تختلف من مكان الى آخر ، ولا تتغير بمرور الزمن ، ولا تعامل سلالات أو أقواما معاملة ترفعهم أو تنزل بهم عن مستوى البشر .

والدعوة الاسلامية تسلم الكون لِمَلِكِه ، يضع فيه من الشرائع والأحكام ما يراه نافعا لهذا الإنسان الذى جعله خليفة في الأرض .

وقد بعث الله للإنسان - الذى استخلفه في الارض واستعمره فيها - الأنبياء والرسل يرشدونه إلى ما ينفعه ، ويبعدونه عما يضره ، "لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ". (١)

واذا استطاع بعض العقلاء أن يصل إلى معرفة الله والاعتقاد بوجوده ، والايمان به اعتمادا على عقولهم ، فليس لهم - بالرغم من ذلك - غنى عن الرسل ، ذلك لأن الرسل يقومون بتفصيل قواعد الايمان وترسيخها في نفوس الناس ، ويعلمونهم شرع الله " شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ، وَٱلَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ .... " (٢) .

ثانيا : وجوب تبليغ الدعوة

أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله إلى الناس كافة ليبلغهم دعوته ، ولينقلهم من عبادة المخلوقات إلى عبادة خالق المخلوقات ، ومن ذل المعصية إلى عز الطاعة قال تعالى : " فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ " (٣) وقال " قُمْ فَأَنذِرْ " (٤) وقال سبحانه " يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ .... " (٥)

---

١ . سورة النساء من الآيه ١٦٥

٢ . سورى الشورى من الآيه ١٣

٣ . سورة الحجر آيه ٩٤

٤ . سوره المدثر آيه ٢

٥ . سوره المائده من آيه ٦٧

ومن هذا يتضح أن تبليغ الدعوة واجب أنيط به صلى الله عليه وسلم ثم أنيط بالمؤمنين من أتباعه فقال تعالى : " قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي . . . " (١) وقوله تعلى : " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ، وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ " (٢) وقد أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه الصحابة الكرام وجميع دعاة الإسلام وحملة هذا الدين بأن ينقلوا هذه الدعوة إلى الآخرين ، وهناك عدد كبير من الأحاديث التي تحض على ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليبلغ الشاهد منكم الغائب " (٣) وقال عليه الصلاة والسلام " والذى نفسي بيده لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم " (٤)

ويرى فريق من العلماء بأن الدعوة فرضت على جميع المسلمين ابتداء ولكن هذا الفرض يسقط عنهم إذا أداه بعضهم ، ويستدل هذا الفريق بقول الله تعلى : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ " (٥) فالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر واجب على الأمة الإسلامية ، وقوله تعالى " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ . " (٦) وتفيد لام الأمر الوجوب في هذه الآية .

---

١ . سورة يوسف من آية ١٠٨

٢ . سورة ال عمران آيه ١٠٤

٣ . صحيح البخارى ج ١ ص ٣٥ كتاب العلم باب ليبلغ الشاهد الغائب

٤ . رواه الترمذى وقال حديث حسن ، انظر رياض الصالحين باب الامر بالمعروف ص ١٠٤

٥ . سورة آل عمران من آية ١١٠

٦ . سوره العمران آيه ١٠٤

ويرى فريق آخر من العلماء بأن تبليغ الدعوة فرض عين على المستطيع فقط كالحج والزكاة ، ويستدلون على ذلك بقول الله تعالى : " وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ " (١)

وهذا يدل على أن التبليغ واجب على طائفة من كل فرقة ، وليس على جميع المسلمين ، بل على القادرين منهم .

واني أرجح بأن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم في حدود ما يعلمه هذا المسلم .

هذا وهناك مئات الملايين من البشر بين وثني وملحد لا صلة لهم بالله ، ولا يتبعون دينا أو نبيا ، ومئات الملايين ممن يتبعون عقائد غير صحيحة أو ديانات محرفة ، وفي الوقت الذى ينشط فيه أعوان الشيطان يزينون بضائعهم ويعرضونها على قارعة كل طريق ، ـ وان نشاط العرض وحسنه وليست جودة البضاعه سبب انتشار كثير من المبادئ الهدامة ، والأفكار السخيفة الضحلة ـ نجد في الجانب الآخر تقاعس المسلمين ، وإهمالهم في عرض هذا الدين الحق على تلك الملايين من الأمم الضالة .

وقد قسم الإمام الغزالي الناس بالنسبة الى وصول الدعوة الاسلامية اليهم ثلاثة أصناف : ـ

الصنف الاول : من بلغتهم الدعوة الاسلامية واضحة بينه ، وعلموا كل شيء عن الإسلام ورسوله بواسطة الدعاة ، أوالمجاورة ، أو المخالطة ، أو غير ذلك .

---

١ . سورة التوبه آية ١٢٢

الصنف الثاني : من لم تبلغهم الدعوة أصلا ، ولم يعلموا شيئا عن الإسلام ورسوله .

الصنف الثالث : من علموا بالدعوة الإسلامية ، وسمعوا عن رسول الاسلام ، ولكن بصورة مشوهة منفرة كأن يقال لهم " إن كذابا مدلسا اسمه محمد ادعى النبوة ، وأن الإسلام دين الرجعية والتخلف "

والصنف الأول مكلف ومسئول ومؤاخذ على التقصير ، والصنف الثاني غير مكلف وغير مؤاخذ ، والصنف الثالث في معنى الصنف الثاني لأن ما يعلمه كعدمه (١)

ومن هنا تظهر جليا مسئولية المسلمين عن الدعوة ، وأن هذه المسئولية ثقيلة جسيمه ، وأنهم لا تبرأ ذمتهم منها حتى يعلموا الجاهل ويصححوا صورة الإسلام في نفوس الناس ، بأقوالهم وأعمالهم جميعا .

ثالثا : نشأة الدعوة وامتدادها

الحديث عن نشأة الدعوة الإسلامية حديث يطول ، طرقه خلق كثير من المسلمين ولكني سأطرق علامات قليله في عجالة سريعة أضعها نبراسا في رسالتي هذه :

نشأت الدعوة الإسلامية في مكة وقد واجهت الخصومة الشديدة منذ اللحظة الأولى لظهورها ، وقد أثار أعداؤها عليها غبار الشبهات ، وظلم الاتهامات ، كأى دعوة سماوية حقه " مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ " (٢)

---

١ . "الدعوه الاسلاميه" للدكتور أحمد غلوش ص٢٤٧

٢ . سورة فصلت من الآية ٤٢

وقد ذهب أعداء الاسلام في تفسيرهم لصدوع الرسول بالدعوة الإسلامية ودعوته إلى توحيد الله وترك عبادة الأوثان ، ذهبوا الى طرق كثيرة فمنهم من اتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه إنما يريد بذلك أن تكون له الزعامة - وهي نفس التهمة التي وجهها فرعون وقومه إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام "... وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ ..." (١) وهي نفس التهمة التي يواجهها أنصار دعوة الحق دائما حينما يتهمون بأنهم إنما يريدون بدعوتهم الاستيلاء على الحكم .

ومنهم من ظن أنه يفترى الكذب باختراع دين جديد فقالوا : "مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ ."(٢) - وهي نفس التهمة التي لا يزال يواجهها دعاة الاسلام من الطواغيت - عبيد الاستعمار وصنائعه ، وادوات الشيطان وحزبه ، فيقولون هذه سياسة ولا سياسية في الدين ولا دين في السياسة .

ومنهم من اتهمه بأنه ساحر يريد أن يبدل الدين والعقيدة بسحره وهي نفس التهمة التي واجهت الانبياء السابقين " وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ "(٣) وهي نفس التهمة التي يواجهها دعاة الحق ، عندما يتهمهم الطواغيت بأنهم " يريدون أن يقضوا على مكاسب الشعب الثورية " . وأمثال ذلك من الدعاوى والزيف ، جاء وافد قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له :

---

١. سورة يونس من آية ٧٨
٢. سورة ص آية ٧
٣. سورة غافر آية ٢٦

" يا محمد ، إنا قد بعثنا اليك لنكلمك وإنا والله ما نعلم رجلا من العـــرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقي أمر قبيح إلا قــد جئته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشـرف فينا فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هــذا الذى يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك ، حتى نبرئك منه أو نعذر فيك " .

تفكير دنيوى مادى هابط فماذا كان رده عليه أفضل الصلاة وأتـــم التسليم قال لهم : " مابي ما تقولون ، ماجئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني اليكم رسولا ، وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخره ، وإن تردوه علي أصبــر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ." (١)

ذهب الى الطائف علَّه يجد لدعوته قبولا فلم تواجهه قبائلها إلا بالإعراض والتكذيب ، وسلطوا عليه صغارهم وسفاءهم وعبيدهم يشتمونه ، ويرجمونه بالحجارة ، وتسيل الدماء من رجليه الطاهرتين ، ويذهب الى شجـرة يستظل بظلها ويناجي ربه ": اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ،

---

١ . تهذيب سيرة ابن هشام ص ٦٥ و ٦٦

ولكن عافيتك هي أوسع لي ،أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ،لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك " (١)

اعتدى الكفار عليه وعلى أتباعه ، وعذبوهم بأنواع العذاب ، فكانوا يأتونه يشكون إليه فيطلب منهم أن يصبروا ، ولقد حاصرهم المشركون في شعب بني هاشم ،فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا . (٢)

ثم هاجر الرسول الكريم وأصحابه إلى المدينه ليؤسس هناك أول دولة اسلامية قائمة على أسس ثابتة راسخة فكان هناك الأمة المسلمة ،والحكومة الإسلامية التي يرأسها الرسول الكريم ، والأرض الاسلامية المتمثلة في المدينة وما حولها والشريعة والمنهج الذى يسيرون عليه ، فكانت مقومات الدولة الأساسية متوفرة تماما لهذه الحكومة .

وحرص عليه الصلاة والسلام على ترسيخ قواعد التعاون بين أفراد هذا المجتمع ،فآخى بين المهاجرين والأنصار ، وعقد "معاهدة أساسية" تضاهي بل تفضل أحسن ما عرف العالم في هذا الباب وهو ما عرف "بالصحيفة " وقد لاحظت عليها مايلي : -

١. ميزت هذه الصحيفة المؤمنين عن غيرهم وجعلتهم أمة واحدة دون الناس ،سلمهم واحده ،يسعى في ذمتهم أدناهم ، وحرم عليهم مناصرة المشركين أو الكفار ضد المؤمنين .

---

١. سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩ و ٣٠

٢. تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام محمد هارون ص ٨١

٢ . ضمنت الحقوق والواجبات لجميع سكان المدينة ، وجعلت كل امرئ بما كسب رهين ، لا يضار أحد بذنب غيره .

٣ . ضمنت حقوق أهل الكتاب الذين يعيشون في هذه الدولة فلهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين ، وأعلنت بأن اليهود على دينهم ، وينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأنهم أمة مع المؤمنين .

" وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الاثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين " (١) .

ثم انطلق دعاة الإسلام بالرسائل التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأباطرة العالم في ذلك الوقت .

ثم انطلقت الجحافل الإسلامية تفتح البلدان بالنور الذى تحمله للأمم الأخرى .

وقد شيدوا دولة كانت المثل الأعلى للحرية والإخاء والمساواة وما زالت دول العالم ومخلصوه في شرقه وغربه ، يحلمون أن يصلوا بأممهم إلى جزء من السعادة والعدل الذى ركزت دعائمه في تلك الدولة ، التي كان رئيسها لا يميز عن شعبه إلا بكونه أثقلهم حملا وأقلهم مغنما ، ولكنه كان ينام آمنا مطمئنا تحت شجرة في العراء حتى استغرب رسول الفرس فقال قولته التي أصبحت مثلا " حكمت فعدلت فأمنت فنمت " .

---

١ . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٢٢

ورحم الله " حافظ ابراهيم "حين قال : (١)

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا   بين الرعية عطلا [٢] وهو راعيهـــا

وعهده بملوك الفرس أن لهـــا   سورا من الجند والأحراس يحميها

رآه مستغرقا في نومه فـــرأى   فيه الجلالة في أسمى معانيهـــا

فهان في عينه ما كان يكبـــره   من الأكاسر والدنيا بأيديهـــا

وقال قولة حق أصبحت مثـــلا   وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها

أمنت لما أقمت العدل بينهـــم   فنمت نوم قرير العين هانيهـــا

---

١. ديوان حافظ ابراهيم ج ١ ص ٩٠

٢. عطلا : خال من الســلاح

الفصل الثاني

خصائص الدعوة الاسلامية

المبحث الأول: الاسلام دين الفطرة

يعتبر الإسلام - إلى جانب ما يتميز به من صفات أُخرى - دين الفطرة السليمة الواضحة ، "فِطْرَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا " (١) لا التواء فيه ولا ألغاز ، ولم يدخل عليه تبديل أو تحريف يجعلان العقل عاجزا من فهم بعض ما جاء فيه .

فمن ناحية العقيدة يأمر الله سبحانه وتعالى بعبادة إلّه واحد ليس له شريك في الملك " لَمْ يَلِدْ وَلَم يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ " (٢) فلم يقل بآلهة كثيرة ، كما قال المشركون في الأرض وأمثالهم ، اليونان والرومان ، ولم يقل بثلاثة آلهة كما قالت النصارى " ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ " (٣) ولا بإلّهين إثنين متشاكسين كما قالت " الثنوية " - إلّه الخير وإلّه الشر اللذين هما في صراع دائم .

والاسلام خال من الأسرار المعقدة التي لا يعرفها حتى رجال الدين كما هو الحال بالنسبة للنصارى الذين لا يستطيع أحد منهم - ابتداء بأكابر رجال الدين وانتهاء بأصغر نصراني - أن يدرك سر التثليث مثلا ، أو سر

---

١ . سورة الروم من آية ٣٠

٢ . سورة الاخلاص الآيات ٣ و ٤

٣ . سورة المائدة من آية ٧٣

القربان وتحوله إلى لحم المسيح ودمه ، هذه الأمور التي يطالب رجال الدين النصارى أتباعهم الايمان بها دون محاولة لفهمها .

أما الإسلام فقد وضّح كل شيء " ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا "(١). والرسول الكريم عليه صلاة الله وسلامه يقول : " قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها الا هالك " (٢)

ويرفض الإسلام فكرة " الوساطة " بين العبد وربه كما هو الحال في الديانة النصرانية ، تلك الوساطة التي لا يستسيغها عقل ولا فطرة ولا إدراك فهي تجعل حجابا بين الله وعباده ، والله سبحانه هو الذى خلق الناس جميعا وهو أقرب اليهم من أنفسهم " وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ " (٣) وما دام ذلك كذلك فلمَ الواسطة ولم الحجاب؟ الذي اختلقه الإنسان بيده الظالمة والصقه في دين الله سبحانه والله يقول في محكم كتابه " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ " (٤) فإذا أراد الإنسان التوبة فليتجه إلى ربه الغفار الرحيم الذى يعرف حال عبده ، وإذا أراد السؤال فليتجه إليه فهو الكريم المعطاء ، وفي كل الأمور يتجه العبد إلى الله الواحد الأحد فهذه هي العقيدة الصحيحة التي تتمشى مع الفطرة ، إذ تخرج الإنسان من عبادة العباد الى عبادة رب العباد .

---

١ . سورة المائدة من آية: ٣

٢ . اخرجه الامام احمد في مسنده ج ٤ ص ١٢٦

٣ . سورة ق: آية ١٦

٤ . سورة البقرة: آية ١٨٦

ويعتقد أتباع الديانة النصرانية بأن الإنسان يولد مثقلا بالخطيئة التي ارتكبها آدم جد الإنسانية ، فهو يحمل وزر جده الأعلى الذى خالف أمر ربه بأكله من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها ، كما يطلبون من أتباعهم الأيمان بقصة " الصلب والفداء - صلب المسيح الإله بزعمهم - ، ليفدي البشر مما لحق بهم من تلك الخطيئة ، " وكيف يدخل عقلا أن الإله القادر القوي يتمكن منه أعداؤه ، ويصلبونه وهو يستغيث ولا مغيث له "(١)

أما الإسلام فيقرر ما يتمشى مع عقل الإنسان وفطرته حين يقرر بمنتهى الصراحة والوضوح " أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ "(٢) فلا يتحمل الإنسان وزر جده أو وزر والده أو وزر أقرب الناس اليه " كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ "(٣) وأن الانسان يولد بريئا من كل ذنب أو خطيئة .

وأما عن قصة آدم فيقول الله تعالى : " وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ . ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ "(٤)

كما يقرر الإسلام بأن الإنسان إذا اعتقد بإله واحد لاشريك له وآمن برسله جميعا ، لا يفرق بين أحد منهم ، وأطاعهم فإنه يصبح مسلما ، وهذا مطلب واضح جدا وبإمكان العقل العادي أن يفهم ذلك بسهولة ، وأن يفهم جميع الشعائر الأخرى التي يقوم عليها الإسلام . هذه الخاصية التي يتميز بها الإسلام ستجعل الناس دائما وأبدا في كل زمان ومكان يؤمنون به ويتحولون

---

١. الاسلام وحاجة الانسان إليه للدكتور محمد يوسف موسي ص ٤٣
٢. سورة النجم آية ٣٨
٣. سورة الطور : آية ٢١
٤. سورة طه : الآية ١٢١ و ١٢٢

إليه إذا وجدوا من يستطيع تقديمه لهم بالطريقة التي رسمها الله وحث عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

وقد اختص الله الدعوة الإسلامية بتعهده سبحانه وتعالى بحفظها قال تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "(٢)

---

١. لتفصيل اكثر راجع كتاب الاسلام وحاجة الانسان اليه للدكتور محمد يوسف موسي "من خصائص الاسلام" ص ٢٩

٢. سورة الحجر آية ٩

المبحث الثاني : الإسلام دين الحرية والمساواة

اعتبر الإسلام حرية الإنسان أساسا من الأسس التي تقوم عليها عقيدته وحياته ، لأن العقيدة لا تكون بلا حرية " ذلك لأن العقيدة في حقيقتها حاجة نفسية عند الشخص المعتقد ، معتمدة على أساس مقدس ، وهذه الحاجة النفسية هي التي توجد الإيمان والتدين عند صاحبها " (١)

وإذا صح استعمال القوة والقهر والإكراه في بعض أمور الحياة فإن هذا الإكراه لا يمكن استعماله لإرغام الإنسان على اعتناق دين معين أو فكرة محددة ، ذلك لأن الإيمان حاجة في النفس ، وإذا حصل وأكره صاحبها فإن هذا الإيمان لا يلبث أن يزول بمجرد ذهاب عامل الخوف قال الله تعالى : " وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ " (٢) فلا اعتبار للقول ، ولا للمظهر ، وإنما القيمة للجوهر فقد أعلن المنافقون ايمانهم ولكن الإسلام نبه اليهم ، وحذر منهم فهم أشد خطرا على الإسلام والدعوة الإسلامية من الكفار ، فقال الله عنهم : " .... هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ." (٣)

١ـ الدكتور احمد غلوش "الدعوة الاسلاميه اصولها ووسائلها" ص ٢٥٨

٢. سورة البقرة آية ٨

٣. سورة المنافقون آية ٤

ولم يقم الإسلام وزنا لإيمان الذين يؤمنون بالله قسرًا أو اضطرارًا كالذى يؤمن أو يتوب إلى الله عندما تحضره الوفاة ، فقال جل شأنه : " وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا " (١) يقول الرازى "إن الإيمان في الوقت الذى يعاين المرء فيه نزول ملائكة الرحمة والعذاب لا ينفع ، إنما ينفع وقت ما يملك الإنسان القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا "(٢)

وقد أعلن فرعون إيمانه عندما رأى البحر يطبق عليه والموت يحيط به فقال : " آمَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ " فرد عليه سبحانه وتعالى بقوله : " . . . . ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ • فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ . "(٣)

ولما كانت الحرية وحبها والحرص عليها من الأمور الفطرية ، فقد حرص الإسلام على مراعاتها ، فدعا إلى تحرير عقل الإنسان من الضلالات والتقاليد الباطلة ، ودعا إلى تخليص الضعفاء من سيطرة الأقويا ، وجعل الناس متساوين لا فرق بين أسود وأبيض أو بين حاكم ومحكوم ، أو رجل وامرأة وجعل معيار

---

١ . سورة النساء آية ١٨

٢ . مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٣٤٥

٣ . سورة يونس آية ٩١ - ٩٢

التفاضل هو " التقوى " . " يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (١)

ثم يوجهنا الإسلام إلى عدم اتخاذ بعضنا أربابا من دون الله ، فالخضوع للحاكم الذى يأمر بغير ما أنزل الله يعتبر تأليها لذلك الحاكم وفي ذلك يقول سبحانه للكتابيين الذين رفضوا الدخول في الإسلام ، رغم الحجج الواضحة والآيات البينه : " قُلْ : يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ." (٢) وقال عن اليهود والنصارى أيضا " ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ." (٣)

ثم إن الإسلام أعطى للمرأة وضعها الفطرى الطبيعي وجعلها مع الرجل على قدم المساواة في التكاليف الشرعية والحقوق والواجبات ، إلا ما اقتضته فطرة كل منهما فحينئذ يقدم الرجل فيما يخصه كالقوامه على البيت ، ويقدم المرأة فيما يخصها كحقها في قبول الزوج أو رفضه ، وحقها في حضانة الأبناء الصغار ، وجعل لها نصيبا في الإرث وندد بعادات العرب في احتقارها فقال تعالى : " وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ

---

١ . سورة الحجرات: آية ١٣

٢ . سورة آل عمران: آية ٦٤

٣ . سورة التوبه: آية ٣١

كَظِيمٌ. يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ "(١)

وقد حرر الإسلام الإنسان من العبودية لشهواته وهواه فقال تعالى : "وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ " (٢) وندد سبحانه وتعالى بالمتع البهيمية التي يتخذها الإنسان فقال "وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ " (٣)

ومن شدة عناية الإسلام بالحرية أن الله سبحانه وتعالى جعل رسوله هاديا ومبشرا ونذيرا فقط ، ولم يطلب منه أن يكره أحدا على الإيمان فقال تعالى : " لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ . . . "(٤) وقال تعالى : "وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ . "(٥) ومن المعروف أن أخا "مارية القبطية" بقي على دينه سنوات في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم(٦)، وقد أمر الإسلام بإحسان معاملة أهل الكتاب فقال عز من قائل : "وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ . . "(٧) ووصى برعايتهم والعدل معهم ، والبر اليهم ، وضمن لهم حرية العبادة ، وصان شعائرهم . كل ذلك انبعاثا من أصله الأصيل في تكريم الإنسان واحترام حريته التي جعلها سبحانه وتعالى مناط تكليفه وثوابه وعقابه بعد ذلك .

---

١. سورة النحل آية ٥٨ - ٥٩
٢. صورة (ص) آية ٢٦
٣. سورة محمد : آية ١٢
٤. سورة البقرة اية ٢٥٦
٥. سورة يونس آية ٩٩
٦. ابن سعد "الطبقات الكبرى" ج ٨ ، ص ٢١٢
٧. سورة العنكبوت اية ٤٦

المبحث الثالث : عالمية الدعوة الإسلامية

كان رسول الإسلام صلاة الله وسلامه عليه يحمل من الصفات الحميدة والأخلاق الطيبة ما يجعله بحق الرسول القدوة للعالم أجمع ، يقول الله سبحانه وتعالى في مدحه : " وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ " (١) ويقول : " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ " (٢)

وقد كانت دعوته للناس جميعا لا للعرب وحدهم قال تعالى مخاطبا نبيه " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ " (٣) وقال " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا " (٤) وقال جل من قائل : " تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا " (٥) كما أمر سبحانه وتعالى أن يتوجه للناس جميعا بقوله : " قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " (٦)

قبل الإسلام كان كل رسول يرسل إلى قومه . فأنبياء بني إسرائيل لم يتوجهوا بدعوتهم إلا إلى بني جلدتهم ، فكتبهم وأسفارهم لم تخاطب غيرهم

---

١ . سوورة القلم آية ٤
٢ . سورة التوبه آية ١٢٨
٣ . سورة الأنبياء آية ١٠٧
٤ . سورة سبأ آية ٢٨
٥ . سورة الفرقان آية ١
٦ . سورة الأعراف آية ١٥٨

والقرآن الكريم يؤكد أن رسالات الرسل السابقين لم تكن عالمية ، وإنما كان يرسل الرسول إلى قومه وحدهم قال الله تعالى : " إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ .... " (١) وقال : " وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ... " (٢) وقال " وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا " (٣) وقال سبحانه : " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ... " (٤) ولكن الرسالة الإسلامية هي أول وآخر رسالة جعلها الله للبشرية كافة فهي خاتمة رسالات الله إلى الناس أجمعين ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فحسنه وجمله إلا موضع لبنه من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنه ، فأنا اللبنه وأنا خاتم النبيين " (٥)

وقد كانت مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام خير شاهد على عالمية الرسالة وعالمية المدرسة ، فقد كان من بين صحابته عليه الصلاة والسلام العرب من قريش وغيرها ، وبلال من الحبشة ، وسلمان من بلاد فارس ، وصهيب من بلاد الروم ، ويعتبر هذا من الأدلة التطبيقية على عالمية الرسالة الاسلامية ؛ هذه المدرسة التي وحدت شعوب الأرض على قدم المساواة لأول مرة في تاريخ الإنسانية ، فقبل رسالة الاسلام " كان الرومان يزعمون أنه من الطبيعي أن يكونوا حكام العالم وغيرهم ليسوا إلا برابره وخداما لهم ، وكان اليهود والنصارى ،

---

١ . سورة نوح من آية ١
٢ . سورة الاعراف آية ٦٥
٣ . سورة هود آية ٦١
٤ . صورة الاعراف آية ٨٥
٥ . رواه البخارى . ج ٤ ، كتاب بدء الخلق - باب خاتم النبيين ص ١٦٢ - ١٦٣

يقولون " نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ " (١) وقالوا " لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ " (٢) وكان العرب يرون أنهم وحدهم أهل الفصاحة والبلاغه والكلام وأن غيرهم ليسوا إلا عجما ، وكان البراهمة يعتقدون أن الله خلقهم من أشرف جزء فيه وهو الرأس ، وخلق المنبوذين من أدنى جزء وهو القدم وشتان بين الرأس والقدم " (٤) وعلى العموم كان التفاضل بين الناس قبل أن يشرق الإسلام بنوره على الإنسانية - قائما على الجنس أو الدين أو النسب أو المال وكثرة الأبناء ولكن الاسلام ألغى هذه الأسس الجاهلية جميعا واعتبرها عرضا زائلا قال تعالى " ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ " (٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى " (٦) فزالت موازين الباطل وجاء ميزان الحق القائم على العدل والمساواة بين أبناء البشر جميعا .

---

١ . سورة المائدة من الآية ١٨
٢ . سورة البقرة من الآية ١١١
٣ . الدكتور محمد يوسف موسى " الاسلام وحاجة الانسان اليه " ص ٣٥
٤ . نفس المصدر السابق ص ٥٩
٥ . سورة الحديد آية ٢٠
٦ . مسند الامام احمد ج ٥ ص ٤١١

المبحث الرابع : الإسلام دين العقل والفكر

يعرض الله سبحانه دعوته على الناس فينادى أفهامهم وعقولهم في آيات كثيرة ، قال تعالى " إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ " (١) وقال تعالى : " وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (٢) ويعيب الله سبحانه وتعالى على الذين لا يستعملون عقولهم ، ويضعهم في صف البهائم بل ويعتبر أنهم إنما هيئوا لجهنم قال تعالى : " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ." (٣)

ومما يسهل قبول الناس للإسلام أن الدين الإسلامي بعيد عن الخزعبلات الفارغة ، والضلالات الممقوته ، وذلك لأنه يقيم للعقل وزنا كبيرا ، فهو لم يطلب من الناس الإيمان به بلا تفكير أو روية ، بل يطلب اليهم التفكير والتدبر فيما حولهم من آيات تدل على وجوده سبحانه فيقول : " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ." (٤)

كما يمقت الله سبحانه الذين ينكرون دعوته مكتفين بما وجدوه عند آبائهم وأجدادهم من خرافات فارغة ، وأفكار تافهة فقال جل شأنه : " وَإِذَا قِيلَ

---

١ . سورة ال عمران آية ١٩٠

٢ . سورة النحل آية ١٢

٣ . سورة الاعراف آية ١٧٩

٤ . سورة يوسف آية ٢

لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ " (١)

فدعوة الإسلام تطلب من الإنسان الإبتعاد عن التقليد واستعمال العقل والتفكير فقال تعالى : " قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا . . . . " (٢)

يقول الدكتور أحمد غلوش : " ومن أجل المحافظة على القدرة الكاملة للعقل لم تقم الدعوة الاسلامية أساسا على المعجزة الحية الخارقة للعادة ، لأن صاحبها لا يثبت بها وحدها أمام المجادلة والشكوك ولذلك لما طلبها المشركون ، وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : " ... لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ". (٣)

ولما طلب المشركون هذه المعجزات الحسية استنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ذلك وقال لهم كما علمه القرآن : " قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا " (٤) وذلك لأن الايمان يحتاج إلى اقتناع كامل ، ولو تم الايمان عن طريق المعجزة الحسية لكان تسليما لا يتساوى مع طلعة العقل المدرك الذى يفحص ويفهم (٥)

---

١. سورة المائدة آية ١٠٤
٢. سورة سبأ آية ٤٦
٣. سورة الإسراء الآيات من ٩٠ - ٩٣
٤. سورة الاسراء الآية ٩٣
٥. الدعوة الاسلامية للدكتور احمد غلوش ص ٢٥٦

المبحث الخامس : الاسلام دين الشمول

جاء الإسلام شاملا لجميع مناحي الحياة ، واضعًا لها - كما أسلفنا - أنجع الحلول ، ذلك لأن واضع هذه الحلول هو الله العظيم الذى خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب اليه من حبل الوريد ، وضع القانون الذى ينفع الإنسان ويناسبه في كل زمان ومكان ، وأرسل بذلك رسله وأنبياءه وعند ما كملت العقيدة وصلح البناء ولم تبق إلا اللبنة النهائية جاء رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ليكمل للمؤمنين دينهم ، وقوانين حياتهم التي وضعها الله لهم لتطاع وتطبق ، ويحكم بها ، لأن الله هو ملك هذا الكون وهو صاحب الحق في أن يضع في ملكه القوانين التي يريدها ، وعلى هؤلاء الذين يعيشون في ملكه أن يلتزموا بأوامره .

وهؤلاء الذين استخلفهم الله في ملكه ، وولاهم أمر عباده إما أن يكونوا ملتزمين بالحكم بما أنزل الله قائمين على شريعته كاملة غير منقوصة فيدخلوا بهذا في عباد الله المؤمنين ، وإما أن يُحَكِّموا شرائع أخرى مما لم يأذن به الله فيصبحوا بذلك كافرين ، قال تعالى " .... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ ." (١)

يقول الشهيد "سيد قطب" "... الذى لا يحكم بما أنزل الله إنما يرفض ألوهية الله ، فالألوهية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية التشريعية ومن يحكم بغير ما أنزل الله ، يرفض ألوهية الله وخصائصها في جانب ، ويدعي

---

١ . سورة المائدة من آية ٤٤

لنفسه هو حق الألوهية وخصائصها في جانب آخر ، وماذا يكون الكفر إن لم يكن هو هذا وذاك . وما قيمة دعوى الايمان أو الإسلام باللسان ، والعمل - وهو أقوى تعبيرا من الكلام - ينطق بالكفر أفصح من اللسان .

إن المماحكة في هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل ، لا تعني إلا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة ، والتاويل والتاول في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه . . . وليس لهذه المماحكة من قيمة ولا أثر في صرف حكم الله عمن ينطبق عليهم بالنص الواضح الأكيد " (١)

والشرائع التي يضعها الإنسان تكون ظالمة ذلك لأن الإنسان لا يستطيع أن يعرف أو يقدر ظروف غيره من بني البشر الذين يعيشون في مكان آخر أو الذين سيكونون في زمان آخر . لذلك فإن تشريعه يكون ناقصا ، وتطبيق الشرع الناقص يؤدى الى ظلم العباد ، قال تعالى : " . . . . وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ ." (٢)

وإذا وجد الإنسان شريعة عادلة سمحة ، ثم عدل عنها بهواه إلى شريعة أخرى أو الى مذهب من المذاهب التي وضعها الناس فهو متمرد على دين الله خارج عن حدوده وهذا هو الفسق في قوله تعالى ". . . . وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ." (٣)

يقول الشهيد سيد قطب : " الكفر برفض ألوهية الله ممثلا هذا في رفض شريعته ، والظلم بحمل الناس على غير شريعة الله ، وإشاعة الفساد في

---

١. في ظلال القرآن م ٢ ج ٦ ص ٨٩٨

٢. سورة المائدة من الآية ٤٥

٣. سورة المائدة من الآية ٤٧

حياتهم ، والفسق بالخروج عن منهج الله ، واتباع غير طريقه ، فهي صفـات يتضمنها الفعل الأول ، وتنطبق جميعها على الفاعل ، ويبوء بها جميعا دون تفريق ". (١)

وقد يتذرع بعض الظالمين الفاسقين للخروج على شرع الله بأنهم إنما يريدون بذلك تأليف قلوب الأمة بطوائفها المختلفة وعقائدها المتفرقة فيجمعون الناس على طريق واحد متحدين متعاونين ، فنرد على هؤلاء بأن الله الذى أنزل الشرائع خلق الناس هكذا وإذا كان أنبياء الله ورسله قد عجزوا عن توحيد جميع الناس على دين واحد رغم ما أعطاهم الله من إيمان وإخلاص ومقدرة ، فهل ينجح المبطلون في ذلك ؟ قال تعالى : "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ، وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ." (٢)

ثم إن الله اللطيف الخبير الرحمن الرحيم لا يضع لهذا الإنسان من القوانين والإرشادات إلا تلك التي تعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة ، أما الإنسان المنحرف الظالم أو المنافق الذى يتظاهر بالإيمان أو الذى لم يكمل إيمانه فإنه يتحين الفرص للخروج على شرع الله القويم ، ومنهاجه العادل ، أو على بعضه والعودة إلى تحكيم الطواغيت في أموره أو في بعض أموره هدفه في ذلك مسايرة رغباته وشهواته : قال تعلى "وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ " (٣)

---

١ . في ظلال القرآن م ٢ ج ٦ ص ٩٠١

٢ . سورة المائدة من آية ٤٨

٣ . سورة المائدة الآيات ٤٩ ، ٥٠

الفصل الثالث

أساليب الدعوة الإسلامية ووسائلها..

اقتضت إرادة الله سبحانه أن تبلغ دعوته إلى الناس كافة ، فوضع الأساليب والوسائل المحققه لذلك في القرآن الكريم ، وفي سنة نبيه ، وفي الأعمال الصالحة التي هدى اليها الصحابة الكرام الذين ساروا على هدية ، على ما نبينه فيماياتي : -

المبحث الأول : تعريف أساليب الدعوة الاسلامية ووسائلها

أولا : تعريف الأسلوب :

الأسلوب لغة :

يطلق الأسلوب في لغة العرب اطلاقات مختلفة فيقال للطريق بين الأشجار ، وللفن ، وللمذهب ، ويطلق على طريقة المتكلم في كلامه ، ويقال سلكت طريق فلان في كذا : أى سلكت طريقه ومذهبه . (١)

والأسلوب اصطلاحا :

هو الطريقة التي يسلكها الداعية لايصال الدعوة الى الناس .

ثانيا : تعريف الوسيلة :

الوسيلة لغة :

من الفعل وسل يسل وسلا : أى رغب وتقرب فنقول توسل فلان الى الله : اى عمل عملا تقرب به اليه ، والوسيلة : الوصلة ، والوسيلة ، القربى

---

١. المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٤٣ ، مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ج ٢ ص ١٩٨

والوسيلة : درجة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة . (١)

والوسيلة اصطلاحا :

هي ما يستعان به على الوصول الى هدف معين .

ووسائل الدعوة الاسلامية :

هي كل ما يستعين به الداعية (من الاشياء) على تبليغ الدعوة الى الناس بشكل نافع مثمر . (٢)

ولتوضيح الفرق بين الاسلوب والوسيلة نضرب الامثلة الاتية :

فعند ما يصوغ الشاعر شعره فهذا أسلوب والكتاب أو المنشور الذى يحمل هذا الشعر للناس وسيلة ، والكاتب الذى يكتب قطعة أدبية فكتابته أسلوب والصحيفة التي تنقل هذه القطعة للقراء وسيلة ، والخطيب الذى يختار كلمات خطبته وعباراتها فعمله هذا اسلوب ومكبر الصوت الذى يحمل هذه الكلمات والعبارات للناس فهو وسيلة ، ومن هذا يتضح ان الوسيلة تخدم الاسلوب .

المبحث الثاني : أساليب الدعوة الاسلامية

للدعوة الاسلامية اساليب كثيرة نذكر منها الاساليب الآتية على سبيل المثال لا الحصر

اولا : تحديد الداء ووصف الدواء :

يشبه العلماء الداعية بالطبيب الذى يأتي لعلاج مرضاه ، فيقوم بتحديد المرض الموجود في مجتمعه ، ثم يصف الدواء اللازم للتخلص من هذا المرض .

وأصل داء البشر هو جهلهم بالله وكفرهم به ، وتمردهم عليه برفض العبودية الكاملة له سبحانه ، ورفض المنهاج الذى جاء به رسول الله صلى الله

---

١ . المعجم الوسيط ج ٢ ص ١٠٤٤

٢ . اصول الدعوة : للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٤٢٩

عليه وسلم ، وغفلة الناس عن الآخرة وركونهم إلى الدنيا ، هذا هو الداء الذى يصيب البشرية من حين إلى حين ، وقد يظهر الكفر بجميع مقوماته ، وتظهر تبعا لذلك المفاسد والشرور جميعها ، وقد يظهر جزء من الكفر فيظهر نوع من الفساد بقدر ذلك الكفر الذى ظهر أو تنتشر المعاصي والكبائر التي هي دون الكفر.

وعلاج هذا المرض هو الايمان بالله وحده لا شريك له ، بالطريقة التي يراها سبحانه والخلوص من الشرك ، والانقياد له بالطاعة ، وهذه هي الرسالة التي جاء بها الأنبياء جميعا ، قال تعالى : "إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (١) ". وقال سبحانه : "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ " (٢)

وقد جاءت التعاليم السماوية التي قصدت اخراج البشر من عبادة البشر إلى عبادة رب البشر ، ومن ذل المعصية الى عز الطاعة لتوكيد معنى العقيدة وغرسها في النفوس فقال تعالى : "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ " . (٣)

وقد بدأ القران يتنزل على الرسول الكريم ليثبت العقيدة في نفوس المسلمين طوال العهد المكي ولم ينقطع في العهد المدني بل استمر التوكيد على تثبيت هذه العقيدة ـ الى جانب التشريع وشعائر الإسلام الأُخرى ـ ، في العهد المدني كما يشهد على ذلك كثير من الآيات ، وختام آيات المعاملات

---

١. سورة نوح الآيات ١ و ٢ و ٣

٢. سورة النحل من آية ٣٦

٣. سورة الأنبياء آية ٢٥

التي كانت دائما تحض على الايمان بالله واليوم الآخر ، كما في الآيات الكريمة "إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ٱلأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيرًا . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً " (١)

وعلى الداعي أن يهتم بعلاج أصل الداء والا يبعثر مجهوده بالخوض فيما يهواه الناس ، من أمور فرعية ، أو ثرثرة سياسية قد تبعده عن أصل الداء ، فيكون كمن يبني بناء بلا أساس لا يلبث أن ينهار ، والرسول عليه الصلاة والسلام بدأ بدعوته ببناء العقيدة في النفوس ، ولم يتعرض للفروع والجزئيات حتى قوى الايمان وانتصر الحق ، فقام المسلمون بتحطيم الأصنام بأقل عناء وهم يرددون قوله تعالى : " وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً " (٢)

ثانيا : إزالة الشبهات

المقصود بالشبهات هو ما يثيره أعداء الدعوة من الشكوك والريب في صدق الداعي ، وأحقية ما يدعو اليه ، وهم بإثارتهم لتلك الشكوك والريب يحاولون منع الناس من الاستجابة للداعية أو على الأقل تأخير الاستجابة له حماية لعادة سيئة تعودوها أو حماية لمصلحة ، أو رئاسة ، ويكرر هؤلاء

---

١ . سورة النساء الآيات ٥٨ و ٥٩

٢ . سورة الاسراء آيه ٨١

الطواغيت - الذين تكون في يدهم المصلحة أو الرئاسة - التهم والشبهات أَمام العوام مرات كثيرة حتى تثبت في أذهانهم ، وتصرفهم عن دعوة الحق ودعاتها .

ويجب على الداعي أن يدرك أن أعداء الدعوة الإلهية موجودون منذ الأزل ، فما جاء رسول بدعوة إلا وقف هؤلاء الأعداء يثيرون في وجهه غبار الشبهات ، وظلم الاتهامات قال تعالى مخاطبا رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : "مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ . . . "(١) وقال عز من قائل : "كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا : سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ." (٢)

فاذا فهم الداعي هذه الحقيقة زال عجبه ، وسكن غضبه فهو ليس أفضل من رسل الله ، ولا أفصح بيانا ، ولا أكثر تأييدا من الله ، ثم ان الامور أولا وأخيرا تجرى بإرادة الله ، وما على الداعي إلا أن يبذل طاقته في سبيل الله ، ثم ان التوفيق بيد الله سبحانه " وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ." (٣) ولسنا أحرص من الله على دعوته ، وليعلم الدعاة بأن الله سيحاسبهم إن قصروا في الدعوة الى الله ، ولن يحاسبهم على تحقق هداية الناس ، فالهداية بيده سبحانه يؤتيها من يشاء ، في أى وقت شاء .

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان : " والشبهات أنواع ، منها ما يتعلق بالداعي ومنها ما يتعلق بموضوع الدعوة ، ومنها ما يتعلق بعموم المدعوين فالذى

---

١. سورة فصلت من الآية ٤٣

٢. سورة الذاريات آية ٥٢ و ٥٣

٣. سورة يوسف آية ٢١

يتعلق بالداعي يتمثل بالطعن في شخصه ، وسيرته ، وسلوكه ، والصاق التهم به ، ورميه بالسفه ، والجهالة ، والضلاله ، والجنون والافتراء الى غير ذلك مما يكون المقصود منه تنفير الناس من الداعية وعدم الثقة به .

والذى يتعلق بموضوع الدعوة ، يتمثل في اتهامها بالابتداع والخروج على مألوفات الناس ، وتقاليدهم ، ونظامهم الموروث ، مما يراد به تنفير الناس من الدعوة الى الله وصدهم عن سبيله .

والذى يتعلق بالمدعوين يتمثل بإظهار الحرص على مصالحهم وملتهم ودين آبائهم والحفاظ على نعيمهم ، وحياتهم المطمئنه مما يقصد منه إثارة حماس الناس ضد الدعاة الى الله (١) .

يقول الامام الشيخ حسن البنا - رحمه الله - في تصوير مثل هذا :

"سيقف جهل الشعب بحقيقة الاسلام عقبة في طريقكم وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم في سبيله وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذووا الجاه والسلطان وستقف في وجوهكم كل الحكومات على السواء وتحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم . وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة وان يظهروها للناس في أبشع صورة معتمدين على قوتهم وسلطانهم ومعتمدين بأموالهم ، ونفوذهم" (٢)

وموقف الداعية هو تفنيد هذه الشبهات ، واظهار زيفها أمام الناس بالحجة الواضحة والبراهين الحسنه ، برفق وصبر ، وتحمل واحتساب ما يلقى من الاذى عند الله ، وله في رسل الله اسوة حسنه ، وفي القرآن الكريم صور كثيرة لمواقف أعداء

---

١ . الدكتور عبد الكريم زيدان أصول الدعوة ص ٤١١

٢ . رسالة بين الامس واليوم ص ٢٩

الدعوة من الرسل . فقال تعالى عن قوم نوح عليه السلام وما رموه به ، وطريقة رده عليهم : " قَالَ ٱلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ." (١)

والقرآن الكريم مملوء بهذا اللون من الأساليب الهادية .

ومن بعض الذين أترفوا بواجه الدعاة معاندة ومعارضه خوفا منهم على ضياع مافي أيديهم من ثراء وسلطان قال تعالى : " وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ، قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ " (٢) فتكذيبهم حاصل حتى ولو إذا وضح لهم أن الذى جاء به الرسول - وهو الحق - أفضل مما كان عليه آباؤهم .

ثم إن أعداء الدعوة يتعالون على الرسل والذين آمنوا معهم ويحتقرونهم قال تعالى عن قوم نوح : " فَقَالَ الْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ " (٣) ويقص الله سبحانه وتعالى علينا اجابة نوح عليه السلام فيقول : " قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ . وَيَا قَوْمِ

---

١ . سورة الاعراف الآيات ٦٠ - ٦٣

٢ . سورة الزخرف آية ٢٣ و ٢٤

٣ . سورة هود آية ٢٧

مَنْ يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ ٱللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ، ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّالِمِينَ .(١)

هذه هي الشبهات الكاذبة والتهم الظالمة التي يحاول أعداء الدعوة الإلهية الصاقها بالرسل الكرام وبدعواتهم الطاهرة ، وبالمخلصين من عباد الله وهي شبهات تتكرر كلها أو بعضها في كل زمان ومكان ولكن الغلبة دائما للمؤمنين المخلصين ، "كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ "(٢) ولنا في أساليب الرسل الأكرمين وإجاباتهم خير أسوة وأكرم قدوة .

ثالثا : التــرغيب والترهـــيب

الترغيب : هو ذكر كل ما يحبب المدعو ويشوقه إلى الاستجابة وقبول الحق .

والترهيب: هو ذكر كل ما يخيف المدعو ويدفعه إلى الابتعاد عن الباطل والاستجابة للحق والثبات عليه .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم آيات كثيرة تعرض لنا الوعود الطيبة التي وعد الله المؤمنين المخلصين من عباده ، ووعيده سبحانه للكافرين المكذبين ، قال تعالى : "إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَامُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ "(٣) واستمع الى وعيده سبحانه وتعالى للذين يتمردون عليه رغم ما أنعم به عليهم فيقول لرسوله : " وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا. إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا . وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا. يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ."(٤)

---

١ . سورة هود الآيات ٢٨ - ٣١
٢ . سورة المجادلة آيه ٢١
٣ . سورة محمد آية ١٢
٤ . سورة المزمل الآيات ١١ - ١٤

ويعرض الله سبحانه وتعالى صورا ثنائية كثيرة ، واحدة مشرقة جميلة للمؤمنين المخلصين ، وبجانبها صورة قاتمة مخيفة بائسة للمكذبين الكافرين الظالمين (١) قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم : "وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا • إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا • أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ." (٢)

فان المقارنة بين وضع المؤمنين وهم يتمتعون في الجنات التي تجرى من تحتها الأنهار والكافرين الظالمين الذين يستغيثون مطالبين بشربة ماء فيغاثون بماء كأنه المعادن المنصهرة وعندما يقتربون منه ليشربوا يشوى وجوههم من شدة حره . صورة مروعة حقا ، وإن من يرى الصورتين ببصره وبصيرته يسرع للإنضمام إلى ركب دعوة الحق ويترك صفوف أعدائها .

---

١ . راجع كتاب التصوير الفني في القرآن للشهيد سيد قطب

٢ . سورة الكهف الآيات ٢٨ ـ ٣١

المبحث الثالث: وسائل الدعوة الإسلامية

كلف الله سبحانه وتعالى المسلمين ابلاغ الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة بالوسائل التي رسمها في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد اعتبر الإسلام الداعية نفسه وسيلة من وسائل الدعوةبما يتحلى به من علم ومعرفة وحكمة وموعظة حسنه " وهو وسيلة الوسائل ، وأساسها العملي الذى يحولها إلى تطبيق وتنفيذ "(١)

وعلى هذا فإن أهم وسائل الدعوة الإسلامية هي القرآن الكريم والسنة النبوية ، والداعية .

أولاً : القرآن الكريم

القرآن هو كليّ هذا الدين ، وينبوع شرائعه وأُحكامه ، ومستودع أَسراره ونظامه ، ومستقر مبادئه وأُصوله كما هو معلوم مقرر . وهو من جانب آخر يعتبر من أَهم وسائل الدعوة الإسلامية ، فهو بالنسبة للعرب كتاب محكم قوى أذهلهم بقوة أُسلوبه وطريقة عرضه ، على الرغم من أَنهم كانوا في تلك الأَيام في أَوج قوتهم اللغوية ، وكانوا يعقدون الأَسواق الخاصة لعرض روائعهم الأُدبية ويتفننون بقدراتهم على عرض القضايا التي يريدون عرضها بأُساليب مختلفة وقد وضعوا محكِّمين ليحكموا من هو الأُديب القوى ، والشاعر الفحل ، وما هو الانتاج الأُدبي الذى يفخر الناس بحفظه وروايته وتناقل الرواة أَقوى ما عرض في تلك الأُسواق ، حتى لقد علقوا بعضها في الكعبة لقوتها وشدة تأْثيرها .

---

١ • الدعوة الاسلاميه للدكتور احمد غلوش ص ٢٧٤

فجاء القرآن بأسلوبه القوي المذهل ، وتحداهم ، وهم في أوج عظمتهم بأن يأتوا بمثله ، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله ، ثم بسورة واحدة من مثله ولكنهم عجزوا عن ذلك ، قال تعالى : " وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ • فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ " (١)

وقد استعمل القرآن الكريم وسائل كثيرة لإقناع الناس جميعا بأن الإسلام هو دين الحق الذي يريده الله لعباده ، فأسلوب القصة وسردها لما حصل للأمم السابقة التي كذبت الرسل ، ثم استعماله لأسلوب القسم ، وما لهذا الأسلوب من تأثير على نفس الإنسان ، وضربه للأمثال التي تقرب القضايا إلى ذهن المدعو ، وأسلوب الجدل الذي يبهت الكفر وأهله ، هذه الأساليب وغيرها جعلت القرآن الكريم أهم وسائل الدعوة الإسلامية ، وفيما يلي عرض سريع لهذه الوسائل التي عرضت فيه .

١ - القصة :

تناقل الإنسان القصة منذ العصور الأولى لوجوده على ظهر الأرض فكانت بأحداثها وعناصرها ووقائعها مسلية أو مثيرة أو مشجعة ، وكانت القصة تؤثر في العربي وتجلب انتباهه ، وقد حوى القرآن الكريم كثيرا من قصص الأمم السابقة وسردها بطريقة مؤثرة على نفس الإنسان فمثلا عرضه لقصة آدم ، وكيف أن الله أكرمه وأسجد له ملائكته " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ " (٢) وأسكنه الله الجنة وأعطاه حرية الأكل

---

١. سورة البقرة : آية ٢٣ و ٢٤

٢. سورة البقرة آية ٣٤

مما لذ وطاب من ثمارها إلا شجرة واحدة ، ولكن الشيطان الذى أخذ على عاتقه إضلال آدم وذريته ، ووسوس له ، وأغراه حتى قاده إلى الأكل منها ، فقال تعالى : "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ • فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ......"(١) فما أجدر الانسان والحالة هذه بأن يبتعد عن وساوس الشيطان التي تضله . بعد أن تدخل هذه المعاني إلى نفسه عن طريق الحوار القصصي والتسلسل الذى لا ينسى .

ويعرض القرآن قصة نوح عليه السلام ، وتكذيب قومه له وما كان من أثر ذلك على الكافرين ، فقد أرسل الله عليهم الطوفان فقضى عليهم جميعا ، ونجت الفئة المؤمنه بفضل الله وكرمه قال تعالى : "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ • فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ • فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ • وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ • تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ" (٢)

ثم يعرض قصة إبراهيم عليه السلام ، فقد دعا والده - وهو أقرب الناس اليه - باسلوب قوى مؤثر فقال تعالى : "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا • إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا • يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا • يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا " (٣)

---

١ . سورة البقرة آية ٣٥ و ٣٦

٢ . سورة القمر الآيات ٩ - ١٤

٣ . سورة مريم الآيات ٤١ - ٤٥

ولكن والده ينضم إلى الضالين من قومه ويزجر ولده ، ثم يعميه الضلال عن روئية الحق واتباعه ، ويعرض القرآن الكريم بقية القصة فيقول تعالى : " قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا " (١) وتنتهي القصة بين إبراهيم عليه السلام ووالده بقوله تعالى : " قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۔ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا " (٢)

ولقد احتوت القصص التي سردها القرآن الكريم على سلوى وتسرية عن نفس الداعية عند ما يلصق به أعداء الدعوة التهم الباطلة ، ويثيرون حوله الشبهات ليضلوا الناس ويبعد وهم عن الهدى ، وفي قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه خير شاهد على ذلك عند ما قال فرعون : " ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ " (٣) وقالوا السحرة في موضع آخر عنه وعن أخيه هارون : " قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ " (٤) .

وما أشبه اليوم بالأمس فقد الصق المبطلون الضالون بدعاة الإسلام نفس الشبهات والتهم وكانوا دائما يرددون نفس الذى قاله فرعون ولكن بتغيير قليل في الأسلوب فبدلوا قول فرعون " وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ " بقولهم" ليقضوا على مكاسبكم الثورية " وأمثال هذه العبارات والاتهامات التي لا يزال القرآن يعطي لها نموذجًا تذكرةً للدعاة والموءمنين إلى يوم القيامة .

---

١ . سورة مريم آية ٤٦
٢ . سورة مريم آية ٤٧ و ٤٨
٣ . سورة غافر آية ٢٦
٤ . سورة طه آية ٦٣

وكذلك عرض القرآن قصة لوط عليه السلام مع قومه الذين قالوا : " أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ " (١) فالتطهر جريمة في نظر اولئك السفلة . (٢)

ب - استعمال القسم :

ومن الوسائل المؤثرة التي يستعملها القرآن الكريم والتي تؤثر تأثيرا كبيرا في نفوس المدعوين اليه اسلوب القسم . فهو سبحانه ينبه عقول المدعوين الى الشيء الذى يقسم به ، فان كان مخلوقا ظهرت عظمته للنفوس وبالتالي تعظم خالقه ، وإن كان المقسم به هو الله فان المقسم عليه يزداد جلالا في النفوس ، فقال تعالى : " يس . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . " (٣) وقال " وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ . " (٤) وقال : " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ . لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " (٥) ومن الأمثله التي تؤثر في نفوس المدعوين تأثيرا كبيرا قوله تعالى : " وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ " (٦) وقوله تعالى : " لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ " (٧) وقوله جل من قائل : " وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ " (٨) . فالإنسان خاسر إلا إذا

---

١ . سورة النمل آية ٥٦

٢ . لتفصيل اكثر راجع كتاب الدعوة الاسلامية للدكتور غلوش

٣ . سورة يس الآيات ١ و ٢ و ٣

٤ . سورة الضحى الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٤

٥ . سورة التين الآيات ١ - ٤

٦ . سورة يونس آيه ٥٣

٧ . سورة الحجر آيه ٧٢

٨ . سورة العصر الآيات من ١ - ٣

كان من المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، ويتواصون بالحق والصبر ، ثم قوله تعالى : "وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۔ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ "(١) وقال أعرابي متعجبا عند ما سمع هذا القسم " من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف : لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين "(٢) ويتكرر القسم في القرآن الكريم بأسلوب قوى موثر يجعل الإنسان مهيئا للايمان بهذه الدعوة الحقه ،إن لم يكن ممن ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون .

جـ - استعمال الامثال :

استعمل العرب الأمثال في اللغة العربية لأنها تقرب المعاني إلى العقول وتجعلها سهلة الفهم ، وقد استعمل القرآن الأمثال ليقرب المعاني وليجعل صورتها مثيرة للمستمع قال تعالى "إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ "(٣) وقال تعالى : "إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ."(٤)

الامثال وسيلة للدعوة :

للأمثال دور خطير ووظيفة مهمة في الدعوة إلى الله تعالى ومن ذلك:

١. تمد الأمثال الداعية بسلاح الصبر والتحمل أمام المعاندين الكافرين

---

١. سورة الذاريات آية ٢٢ و ٢٣
٢. ظلال القران تفسير سورة الذاريات للشهيد سيد قطب
٣. سورة آل عمران آية ٥٩
٤. سورة يونس آية ٢٤

كما يقول تعالى : " أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَاءُ وَٱلضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ " (١)

٢ . ويبين القرآن الكريم بضرب المثل ضعف الآلهه التي يؤمن بها الكفار فيقول تعالى : " يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ " (٢) وقال سبحانه " مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " (٣) وقال جل من قائل : " مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَالُ ٱلْبَعِيدُ . " (٤) وقال تعالى من الكفار والمؤمنين " مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ " (٥)

وكل هذه الأمثال تجسد المعاني ، وتبرزها إلى الواقع المشاهد كأنها ترى وتسمع فتتقرر بذلك المعاني في النفس وتتمكن غاية التمكن .

---

١ . سورة البقرة آية ٢١٤

٢ . سور الحج آية ٧٣

٣ . سورة العنكبوت آية ٤١

٤ . سورة إبراهيم آية ١٨

٥ . سورة هود آية ٢٤

د - الجدل :

اتخذ القرآن الكريم من الجدل الهادف إلى إقناع المكابرين بالحجة الدامغة وسيلة من الوسائل التي يقنع بها الناس للايمان به ، يقول الدكتور أحمد غلوش في كتابه " الدعوة الاسلامية " : " ظهر في التعبير اللساني كلمات المناظرة والمجادلة والمكابرة وثلاثتها نقاش بين طرفين متخاصمين إلا أنها تختلف في الاصطلاح لأن المناظرة هي توجه المتخاصمين في النسبة بين الشيئين اظهارا للصواب ، والمجادلة هي المنازعة ، لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم والمكابرة هي المنازعة ، لا لإلزام الخصم ولكن لمجرد الرد .

فالمناظرة هي الاولى بالاعتبار إلا أنا لا حظنا أن القرآن يأمر بالجدل في قوله تعالى : " وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ " (١) ويقول : " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن " (٢) .

ومحال أن يأمر الله بغير طريق الصواب ، أو يجعل رسله يسلكون غيره ، ومن هنا نرى صاحب المصباح يذكر صوابا ، ويخرج كلمة جادل عن أصلها الاول إلى توسع في استعمالها فيقول : " جادل مجادلة وجدالا إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب . هذا أصله ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها وهو محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم " (٣)

على أننا نلاحظ ملاحظة أساسية هنا وهي أن القرآن الكريم يقيد

---

١. سورة النحل آيه ١٢٥

٢. سورة العنكبوت آية ٤٦

٣. الدعوة الإسلامية ص ٣٨٠ - ٣٨١

الجدل ـ الذى أمرنا به أو أباحه لنا ـ بقيد " التي هي أحسن " . وأحسن فعل تفضيل ، ومعناه أن القرآن العظيم لم يرض لنا الجدل الحسن ، وإنمـــا طالبنا بما هو " أحسن " في بابه ، وهذا غاية السمو في أدب الحوار ، والخصام فكيف يتصور أن يكون الجدل الذى أذن به القرآن محتملا لأدنى وجوه البطلان إنه لا يكون بالحق فقط ، وإنما يكون بالحق في أجلى صوره ، وأعف أساليبـــه وأنظف وسائله وهذا هو " الأحسن " الذى عناه .

وقد أمر الله الرسول والمؤمنين باتباع اسلوب الجدل الذى يقود إلى افحام الخصم وتسليمه بصحة الدعوة والقرآن الكريم مليء بمثل هذا الأسلـــوب قال تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِى يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . " (١) .

وعند ما جادل الكفار الرسول في القرآن الكريم " وَقَالُوا أَسَاطِيـــرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً " (٢) علم الله رسوله كيف يرد عليهم فقال تعالى : " قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا "(٣) والمعنى أن القرآن يحتوى على أخبار وأسرار وألوان من الإعجاز محال أن تتلقى عن بشر ما فمن أين تلقيه إلا ممن يعلم السر في السموات والأرض جل شأنه .

ويؤكد الله سبحانه لرسوله مغالطة الكفار وعنادهم فيقول سبحانه

---

١ . سورة البقرة آية ٢٥٨
٢ . سورة الفرقان آية ٥
٣ . سورة الفرقان آية ٦

عند ما اتهموه بتلقي القرآن من عبد رومي لم يكن يجيد العربية كان يعيش فـــي مكه ، فقال تعالى : " وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ "(١)

---

١ . سورة النحل آية ١٠٣

ثانياً : السنة النبوية

سنة الرسول صلى الله عليه وسلم - وهي أقواله وأفعاله وتقريراته - تعتبر المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في جميع التشريعات ، وهي الطريق الذى يجب على الداعي أن يسلكه في دعوته إلى الله ، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالأخذ عن الرسول واتباعه فقال : "مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا " (١) وقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم وسائل كثيرة لدعوة الناس إلى الإسلام منها : الإتصال الشخصي والخطابه والكتب والرسائل

١ - الاتصال الشخصي :

فقد سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك إذ بدأ الدعوة بهذا الإتصال فآمن له الفرد بعد الفرد ، وكان أول من أسلم عن هذا الطريق من الأحرار أبو بكر ، ومن الموالي زيد بن حارثه ، ومن العبيد بلال - كما هو معروف مقرر في السيرة - رضى الله عنهم أجمعين .

ثم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم زعماء قريش ، ويقرأ عليهم القرآن ، ويعرض عليهم الدعوة ، رجاء أن يسلموا ، وقد أجابه بعضهم وكفر آخرون ثم كان يذهب إلى زعماء القبائل وأعيانها الذين يفدون الى موسم الحج حاجين أو معتمرين أو موفدين لمصلحة ما وقد ذهب بنفسه إلى الطائف ، إلى أن آمن بها بعض أهل المدينه وعاهدوه على نشر الإسلام هناك (٢) .

وللاتصال الشخصي ميزة كبيرة فهي تعطي للداعية فرصة مناقشة

---

١. سورة الحشر آية ٧

٢. انظر تهذيب سيرة بن هشام ص ٩٩-١٠١

المدعو والرد عليه بعيدا عن المؤثرات الخارجية ، وتجعله يفكر بحرية ورويــه مما يسهل عليه معرفة الحق واتباعه .

ب - الخطابــة :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم بليغا في حديثه مؤثرًا في أُسلوبه فقد أَعطاه الله الكلمات الجامعة ميزة له فقال صلى الله علين وسلم : " بعثت بجوامع الكلم "(١) وقد كان عليه الصلاة والسلام على علم تام بلهجات العرب ولغاتها .

وكانت الخطابة من الوسائل المؤثرة في دعوة الناس إلى الإسلام فهي اتصال جماعي وكانت خطب الرسول عليه الصلاة والسلام قصيرة واضحة ينطقهـــا كلمة كلمة حتى أَن أَكثر السامعين كانوا يحفظونها عن ظهر قلب أَثناء القائها(٢)

وقد اهتم الإسلام بالخطبة فجعلها يوم الجمعة من كل أُسبوع ، وفي أَيام الأَعياد ، وفي موسم الحج ، وهذا أُسلوب فريد لم يسبق إليه ، ثم فرض علـــى مستمعي الخطبة الصمت والسكون أَثناء سماعها ، وهذه فرصة للخطيب المسلـــم لا تتاح لأَمثاله من الخطباء فيشرح أَحكام الدين ويعرض حجته وبراهينه علـــــى السامعين مما يسهل استجابتهم للدعوة وتجاوبهم معها .

ج - الكتب والرسائل :

ومن السنة التي اتبعها الرسول عليه الصلاة والسلام إرسال الكتب والرسائل التي تشرح الدعوة وتوضحها لمن أُرسلت اليهم هذه الكتب ، وكان عليه الصـــلاة

---

١. ابن حجر "فتح الباري بشرح البخاري" ج ١٧ ص ٥

٢. انظر زاد المعاد ج ١ ص١٨٦ ــ ١٨٧

والسلام يحسن اختيار من يُحمِّله هذه الكتب ، فلا يرسلها إلا مع من يحسن العرض والجواب إذا سئل ، فقد أرسل إلى هرقل ملك الروم كتابا مع الصحابي دحية الكلبي ، وأرسل إلى النجاشي ملك الحبشة رسالة مع الصحابي " عمر بن أمية الضمرى " وأرسل إلى المقوقس ملك مصر رسالة مع الصحابي " حاطب بن أبي بلتعة " (١)

وقد أفادت هذه الكتب كثيرًا في تبليغ الدعوة . والكتب والرسائل من أساليب الدعوة الناجحة التي تفيد الدعوة الإسلامية كثيرًا لو حملها دعاة يعرفون كيف يعرضون الدعوة على الناس ، ويوضحون لهم حقائقها ، ويكونون هم أنفسهم أول صورة حية لجلالها .

---

١ . تهذيب سيرة بن هشام ص ٣٢٨ لعبد السلام هارون

ثالثا : الداعية :

الداعيه هو حلقة الوصل التي توصل الإسلام إلى قلوب النـــاس وعقولهم ، فهو الذى يقوم مقام الرسول الكريم بالدعوة التي جاء بها إلـــى الناس كافة ، وذلك كان لا بد أن تتوفر فيه صفات معينة تعينه على حمل هـــذه الرسالة ومن هذه الصفات :

١ـ إحسان الصلة بالله تعالى :

مهمة الداعية تعريف الناس بربهم، وقيادتهم إلى الهدى الذى يحقق لهم سعادة الدنيا والآخرة ، لذلك لا بد له أن يكون مثلا للناس في حســـن صلته بالله ، مــؤديا لجميع فروضه ـ لأن العبادة هي الحبل الوثيق الذى يربط الناس بالله ـ ومطبقا لسنن نبيه الكريم بصدق وإخلاص ، مكثرا من النوافل وأن يكون مؤمنا بقضاء الله ، راضيا به ، متوكلا على الله خير التوكل ، متخـــذا من القرآن الكريم دستورا له وهاديا ، حتى يكون قوله مطابقا لعمله لئـــلا يكون كما قال القرآن الكريم " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ "(١) وحتى لا يمقتهم الله كما قال تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ "(٢)

---

١. سورة البقرة آية ٤٤

٢. سورة الصف آية ٢ و ٣

٢ـ اتقان الصلة بالنـاس :

فالناس هم مجال الدعوة والمحيط الذى يتحرك فيه الداعية ، ولذلك فلا بد أن يشعرهم بحبه لهم ، وحرصه عليهم ، وألا يفرق بينهم لفقر أو غنى ، للون أو مظهر ، لجاه أو مركز ، فكل الناس لآدم وآدم من تراب ، وقال تعالى : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "(١) .

ومن الوسائل التي تحسن صلة الداعية بالناس حرصه على الصفـات التالية : ـ

أ ـ الصدق والأمانة :

فالصدق والأمانة من الأخلاق العاليه والصفات الراقية ، ومنبع عظيم للثقة لهذا كله فهما من ألزم الصفات للداعية ، فإذا عرف عنه بيـن الناس أنه ملتزم بالصدق ، متميز بالأمانة سهل عليه نشر دعوتـه بينهم ، وكسب ثقتهم ، وقد كانت هذه الصفات هي التي تحلى بها الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لقب قبل بعثته بالصادق الأميـن والله تعالى يقول : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَـعَ الصَّادِقِين" (٢) والرسول الكريم يقول : "عَلَيكُم بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدقَ يَهدى إِلى البِر والبِرُ يهْدِى إلى الجنة "(٣)

---

١ . سورة الحجرات آية ١٣

٢ . سورة التوبة آية ١١٩

٣ . صحيح البخارى ج ٦ كتاب التفسير باب تبت يدا أبي لهب

ب - أن يكون معتدا بنفسه في تواضع جم :

وعلى الداعية أن يكون معتدا بنفسه بعيدا عن المواطن التي تقلل من هيبته ، مع الحرص على عدم الظهور بالتعالي على الناس ، بل يجب عليه أن يكون متواضعا متذكرا قول الله تعالى : " تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ "(١) .

جـ - أن يكون حليما عفوا :

وهذه صفات هامة تجمع قلوب الناس حول الداعية ، وتقضي على الخلافات والعداوة بينه وبين الناس ، فالحلم سيد الأخلاق ، قال تعالى : " وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ "(٢) فالآية الأولى بينت حال الداعية في نفسه ، والثانية حثته على الحلم والعفو فيما بينه وبين الناس . وقال تعالى مخاطبا نبيه الكريم وهو سيد الدعاة : " خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ "(٣)

د - أن يكون شجاعا عزيزا :

فمن حسن ايمان الإنسان ألَّا يخشى في الله لومة لائم ، وأن يكون لديه من الشجاعة ما يكفي لإظهار الحق والدعوة اليه ، ومحاربة الباطل والتحذير منه ، ولا يخاف إلا من الله " فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ

---

١ . سورة القصص آية ٨٣

٢ . سورة فصلت الآيتان ٣٣ و ٣٤

٣ . سورة الاعراف آية ١٩٩

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "(١) لا يخاف نقص رزقه فالرزق على الله ، قال تعالى : " وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي ٱلأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا "(٢) ولا يخاف نقص عمره فالأعمار بيد الله " مَا تَسْبِقُ مِن أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ "(٣)

هـ- أَن يكون كريما سخيا زاهداً بما في أيدى الناس :

من أحب الصفات إلى الله وإلى عباده أن يكون الداعية سخيا كريما ، بعيداً عن البخل والشح ، متخذا من الرسول الكريم قدوة حسنـة فقد كان عليه الصلاة والسلام أجود الناس كافة ، وكما يقولون "أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم " يروى أن رجلا أتى الرسول صلى الله عليه وسلم وسأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه مسلما وهو يقول لهم : اسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقه "(٤)

و - أن يكون واسع الأفق غزير العلم :

يتمتع الداعية بعز المعرفة ، لأنه يقود الناس إليها فلا بد له والحالة هذه أن يكون غزير العلم ، بعيد الغور ، واسع الاطلاع يحسن فهم القضايا التي يتناولها ويحيط بأطرافها إحاطة تامه ، فهو المتمكن الراسخ في العلم وأول ما يوجب عليه الإسلام أن يكون عالما به محيطا بجميع أموره ، مطلعا على كتابه حافظا له عارفا لتفسيره ، ومحيطا بسنن نبيه الكريم وسيرته العطرة عليه الصلاة والسلام ، وأن يكون مطلعا على

---

١ . سورة آل عمران آية ١٧٥

٢ . سورة هود من آية ٦

٣ . سورة الحجر آية ٥

٤ . الشفاء ج ١ ص ٢٣٨

علم التاريخ ليعرف ما حصل للأُمم السابقة التي عصت الرسل الكرام ، وليُحَذِّر الناس من ذلك المصير ، كما ينبغي أَن يعرف المناطق الجغرافية ، والبيئات التي يعيش فيها الناس ، وأن يكون مطلعا على علم النفس والاجتماع - اذا أَمكن - ليعرف كيف يؤثر في الناس ، وليسهل عليه قيادتهم وتغيير سلوكهم وأَخيراً ينبغي أَن يعرف لغات الناس الذين سيدعوهم إلى الإسلام ، لأن اللغة هي وسيلة التخاطب مع الأُمم الأُخرى .

هذه هي الصفات التي ينبغي أَن يتمتع بها الداعية ، صلته بالله وصلته بالناس ، وصلته بالعلوم التي توسع ادراكه ، وتزيد احترام الناس واقتداءهم به والايمان بدعوته .

الفصل الرابع

الدعوة الاسلامية والجهاد

لما كان الاسلام حريصا على عرض الدعوة الإسلامية على الناس وهم مالكون لحريتهم ، وغير معرضين لخوف أو ضغط أو إرهاب ، سواء كان ذلك الإرهاب ماديا أو فكريا ، لذلك فقد شرع الله الجهاد لحماية الذين اختاروا الإسلام دينا من سطوة الإرهاب ، وخطر ارغامهم على اعتناق مالا تختاره عقولهم ولتحرير الشعوب من سطوة الطواغيت الذين يحولون بين هذه الشعوب وحريتها والذين يحاولون بشتى الوسائل تحطيم سلطان العقل الذى يقود صاحبه لمعرفة الخير اذا أعطي الحرية .

فالجهاد في الاسلام يتفق مع فطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها وهو " مبدأ الدفاع عن النفس " والدفاع عن المستضعفين الذين كان الطواغيت يعتدون عليهم ، ويظلمونهم لا لشيء إلا لحرمانهم من مباشرة أول أنواع الحرية ، وهي حرية اختيار العقيدة التي يؤمن بها عقله ، وترتاح لها نفسه ، وهذا الدفاع حق ثابت لكل انسان يقول سبحانه وتعالى : " فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ " (١)

وكان من أوائل الآيات الكريمات التي قررت مبدأ الجهاد في القرآن

---

١ . سورة البقرة آية ١٩٤

المكي قوله تعالى : " وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ . وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ . وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (١)

إذن فالجهاد الإسلامي إنما جاء لدفع الظلم ، وهو مبدأ حق وعدل لا يختلف عليه اثنان ، لأن الظالم لو ترك لأفسد في الأرض ، وتمكن من رقاب الناس وقد قال العلماء في التفسير" (٢) إنما يكون العفو عند المقدرة وإذا كان هذا العفو لا يترتب عليه زيادة في الفساد ، أما إذا كان العفو يشجع المفسدين على فسادهم فإنه غير مباح ولا بد من العقاب .

وقد تدرج الإسلام في شرع الجهاد على مراحل ثلاث هي : -

اولا : تقرير المبدأ (في العهد المكي) :

كان المسلمون في هذا العهد يتلقون أذى الناس ، وعدوانهم ولا يردون عليهم ، لضعف المسلمين ولعدم قدرتهم على المدافعة ، ولذلك وجدنا آيات كثيرة تحض المسلمين على الصبر ، وتحمل أذى الجاهلين يقول تعالى : " وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا " (٣) ويقول : " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ " (٤)

يقول ابن هشام : " وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة

---

١. سورة الشورى الايات ٣٩ - ٤٢
٢. انظر تفسير البيضاوى لهذه الآية
٣. سورة المزمل اية ١٠
٤. سورة الاعراف اية ١٩٩

فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة فأما أمه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام ."(١)

وقد أمر الرسول المسلمين بالهجرة إلى الحبشة فقال لهم عليه الصلاة والسلام " لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه "(٢) .

يقول الزمخشري عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كان يؤذيهم المشركون أذى شديداً فيأتون الرسول مابين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم : اصبروا فإني لم أومر بقتال حتى هاجر "(٣) . وهنا نزلت الآيات التي تحدثنا عنها سابقا (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ " فقررت للمسلمين مبدأ الدفاع عن النفس ، والانتصار من الظالم ولكنها طالبتهم بالصفح والصبر على تنفيذ هذا المبدأ لأنهم ضعاف يومئذ .

ثانيا : في أول الهجرة :

وفي هذه المرحلة أذن للمسلمين بالرد على أهل مكة لأنهم ظلموهم وعذبوهم واستولوا على أموالهم . فقال تعالى : " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ • الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ "(٤)

وهكذا أذن الله للمسلمين بالقتال فبدأت مرحلة جديدة نرى فيها

---

١. تهذيب سيرة ابن هشام ص ٧١

٢. نفس المصدر ص ٧٢

٣. تفسير الكشاف ج ٢ ص ١٩٠

٤. سورة الحج اية ٣٩ و ٤٠

المهاجرينَ الذين أُهينوا في المرحلة الأولى واستولى كفار قريش على أموالهم يقومون ببعض السرايا التأديبية ضد من ظلموهم وهي التي تمت قبل معركة "بدر" . ومن الملاحظ أن جميع رجال هذه السرايا كانوا من المهاجرين مما يؤكد أنها كانت عمليات بقصد الرد على مظالم قريش ولاسترداد حقوق المسلمين التي اغتصبها أولئك الظالمون .

ثالثا : مرحلة قتال المشركين عامة :

في هذه المرحلة تحريض من الله للمسلمين على قتال المشركين جميعا فيقول سبحانه وتعالى : "وَقَاتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ." (١)

وحتى في هذه المرحلة فإن الجهاد إنما هو رد على عدوان المشركين ولا يعني مطلقا أن هناك تعارضا بين هذه المرحلة وبين الدفاع عن النفس فإنما هو قتال المشركين كافة كما يقاتلون المسلمين كافة .

وشرع الجهاد أيضا لرفع ظلم الطواغيت المستبدين عن المستضعفين من الناس ، وإعطاء هؤلاء المستضعفين حريتهم ، وفتح المجال أمام تفكيرهم بحرية مطلقة ليميزوا الخبيث من الطيب ، ويتبعوا ما تهديهم إليه عقولهم بلا خوف من حاكم جبار أو زعيم باطش ، " وهكذا كان الإسلام منذ بدء ظهوره دين دعوة من الناحية النظرية أو الناحية التطبيقية وقد كانت حياة محمد تمثل هذه التعاليم ذاتها وكان النبي نفسه يقوم على رأس طبقات متعاقبة من الدعاة المسلمين الذين وفقوا إلى إيجاد سبيل إلى قلوب الكفار ، على أنه ينبغي ألا نلتمس الأدلة على روح الدعوة الإسلامية في قسوة المضطهد أو عسف المتعصب

---

١ . سورة التوبه اية ٣٦

ولا حتى في مآثر المحارب المسلم ، ذلك البطل الأسطورى الذى حمل السيف في إحدى يديه وحمل القرآن في اليد الأخرى ، وإنما نلتمسها في تلك الأعمال الوديعة الهادئة التي قام بها الدعاة وأصحاب المهن الذين حملوا عقيدتهم إلى كل صقع من الأرض على أن هؤلاء الدعاة لم يلجأوا إلى اتخاذ مثل هذه الأساليب السليمة في نشر هذا الدين عن طريق الدعوة والإقناع ، بخلاف ما زعم بعضهم حينما جعلت الظروف القوة والعنف أمرا مستحيلا ،يتنافى مع الأساليب السياسية ،فلقد جاء القرآن مشددا في الحض على هذه الطرق السليمة في غير آية منه مثال ذلك : " وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا "(١) " قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ "(٢) (٣) .

من هذا العرض السريع نعلم علم اليقين بأن الإسلام لم يأمر باستعمال القوة لإرغام أعدائه على الإيمان به كما يدعي أعداؤه بل إن الإسلام حريص أشد الحرص على ألا يقهر أي انسان على اتباعه ، وان إسلام القبائل المغولية -كما سنعرض في الباب القادم إن شاء الله - وهم في أوج قوتهم والمسلمون في منتهى ضعفهم لدليل أكيد وآية واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار على أن الإسلام هو الدين الذى يتمشى مع فطرة الإنسان التي فطره الله عليها .

---

١ . سورة المزمل الايات ١٠ و ١١

٢ . سورة الجاثية آية ١٤

٣ . الدعوة الى الاسلام ارنولد ص ٢٨ ، ٢٩

البابُ الثالث

كما تحركت قوة أخرى بقيادة " بايدر بن جغتاى " إلى " بولنــدا " فقام هذا الجيش بنهب " ساند ومير " و " كراكوف " ، ورغم المساعدة التي قدمها الفرسان التيتون النازلون على ساحل البلطيق فإن هزيمة ساحقة حلت بهم بعد معركة عنيفة دارت رحاها في " فاهلشتان " قرب " ليجنتز " وفي أثنــاء ذلك توجه " باطو " و " سيبوتاى " نحو الجنوب إلى بلاد المجر ، وقد دخلا في معركة مع " بيلا " ملك المجر ، فهزم هذا الأخير هزيمة ساحقة في سنة ٧٤٢هـ(١٢٤١م) نفذ بعدها المغول إلى " كرواتيا " وواصلوا زحفهم حتى وصلوا سواحل بحر " الأدرياتيك " وقد ذبح المغول عشرات الألوف من السكان بعد هذه المعارك الطاحنة . (١)

كما وجه " أوكتاى " جيشا ثالثا مؤلفا من خمسة عشر ألف جندى للحرب في أوروبا ، وقد كان القائد الفعلي لهذا الجيش هو " سبيوتاى " وقد استطاع أن يدمر مملكة البلغار التركية الواقعة على نهر " قاما " وفي سنة ٧٣٨هـ (١٢٣٧م) هاجم المغول الوثنيين الأتراك الذين عرفهم المسلمون باسم " القبجاق " وأعلن جانب من هؤلاء " القبجاق " الخضوع والإذعان للمغول وهذا هو العنصر التركي الذى أضحى أساس سكان خانية المغول المعروفة باسم " خانية القبجاق " والتي صارت معروفة باسم القبيلة الذهبية والتي خضعت لسلطان بيت جوجي (٢)

وقاد " بركه خان " حملة أخرى سنة ٧٣٩هـ (١٢٣٨م) اكملت خضوع القبجاق فالتجأ ملكهم " كوتال " مع أربعة آلاف خيمة إلى المجر حيث اعتنق النصرانية في سنة ٧٤٠هـ (١٢٣٩م) . (٣)

---

١ . المغول ص ١٨٢ - ١٨٤ د . الباز العريني .

٢ ، ٣ انظر كتاب البعثة الدينيه للمغول
كرستوفر داوسن ص ١٣ و ١٤ .

وقد اكمل المغول اخضاع البرارى بجنوب روسيا سنة ٧٤١هـ (١٢٤٠م) بعد أن استولو على مدينة مقاص أو (منقاص) التي كانت عاصمة "اللان"[١] وقتذاك كما سير المغول حملة أخرى لمهاجمة الإمارات الروسية، وقد ساعد على نجاح الحملة تفرق الأمراء الروس، فقد تعرضت كثير من المدن الروسية للسلب والنهب والتدمير وعلى رأسها "موسكو" نفسها، وكذلك مدينة "سوزدال" التي اشتعلت فيها النيران، ومدينه "فلاديمير" التي سقطت بالقوة في سنة ٧٣٩هـ (١٢٣٨م). وشهدت عند سقوطها أفجع المناظر، ودارت مذبحة في كل السكان الذين لجأوا إلى الكنسية وسط لهب النار، كما دارت المعركة الفاصلة على نهر "سيتا" أو "سيتي" من روافد "فولقا" وحلت هزيمة بالأمير "يورى الثاني" الذى لقي مصرعه بها - ولم ينقذ "نوفجورد" إلا ما حدث من ذوبان الجليد، فتحولت الأرض إلى مستنقعات يتعذر اجتيازها.

ونتيجة لهذه المعارك أصبحت جميع مدن أوروبا تعيش في ذعر شديد وعدم اطمئنان، وكادت تركع جميعها للمغول، ولم ينقذها إلا موت الخان الكبير "أوكتاى" الذى اضطر "باطو" الى العودة إلى "قره قورم"[٢] للمشاركة في انتخاب الخان الكبير، وبذلك نجا شطر أوربا الغربي من الخطر المغولي.

---

١. احدى الامارات الروسية - انظر المغول للدكتور البازص ١٨١

٢. النص الانجليزى

Fortunately for Europe the death of the great Khan Ugedey in December 1241, and the dissensions between the Mongol leaders in the West, Batu and Guyuk and Buri, caused the withdrawal of the Mongol armies, at least as far as Russia, in 1242.

انظر كتاب كرستوفر داوسن: البعثة الدينية للمغول ص ١٣ و ١٤

وترتب على ذلك أيضا أن امتد سلطان بيت " جوجي " في غرب نهـــر " الفولقا " وأصبحت تلك الأملاك الشاسعة ـ وفقا لوصية جنكيز خان ـ مـــن أملاك " باطو " قانونا .

لقد جاءت هجمات المغول على الممالك الأوربية في وقت لم تكن فيـــه اوربا على استعداد للقائهم . فلم تحفل دول غرب أوربا بحرب المغول فـــي شرقها عندما اجتازوا جبال " القوقاز " وانسابوا في بعض المناطق الروسيـــة أيام جنكيزخان سـنة ٦١٩هـ (١٢٢٢م) ولكن حادثين وقعا بعد ذلك جعلا الملوك النصارى يدركون ما ينتظرهم من أخطار .

فالحدث الأول : ما قامت به البعثة التي أوفدتها الطائفة الاسماعيلية الى ملكي انجلترا وفرنسا سـنة ٦٣٦هـ (١٢٣٨م) يطلبون مساندتهما ضد المغول، إلا أنهم لم يجدوا منهما أذنا صاغية ، بدليل أن أسقف مدينة ونشستر بانجلتـــرا نصح بعدم التدخل فيما ينشب من قتال بين المسلمين والمغول لأن ذلـــك سيكون في صالح النصرانية وكان مما قاله : " دع هؤلاء الكلاب يحطم بعضهم بعضا وعند ذلك سنرى الكنيسة الكاثوليكية العالمية تقوم على حطامهم وســـوف لا يوجد إلا قطيع واحد وراع واحد " (١) .

وأما الحدث الثاني : فهو اندفاع القوات المغولية بقيادة " باطو " ورفاقه ـ كما ذكرنا من قبل ـ الى قلب القارة الأوربيه وتهديد جميع ممالكها ومدنها بالدمار والهلاك .

---

١ . انظر النص الانجليزي

"Let these dogs destroy one another and be utterly exterminated and then we shall see the universal Catholic Church founded on their ruins and there will be one fold and one shepherd

ماخوذ من كتاب البعثة الدينيه للمغول لكرستوفر داوسن ص ١٤

وقد أدرك الإمبراطور فريدريك الثاني (امبراطور المانيا) فعلا خطورة الموقف فكتب رسالة مهمة إلى ملك بريطانيا يطلب منه فيها القيام بعمل مشترك للوقوف في وجه الخطر المغولي الداهم .

كما أدركت الكنيسة ما تتعرض له أوربا من الخطر فأعلنت اللجوء إلى الصوم والتماس الرحمة .

ولكن نظرا لانشغال الناس بما كان بين البابا والإمبراطور فردريك الثاني ، فإن الداعين إلى الوقوف صفا واحدا في وجه المغول لم يجدوا أى نتيجة أو مساندة أو اتحاد . بل إن جهل الناس وغفلتهم واستخفافهم جعلهم يعتقدون بأنه إذا لم تتحرك أوربا نشب القتال بين المسلمين والمغول وتحطم الجانبان ولم يكن يهمهم في ذلك الوقت إلا ما يتعلق بالحروب الصليبية .

المبحث الاول :.

النصارى يحاولون تنصير المغول ويسلطوهم على المسلمين

ادرك البابا " انوسنت " الرابع حقيقة الخطر المغولي وفكر في خطتين اساسيتين لانقاذ العالم النصراني .

فالخطة الاولى تتلخص في المبادرة الى قتال المغول ، والدعوة الى حشد الجيوش لحربهم ، ولتحقيق ذلك امر بحشد كل القوات وتوجيهها لقتالهم ، وجعل للحملة من المكانة والهيبة ما كان للحملات الصليبية ، بان منح المحاربين من الامتيازات الدينية والروحية ما يماثل ما كان يمنح للصليبيين ، غير ان هذه الجهود لم تسفر عن شيء له اهمية .

والخطة الثانية كانت تصور البابا انه لو تحول المغول الى النصرانية فسوف يكفون عن مهاجمة اوربا ، لان الدين يمنعهم من ذلك ، وعلى هذا فقد اعتقد بان هناك فرصة لان ينجح الراهب فيما فشل فيه الفارس .

وبناء على هذه السياسة ارسل البابا سفارته الاولى الى بلاط الخان الكبير في "منغوليا " سنة ٦٤٣هـ (١٢٤٥م) برئاسة الراهب الفرنسيسكاني " يوحنا بيان دل كاربيني "(١) . فانطلقت هذه السفارة من " ليون " في ابريل وقد امضت في طريقها خمسة عشر شهرا حتى وصلت الى المعسكر الامبراطوري في "سيرااورد و" بالقرب من " قره قورم " سنة ٦٤٤هـ (١٢٤٦م) وكان مجلس "قوريلتاى"

---

١ . انظر كتاب كرستوفر داوسن : البعثة البابوية للمغول ص ١٥

-١

II. The Mission of John of Plano Carpini (1245–7)

This was recognized by the new Pope, Innocent IV, and the first of the missions described in this volume was despatched by him in 1245 to avert the threatened danger.

For this purpose he chose two Franciscans, Lawrence of Portugal and John of Plano Carpini. "Men proved by years of

منعقدا لانتخاب "كيوك" خانا كبيرا ، ولما كان عدد مستشاريه من النساطرة النصرانيين كثيرا فقد أحسن "كيوك" هذا استقبال رسول البابا ، ولكنه عند ما قرأ رسالة البابا والتي يطلب منه فيها أن يعتنق النصرانية رد عليه في رسالة يطلب من البابا فيها ان يعترف بسيادته العليا ، وان يأتيه هو وجميع أمراء الغرب ليقدموا له يمين الولاء والطاعة ، ولما عاد "يوحنا بيان دل كاربيني" الى المجلس البابوى في سنة ٦٤٥هـ (١٢٤٧م) قدم الى البابا "انوسنت الرابع" مع هذه الرسالة المخيبة للآمال تقريرا مفصلا أشار فيه الى ان المغول لم يخرجوا الا للغزو والفتح . (١)

ورغم ذلك فان البابا انوسنت الرابع لم يسمح لأوهامه وآماله ان تضيع نهائيا ، فارسل سفارته الثانية برئاسة الراهب الدمنيكاني "اسكلين اللومباردى"

تحركت هذه السفارة الى الشرق ، ومرت بسوريا وفي سنة ٦٤٥هـ (١٢٤٧م) وصلت "تبريز" حيث التقت بالقائد المغولي "بيجو" وكان هذا القائد ذا طبيعة عدوانية يميل الى الحرب والهجوم ، ورغم هذه الصفات فانه أعرب عن استعداده لمناقشة قيام تحالف مع الدول الاوربية لمحاربة الايوبيين ، لانه كان يخطط لغزو بغداد ، ووجد من مصلحته اشغال الايوبيين في بلاد الشام في حرب صليبية تمنعهم من تقديم اى عون للخلافة العباسية في بغداد ضده .

وعلى ذلك فقد ارسل "بيجو" رسولين هما "سيركيس" النسطورى و"ايبك" ليصحبا " "اسكلين" في عودته الى روما ، ورغم ان هذين الرسولين

---

١ - انظر كتاب رونسيمان : الحروب الصليبية ج ٣ ص ٤٤٦ ترجمة الدكتور الباز

لم يكن لهما شيء من السلطات التي تكون عادة للسفراء الا انهما كانا سببا في انتعاش الآمال في الغرب . وبقي هذان الرسولان عند البابا حتى سنة ٦٤٦هـ (١٢٤٨م) عندما اخطرا بوجوب العودة إلى " بيجو " إذ لم يطرأ شيء جديد على التحالف الذي كان مأمولا .

وفي سنة ٦٤٦هـ (١٢٤٨م وصل الى قبرص مبعوثان نسطوريان هما (مرقص" و " داود " من قبل القائد المغولي " الجيهيداي " ـ المندوب السامي للخان الكبير في الموصل ، ورغم العبارات الجافة الغليظة التي احتوتها الرسالة التي حملاها ، فان لويس التاسع قد أعرب عن سروره ، واغتباطه ، وبادر بإرسال بعثة سنة ٦٤٦هـ (١٢٤٩م) مؤلفة من رهبان دومنيكان برئاسة " اندرو لونججيمو " واخيه ، وكان هذان الأخوان يجيدان التحدث باللغة العربية ، وحمل الأخوان كنيسة متنقلة هدية مناسبة للخان البدوى ، وبعض الهدايا الأخرى ولما وصلا " الجيهيداى " أرسلهما هذا إلى منغوليا ، وعندما وصلا العاصمة "قره قورم " وجدا أن الخان " كيوك" قد مات ، وأن أرملته " أغول قاميش " قد أصبحت وصية للعرش فاستقبلتهم استقبالا طيبا ، واعتبرت الهدايا إتاوة يدفعها التابع لسيده . وبعد ثلاث سنوات عاد " اندرو " يحمل كتابا من الوصية على العرش إلى الملك لويس التاسع تشكرفيه اهتمامه بها كتابع لها ، وطلبت منه أن يبعث لها بهداياه كل سنة ، فكان هذا الرد مصدر قلق وخوف للملك لويس إلا أن الأمل ظل يراوده في أن يتحقق التحالف مع المغول ضد المسلمين . (١)

لقد سيطرت على الملك لويس التاسع وعلى فئة كبيرة من الأوربيين أفكار

---

١ . انظر كتاب رونسيمان : الحروب الصليبية ج ٣ ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨ ترجمة . الدكتور الباز

شريره جعلتهم دائمي التفكير فيكيفية محاربة المسلمين ، والقضاء عليهم

ولذلك وجدنا الملك لويس يتجرع الإهانات الكثيرة من المغول ، والمعاملات

السيئة ، والردود الجافة السخيفة التي كانوا ينظرون إليه فيها وكأنه تابع ذليل

أمام سيد كبير غير مؤمن بدين ، كل ذلك تجرعه في سبيل محاربة المسلمين

مع علمه اليقين أن المغول أعداء للحضارة الإنسانية والتقدم البشرى وأنهم

قاموا بمذابح ضد المسلمين في الشرق ، وضد النصارى في أوربا تفرض على كل

إنسان محاربتهم أو على الأقل عدم التعاون معهم .

وعندما وصل الى عكا سنة ٦٥١هـ (١٢٥٣م) تقرير بان الأمير المغولي "سارتاق

بن باطو" قد تحول إلى النصرانية قام لويس التاسع بإرسال راهبين دومنيكانيين

هما وليم روبروك ، وبارثولوميو الكريموني لكي يحثا الأمير المغولي على النهوض

لمساعدة اخوانه النصارى في سوريا ضد المسلمين - رغم أن ذلك الأمير كان أقل

وأضعف من أن يوقع حلفا كهذا - فقصد المبعوثان الخان الكبير في "قرهقورم"

بمنغوليا ، ومثلوا بين يديه في أوائل يناير سنة ١٢٥٤م ووجدا أن حكومة الخان

تستعد فعلا لمهاجمة المسلمين ، إلا أنهما أدركا أن الخان لا يقبل أن يكون في

العالم سيد غيره ، فهو يعتبر أصدقاءه أتباعا له وأما أعداوءه فينبغي محاربتهم

والقضاء عليهم . ولم يستطع "روبروك" أن يستخلص من الخان إلا وعدا بأن

يتلقى مساعدة كبيرة إذا ما قدم أمراوءهم الولاء لسيد العالم ، الأمر الذى لا

يستطيع ملك فرنسا لويس التاسع التفاوض عليه . وفي سنة ٦٥٢هـ (١٢٥٤م) غادر

"روبروك" قراقورم بعد أن أيقن أن "ملوك الشرق لا يفقهون تقاليد الدبلوماسية

الغربية أو مبادئها "(١)

---

١ - رونسيمان : الحروب الصليبية ج ٣ ص ٥١١

ولقد كان للنصارى الشرقيين طريقة مختلفة عن الطرق التي لجا اليها زعماء وامراء النصارى الاوربيين في دعوة المغول الى التنصر ، ومحاربة المسلمين ،فقد لجاوا الى اعلان الولاء والطاعة للخان المغولي ،وقاموا بتزويج اميرات فاتنات ذوات شخصيات قوية لعدد من خانات المغول وامرائهم ، فقد كانت أم هولاكو " سورجقتاني "نسطوريه ، وكذلك كانت زوجته " طقزخاتون " وكانت الاميرة "ماريا " البيزنطيه زوجة "لأباقا بن هولاكو " كما تزوج " منكو " خان المغول الاعظم عددا من النصرانيات وعلى رأسهن " كوتوكتاى " وكانت هؤلاء الاميرات شديدات التمسك بالنسطوريه (١) حريصات اشد الحرص على مساعدة النصارى حاقدات حقدا اعمى على المسلمين . (٢)

أما من ناحية الولاء فقد ارسل الملك " هيثوم " ملك ارمينيا كتابا الى " بيجو " يفيض بالولاء والاحترام (٣) كما ارسل اخاه الكندسطبل " سمباد " في سفاره الي بلاط الخان الكبير سنه ٦٥٤ هـ (١٢٤٧م) قبيل وفاة "كيوك" فاستقبله هذا استقبالا جيدا ، واظهر له كل مودة خاصة عندما عرف بان "هيثوم" على استعداد لان يعتبر نفسه من اتباع الخان الكبير ، كما وعد الخان بان يبذل للأرمن كل مساعدة تلزم لاسترداد المدن التي انتزعها السلاجقة منهم ، كما واعطى الخان "سمباد" تقليدا يكفل سلامة ممتلكات "هيثوم" ووحدتها . (٤)

وعندما سمع " هيثوم " بوفاة " كيوك " وان خانا اخر تولى العرش ذهب

---

١. النسطورية : فرقة نصرانية سبق شرحها .

٢ ، ٣ ، ٤ رونسيمان : الحروب الصليبية ج ٣ ص ٥٠٨ - ٥١٢ ،

الدكتور الباز: المغول ص ١٨٨

بنفسه الى "قرەقورم" لتقديم فروض الولاء والطاعة ، وقد كان هو مختلفا عن جميع الحضور ، فقد كان الحاضرون اما تابعين استدعاهم الخان رغم ارادتهم ، أو ممثلين لملوك زعموا لانفسهم الاستقلال . (١)

لذلك فقد اقام له " منكو " حفل استقبال رسمي في سنة ٦٥٢هـ (١٢٥٤م)منحه فيه وثيقة تكفل لشخصه وممتلكاته السلامه ، وعدم انتهاك حرمتها وعاملوه على انه كبير مستشارى الخان النصارى في كل ما يتعلق بامور غرب آسيا ووعده " منكو " بان يعفى كل الكنائس والاديرة النصرانية من الضرائب ،(٢) ثم بشره بخبر يدخل السرور على نفسه فقد قال له بان أخاه " هولاكو " الذى استقر في فارس - قد تلقى الاوامر بالاستيلاء على بغداد وتدمير سلطان الخلافة وتعهد انه اذا تعاونت معه كل القوى النصرانية فسوف يعيد الى النصارى بيت المقدس ذاتها (٣) ، وعلى هذا فقد أصبح على هيثوم أن يدخل النصارى في حلف مع المغول .

ثم غادر هيثوم "قرەقورم" مثقلا بالهدايا بعد ان تكللت جهوده بالنجاح وفي طريقه الى بلاده عرج على " هولاكو " بفارس وقدم له فروض الولاء والطاعة ثم وصل ارمينيا سنة ١٢٥٥م سنة ٦٥٣هـ .

ولقد لقيت محاولة هيثوم لاقامة تحالف مسيحي كبير لمساعدة المغول قبولا حسنا من قبل النصارى الشرقيين ،فأعلن " بوهيند " امير انطاكيا تأييده لهيثوم وقد عبر النصارى الذين يعيشون في البلاد الاسلامية عن تأييدهم المطلق للمغول وقد مر بنا كيف دمر المغول جميع المصالح الاسلامية في بغداد ، وكيف ذبحوا

---

١ و ٢ و ٣ رونسيمان : الحروب الصليبية ج ٣ ص ٥٠٨ - ٥١٢

المسلمين ، وانهم لم يتعرضوا لكنائس واديرة ودور النصارى باى اذى ، ومر بنا كذلك كيف فعل النصارى بالمسلمين في دمشق عندما خضعت لحكم المغول فمكنوا للنصارى أن يهينوا المسلمين

وفي سنة ١٢٦٧م (٦٦٥ هـ) اشترك ملك " اراغون " مع البابا "كليمنت الرابع " في ارسال " جيمس الاريك بريجان " سفيرا الى ايلخان المغول "اباقا (" ليعلن له انهما قد عزما على ارسال حملتين صليبيتين ، وليقترح عليه عقد حلف عسكرى ، ونظرا لان " اباقا " كان منصرفا انصرافا تاما لقتال القبيلة الذهبية فانه لم يعطه إلا وعودا غامضة ، وقد كان من مظاهر عجز هذا الخان انه لم يستطع انقاذ انطاكيا من المماليك ، إلا أن " أباقا " كتب إلى الملك لويس سنة ١٢٧٠م (٦٦٨هـ) كتابا يتعهد فيه بأن يبذل مساعدة عسكرية للصليبيين متى ظهرت حملتهم في فلسطين .

وفي سنة ١٢٨٥م (٦٨٤هـ) كتب أرغون بعد اعتلائه للعرش على اثر مصرع الخان المسلم " أحمد تكودار " كتب إلى البابا " هونوريوس الرابع " يقترح عليه القيام بعمل مشترك ضد المسلمين ولكنه لم يتلق اجابة ثم قرر سنة ١٢٨٧م (٦٨٦هـ) ارسال " رابان سوما " في سفارة إلى الغرب ، فاستقبله الامبراطور البيزنطي " اندرونيقوس " استقبالا وديا ووعده ببذل كل مساعدة ممكنة من موارده الضئيلة . وعندما وصل " نابولي " وجد معارك حربية بين اسطولي " اراجون " و " نابولي " أدخلت في روعه أن الغرب غارق في خصوماته ، وقبل وصوله الى روما مات البابا ، ووجد الكرادلة في منتهى الجهل يناقشونه في الخلافات المذهبية .

ذهب بعد ذلك الى فرنسا فقابله ملكها " فليب الرابع " باحترام

بالغ ، ووعده بان يتولى بنفسه حملة صليبية لتخليص " بيت المقدس " ثم عيـــن معه سفيرا هو " جوبرت هيلفيل " ليرافقه الى بلاط الايلخان وليعد تفاصيل التحالف مع المغول .

ثم اجتمع بعد ذلك بملك انجلترا الذى كان اكفأ سياسي يلتقي بـه في اوربا ولكنه لم يكن بوسعه ـ ولا بوسع ملك فرنسا ـ تحديد موعد للقيـــام بالحملة الصليبية المقترحة نظرا لانشغاله في محاولة الاستيلاء على " ويلـــز" وفتح " اسكتلندا " كما انه وجد ان الرأى العام لم يكن له قيمة في نظر الملوك وان الروح الصليبية قد اوشكت على الفناء ، وعندما وصل " رابان سوما " ومعه " جوبرت هيلفيل " استقبله " ارغون " بكل مظاهر التشريف الا ان جوبرت لم يكن يستطيع ان يحدد بدقة ما سيبذله ملك فرنسا . (١)

وفي سنة ١٢٨٩م (٦٨٨هـ) ارسل " ارغون " رسولا جنويا اسمـه " بوسكارد جيزولف " برسائل الى البابا ، وملكي فرنسا وانجلترا ، وقد قال في رساله الى ملك فرنسا بانه عازم على التوجه الى سوريا في يناير سنة ١٢٩١م (٦٩٠هـ) وانه سيصل دمشق في فبراير سنة ١٢٩١م (٦٩٠هـ) . وإذا قدم له الملك المساعدة واستولى المغول على " بيت المقدس " فإنه سيجعلها له ، ويحذرهم بأنه إذا تأخر عن مساعدته فإن الحملة ستتبدد .

ولكن " بوسكارد " عاد باجابات لا تبشر بشيء الا ان " ارغون " ارسله واثنين من المغول النصارى مرة ثانية ولكنه اضاع وقته سدى ايضا في هذه الرحلة فقد قضى المسلمون على آخر معاقل الصليبيين في الشرق ، ومات الايلخان "ارغون" (٢) رغم جميع الجهود المضنية الجبارة التي بذلها النصارى لاغراء

---

١ و ٢ انظر رونسيمان : الحروب الصليبية ج ٣ من ص ٥٦٨ حتى ٦٧٧

المغول بدينهم ، ورغم تزويجهم بالاميرات الفاتنات الا ان اعدادا قليلة جدا اتخذت النصرانية دينا لها ، ذلك لوجود تناقضات واضحة بين تعاليم النصرانية التي يدعون اليها والواقع الفعلي الذى كان عليه النصارى .

فقد دعا المسيح عليه السلام الى المحبة والتسامح وكان قادة النصارى - ابتداء من البابا والملوك النصارى مرورا بالقادة والفرسان وانتهاء بالجنود - يدعون الى كره المسلمين ، ومحاربتهم واستئصال شافتهم من الوجود ، وذلك بانشاء الاحلاف العسكرية ضدهم مع اناس اقل مايقال عنهم انهم اعداء للانسانية والحضارة البشرية اينما كانت وحيثما وجدت .

والمسيح عليه السلام يدعو الى السلام ويقول - فيما نسبه له انجيل النصارى - من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر" وهؤلاء القادة ورجال الدين يدعون الى الحرب والقتال والعدوان تحت اسماء دينية والنصرانية منها براء .

ثم ان الديانة النصرانية تحتوى - بظلم من محرفيها - على طلاسم لا يستطيع فهمها اى انسان ، وخاصة العلاقة بين الاب والابن وروح القدس ذلك لان هذه الخزعبلات من صنع البشر ، حاول الانسان بظلمه ادخالها في الدين ، واخراج ما يتعارض معها ، فاوقعوا اتباعهم وانفسهم في حيرة لا خروج منها . وعندما قدموها لغيرهم ضحك هؤلاء عليهم ، وسخروا من معتقداتهم لانها مخترعات بشرية باطلة ولا تمت لدين الله الصحيح بادنى صلة ، وصدق الله اذ يقول : " وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَاعِيسَىٰ ٱبْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ .

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ " (١)

وقد قارن "كانون تايلور" بين النصرانية والاسلام فقال: " . . كان ائمة اللاهوت في افريقيا والشام قد استبدلوا بديانة المسيح عقائد ميتافيزيقية عويصه : ذلك انهم حاولوا ان يحاربوا ما ساد هذا العصر من فساد بتوضيح فضل العزوبة في السماء ، وسموا بالبكورية الى مرتبة الملائكة ـ فكان اعتزال العالم هو الطريق الى القداسه ، والقذارة صفة لطهارة الرهبنه ـ وكان الناس في الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد ، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب ، ولم يكن للعبيد امل في حاضرهم ولا مستقبلهم ، فازال الاسلام بعون من الله ، هذه المجموعة من الفساد والخرافات ، لقد كان ثورة على المجادلة الجوفاء في العقيدة ، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى ، ولقد بين ان الله رحيم عادل يدعو الناس الى الامتثال لامره والايمان به ، وتفويض الامر اليه ، واعلن ان المرء مسئول ، وان هناك حياة آخرة ويوما للحساب اعد الله فيه للاشرار عقابا اليما ، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير ، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل الديني والترهات والنزعات اللااخلاقية الضالة وسفسطة المتنازعين في الدين واحل الشجاعة محل الرهبنة ، ومنح العبد رجاء ، والانسانية اخاء ، ووهب الناس ادراكا للحقائق الاساسية التي تقوم عليها الطبيعة البشرية " (٢) والفضل ما شهدت به الاعداء .

---

١. سورة المائدة الآيات ١١٦ ، ١١٧

٢. الدعوة الى الاسلام ارنلد ص ٩٠

المبحث الثاني :-
اضطهاد المغول للمسلمين

لقد تعرض المسلمون خلال حروبهم مع المغول الى اهوال شديدة ، وفضائع مزلزلة ، فقد تفنن المغول في ايذائهم تارة بالذبح ، ذبح الناس جميعا ، لا فرق بين طفل وامرأة ورجل ، وقد يذبح الطفل امام والديه ، وقد اعتدوا على اعراض النساء امام الرجال وهم ينظرون . فظائع ما عرفت الانسانية مثلها في تاريخها الطويل قام بها اناس لا تعرف قلوبهم رأفة ولا رحمة ، ولا تلين لبكاء او استعطاف . فكم من سيد اصبح بين يوم وليلة رقيقا يباع في سوق النخاسة ، او مملوكا لجندي جلف لا يعرف من الحضارة شيئا ، ولا للانسانية قيمة ، وكم من صاحبة عز وجاه اصبحت مباحة لجنود اجلاف لا ترق قلوبهم و لا تلين ولا ترحم .

لقد ذبح المغول جميع اهل مدينة " نيسابور " وليتاكدوا من انهم ماتوا جميعا قطعوا روؤسهم ، وعملوا منها ثلاثة اهرامات ، هرما لروؤس الرجال وهرما لروؤس النساء ، وثالثا لروؤس الاطفال ، حتى الاطفال لم يبقوا على حياتهم (١) .

وفي مدينة" بخارى " ذبحوا من ذبحوا ، ثم اخرجوا الناس وقسموهم بين جنودهم وفرسانهم فكان الاب من نصيب فارس ، وزوجته من نصيب فارس اخر وابناؤه من نصيب جنود غيرهم " وكان ذلك اليوم يوما فظيعا كان بكاء الناس فيه يشق عنان السماء " (٢) .

---

١ . انظر كتاب المغول في التاريخ للدكتور الصياد ص ١٣٢

٢ . الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ٩ ص ٣٣٣

فقد روى ابن الاثير وصفا موءلما لتلك الغزوات فقال : " لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ،كارها لذكرها ،فانا اقدم رجلا وأوخر اخرى ،فمن الذى يسهل عليه ان يكتب نعي الاسلام والمسلمين ؟ ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ؟ فياليت أمي لم تلدني و "يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا " (١) الى ان حثني جماعة من الاصدقاء على تسطيرها وانا متوقف ،ثم رايت ان ترك ذلك لا يجدى نفعا ،فنقول : هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الايام والليالي عن مثلها عمت الخلائق ،وخصت المسلمين . فلو قال قائل منذ خلق الله سبحانه وتعالى ادم والى الان لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ،فان التواريخ لم تتضمن ما يقابلها ولا ما يدانيها . ومن اعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله "بختنصر" ببني اسرائيل من القتل ،وتخريب البيت المقدس ،وما البيت المقدس بالنسبة الى ما خرب هوءلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها اضعاف البيت المقدس : وما بنوا اسرائيل بالنسبة الى من قتلوا ؟ فان اهل مدينة واحدة ممن قتلوا اكثر من بني اسرائيل ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثه ". (٢)

وقد انتهز النصارى هذه الفرصة فحاولوا عن طريق الاميرات اللائي زوجوهن لقادة المغول وملوكهم ،ومن طريق الزعماء النصارى الذين اعلنوا الولاء والطاعة لهوءلاء الاجلاف مستغلين بالاضافة الى ذلك رغبة المغول وحبهم لسفك الدماء وغريزتهم المحبة للتعذيب ، وعداوتهم للاسلام والمسلمين بل

---

١. سورة مريم من آية ٢٣

٢. ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٢٤٣ -٢٤٤

حاولوا استئصال شافة المسلمين والقضاء على من بقي منهمعلى قيد الحيـــاة قضاء تاما ،خاصة عندما لاحظوا انهؤلاء الذين بقوا احياء نشطوا فـــي الدعوةالى الاسلام لدرجة ان كثيرا من المغول ، بل وبعض النصارى انفسهم بداوا يدخلون فيالدين الاسلامي بشكل ازعجهم ، فقد ذكر " الجوزجانـي " قصة سمعها حينما كان في دلهي على لسان رجل يدعى السيد اشرف الديـن وكان هذا قد قدم الى " سمرقند " : " .... ومن ثم حكى السيد الاجـــلّ ان احد النصارى في سمرقند دخل في ساحة الاسلام ، فحاطه اهل الـــورع من المسلمين في هذه المدينة بالرعاية ،واحلوه منانفسهم محل الاحترام والاجلال ووالوا عليه الخيرات . واذا باحد رجالات المغول من الكفار ببلاد الصين يصل الى " سمرقند " وكان كبير النفوذ عظيم الجاه ،كما كان ذلك اللعين يميل الـى النصارى ،فجاء النصارى في هذه المدينة الى ذلك المغولي ، وبثوه شكواهـم قائلين : " انالمسلمين يحرضون اولادنا على التحول عن النصارى ، ويحولـون بينهم وبينالمسيح عليه السلام ، ويدفعونهم الى اعتناق دين المصطفى عليـه السلام . واذا لميسد هذا الباب في وجه المسلمين تحول ابناؤنا جميعا عن النصرانيةفدبر بمالك من قوة وسلطان حلا لقضيتنا . فامر المغولي باحضار الشاب الذىتحول الى الاسلام . وحاولوا اغرائه بالعدول عن دينه الجديد بالرفق و المال والثراء ،ولكنه ابى انيرتد عن دينه ،وان ينزع من قلبه وروحه هـــذا الثوب الجديد وهوعقيدة الاسلام . ومن ثم ضاق الحاكمالمغولي بهذا الشـاب واخذ يتحدث عن العقاب الصارم فسلطكل ما في استطاعته من الوان العقاب او ما دبره من صنوف القسوة على هذا الشاب الذى لميرتد عن دينه بسبب حماسته البالغة لدين الاسلام ،ولم تستطع ضربة ذلك الكافر العنيد ان يجعلجرعةالدين

اللذيذة تفلت من يده ، ولما ظل الشاب ثابتا على دين الحق ، ولم يكترث للوعد والوعيد اللذين لقيهما من هذه الجماعة المفسدة ، أمر المغولي اللعين بانزال العقاب بهذا الشاب امام الملأ . وقد فارق هذا العالم وهو في سعادة الدين - أجزل الله له المثوبة والأجر ."(١)

وقد نتج عن حروب المغول أن أصبحت المدن التي كانت قبله العلم والعلماء أطلالا مندرسة ، وأما عن الفقهاء والعلماء والدعاة فقد كانوا بين قتيل وأسير وقد سن "جنكيز خان" عددا من القوانين التي أظهرت حقده على الإسلام والمسلمين ، وفيها الأمر بقتل كل من يذبح حيوانا على الطريقة الاسلامية ، وسار على نهجه "قوبيلاى" فقد عين مكافآت لكل من دل على من يذبح على الطريقة الاسلامية . (٢)

وقد عانى المسلمون اقصى ضروب العسف والشدة في عهد "كيوك" ٦٤٤ - ٦٤٨ هـ (١٢٤٦-١٢٤٨م) الذى القى بزمام الدولة الى وزيريه النصرانيين ، والذى امتلأ بلاطه بالرهبان من النصارى . (٣)

وكثيرا ما تعاون قساوسة النصارى مع الكهنة البوذيين ضد الدعاة المسلمين لعلهم يستطيعون ان يقفوا امام زحف الدعوة الاسلامية الذى بدا يتحرك من جديد في هذه الفترة بشكل نشيط جدا ازعج النصارى والبوذيين وكان هؤلاء احيانا يتظاهرون بانهم يريدون مقارعة دعاة الاسلام الحجة بالحجة بين يدى ملوك المغول او حكامهم حتى اذا ما غلبوا واعيتهم الحجة ووضح زيف دعواهم ووضحت حجة دعاة الاسلام وظهرت على حججهم لجأوا الى

---

١. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٥٥

٢ و ٣ ارنولد : الدعوةالى الاسلام ص ٢٥٦

العدوان عليهم والغدر بهم واستعمال أخس الوسائل ضدهم مستغلين صلتهم بالحاكم، وعداء هذا الحاكم للاسلام ودعاته .

وقد اورد " الجوزجاني " الحادثة التالية التي تدل على مدى الكيد وخسة الوسائل التي انحدر اليها اصحاب هاتين الديانتين في حربهم لدعاة الاسلام فقال :

" فقد روى بعض الثقات ان كهنة البوذية كثيرا ما كانوا يوغرون صدر ذلك الامير على المؤمنين ويحملونه على اضطهادهم . وكان في هذه البلاد أحد أئمة المسلمين ، وهو" نور الدين الخوارزمي " .... وقد التمس بعض العلمانيين والقساوسة النصارى ، وفريق من كهنة البوذية من عبدة الاوثان التمسوا من "كيوك " ان يستدعي ذلك الامام ليناظروه ، ويحاجوه - طالبين منه اقامة الحجة على تفوق الدين الاسلامي ، واثبات رسالة محمد - والا كان مصيره القتل اذا أعيته الحجة ، وقد أجابهم الخان الى طلبهم ، وبعث في طلب الامام وطرحت على بساط المناقشة مسألة صحة دعوة محمد النبوة وسلوكه في حياته مع موازنته بسلوك غيره من الانبياء . ثم كانت ادلة هؤلاء الملاعين ضعيفة خالية من قوة الحق ، نفضوا ايديهم من تلك المساجلة بالبراهين والحجج ورسموا خطة من خطط الظلم ، والسخط على صفحات ذلك التدبير الذى عقدوا العزم على تنفيذه . فسألوا "كيوك خان " ان يأمر هذا الامام بان يسجد سجدتين وفق قواعد الشريعة الاسلامية وتعاليمها حتى تبين امامهم وامام الخان حركات عبادتهم غير المستطحة . فأمر " كيوك " ذلك الامام والمسلم الآخر الذى كان معه بأداء الصلاة حسب الأوامر الدينية المعروفة عند المسلمين . فلما خر الامام الورع والمسلم الذى كان معه على الارض ساجدين ، قام بعض الكفار الذين دعاهم " كيوك "

وأسرفوا في ايذائهم ، وأخذوا يضربون روءوسهم في الأرض في شدة وعنف واقترفوا معهم بعض الأعمال المخزية ، على أن ذلك الإمام الورع لم يأبه لكل العنت والمضايقة وأدى الصلاة وآدابها من غير أن يقطعها ، ولما انتهى الإمام من صلاته وسلم شخص ببصره الى السماء وقال " ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً " (١) (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ثم طلب الى "كيوك" أن يأذن له بالإنصراف وعاد الى بيته "(٢)

وقد اضطهد ارغون (٦٨٣-٦٩٠هـ) (١٢٨٤-١٢٩١م) رابع ايلخانات المغول في فارس - المسلمين في بلاده ، وصرفهم عن كافة المناصب التي كانوا يشغلونها في القضاء والمالية كما حرم عليهم الظهور في بلاطه (٣) .

وقد ضيق " جغتاى " على راعياه المسلمين بما سنه من القوانين الشديدة الحرج ، التي ضيقت على شعائرهم الدينيه ، فيما يتعلق بذبح الحيوانات للطعام ، وفرائض الوضوء ويذكر "الجوزجاني " أن " جغتاى " هذا كان من ألد أعداء المسلمين بين خانات المغول كافة ، وقد بلغ من شدة عدائه لهذا الدين أنه لم يكن يرغب في أن ينطق أحد بكلمة "مسلم " في حضرته - اللهم إلا إذا أريد بها التحقير والحط من شأنها . (٤)

---

١ . سورة الاعراف من الآية ٥٥

٢ . الجوزجاني : طبقات ناصرى ص ٣٠٥ (وهذا هو النص باللغة الفارسية)

ربانى و آن مسلمانان ديگر را كه بوى اقتدا كرده بودند زحمت بسيار
دادند و سر او بر زمين زدند بقوت و با ايشان حركات ناسد كردند
تا مگر نماز ايشان قطع گرداند آن امام ربانى و عالم سبحانى آن
جمله تعدى و ايذا را تحمل ميكرد و اركان و شرائط نماز تمام بجاى
آورد و نماز را بهيچ وجه قطع نكرد چون سلام داد روى بآسمان
آورد و شرائط ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً نگاهداشت و باجازت
برخاست و بمنزل خود باز رفت حقتعالى و تقدس بقدرت

٣ . ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٢٥٧

٤ . الجوزجاني : طبقات ناصرى ص ٢٨١ -٢٩٧

الفصل الثاني

توجيه الدعوة الاسلامية إلى المغول

تمهيد

عرضنا من قبل الجهود المضنية التي بذلها النصارى في سبيل استئصال الاسلام والقضاء على المسلمين ، وعرفنا كيف ان تلك الجهود ذهبت ادراج الرياح في اكثر ما ذهبوا اليه ، نعم لقد استطاعوا اغراء المغول - بواسطة الاميرات الفاتنات - بذبح المسلمين ، فقتلوا منهم اعداد هائلة وقضوا على كثير من المؤلفات والكتب والثقافة الاسلامية ، الا انهم اخفقوا في تحقيق جميع الاهداف الاخرى ، فلم يقض على الاسلام . بل بقي الاسلام شامخا عاليا قويا كالطود الاشم ، محفوظا في كتابه الكريم كما تعهد بذلك رب العزة "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون "(١) "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " (٢)

فالاسلام لا يحميه البشر ولا ينتشر او يتقلص بارادتهم ، فكم من طاغوت حارب الاسلام ودعاته بكل ما اوتي من قوة ولكن هلك اولئك الطواغيت جميعا وبقي الاسلام ، وكم من طائفة قامت على أسس خبيثة وخططت للقضاء على الاسلام ففنيت تلك الطوائف وذهبت في التاريخ عبرة

---

١. سورة الحجر آية ٩ .

٢. سورة يوسف من آية ٢١ .

لمن يعتبر ، وبقي الاسلام فاين القرامطة (١) وجرائمهم ، واين الزنـــج (٢)

---

١. القرامطة : هي حركة من حركات غلاة الشيعة ثارت ضد الدولة العباسيه وتظاهرت بالدعوة الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وتنسب الى رجل نبطي اسمه حمدان ويلقب بقرمط - ولقب بذلك لاحمـرار عينيه - قامت هذه الحركة باعمال السلب والنهب في كثير من بـــلاد الشام والعراق وقتلت الشيوخ والنساء والاطفال وابادت مدننا بكاملها. دأبأعضاؤها على الوقوف في طريق الحجاج وقتلهم وسلب ما معهـم وقد فاجأ " ابوالطاهر سليمان بن الحسن الجنابي "والذى آلت إليـه زعامة القرامطة - فاجأ الحجاج سنة ٣١٧هـ يوم التروية وقتلهم قتلا ذريعا في فجاج مكة وداخل البيت الحرام وهم متعلقون باستاره واقتلع الحجر الاسود وأخذه الى الإحساء حيث كانت دولتهم ويقال انه كان يجلـس على باب الكعبة والحجيج يصرعون حوله في المسجد الحرام وهو ينشد

أنا لله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

ويقال انه كان زنديقا لا يصلي ولا يصوم ولا يؤدى فرائض الاسلام وقـد اصيب بمرض تقطعت بسببه اوصاله واطرافه وهو ينظر اليها ومات بعـد ان طال عذابه ورأى في جسده العبر ، وخلفه اخوه الذى رد الحجـر الاسود الى مكانه ثم ضعف القرامطه بعد ذلك واضطروا الى الدخـول في طاعة الخلافة العباسية ونبذ عقيدتهم القرمطيه . (الدكتور شوقي ضيف تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الثاني ص ٢٣- ٤٢) .

٢. الزنج : هي حركة ثورية أعد لهاوأشعلها رجل فارسي ادعى أنه علوى ثارضد الدولة العباسية ثم رأى أن يستغل الزنج الذين كانوا يجلبـون من شرق افريقيا ويسخرهم كبار الملاك الاقطاعيين في كسح السباخ وفـي زرع أرضهم ولا يدفعون لهم ما يسد رمقهم ولا يقدمون لهم من الكساء ما يسترهم فأعلن أنه إنما يريد إنصافهم وتحريرهم وَزَعَم أنه يوحى إليه فالتف هؤلاء - ومعهم عبيد الفرات - حوله ولكنه استباح في حروبه استرقاق الأحرار مما يؤكد أنه لم يكن يفكر جديا في الغاء الرق ، وقد شكـت

وفساد هم ؟ واين المقنع (١) وعصابته ؟ واين الصليبيون وجيوشهم الجرارة ؟ ، لقد ذهب اولئك جميعا وبقي الاسلام شاهداً على وفاء الله بعهده "........ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللَّهِ ......"(٢) .

نعم لقد كلف الله المسلمين حمل الرسالة وتوصيلها للاخرين ، ولم يطلب منهم ادخال الناس في دينه قسرا ، كما لم يطلب منهم الخروج عن بعض اوامر الاسلام في سبيل ارضاء الغير وادخاله الاسلام ، فلم نسمع مثلا بان مسلما زوج ابنته او اخته كافرا املا في هدايته الى الاسلام او في سبيل تسليطه على عدو من اعداء الاسلام .

لم ينتشر الاسلام بالقوة كما يهذى بعض خصومه ، فهذه قوة المسلمين

= اليه امرأة استرقها أحد اتباعه - وهي من ولد الحسن بن علي - وطلبت أن يعتقها أو ينقلها إلى غيره فقال لها " هو مولاك واولى بك من غيره" وكان يستحل قتل النساء والشيوخ والأطفال ويرى أنه ينبغي قتال المسلمين واستئصالهم حتى لا تبقى منهم باقية ، وقد استمرت هذه الثورة أربعة عشر عاما ويقال أنه راح ضحيتها مليون ونصف من المسلمين (الدكتور شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الثاني من ص ٢٦ - ٣٠) .

١ . المقنع : ثائر من أهل مرو كان رجلا ساحرا ادعى الربوبية واطاعه جماعة كثيرة بنى قلعة سماها " سنام " واتخذها قاعدة ينطلق منها للسلب والنهب والقتل ولنشر فساده ، سمي بالمقنع لانه كان يخفي تشويه خلقته بقناع من ذهب ، قضي عليه وعلى اتباعه في عهد ابي جعفر المنصور (المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ٩) .

٢ . سورة التوبة من آية ١١١

قد تحطمت ، واصبح المسلمون محكومين مغلوبين على امرهم لا حول لهم ولا قوة مسحوقين بين اسير ذليل يباع في اسواق النخاسة ، وجارية مسكينة لا تملك من امرها شيئا وبقية امة تبكي بين الاطلال على من فقدت من احباب وامجاد الا ان هؤلاء الضعاف الذين ضاعت منهم الدنيا حرصوا اشد الحرص الا تضيع منهم الاخرة ، فاخلصوا لدينهم ، ودعوا المغول الى الاسلام من تلك النقطة المتناهية في الضعف ، وشرحوا لهم الاسلام - دين الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، ولم يعتورها الالتواء والانحراف او التبديل او التحريف الذى يجعل العقل عاجزا عن فهم بعض ما جاء به وادراكه - قدموا لهم هذا الدين وادوا الواجب الذى كلفهم الله به رغم ما كانوا عليه من الضعف وتركوا الباقي على الله سبحانه وتعالى .

فماذا كانت نتيجة هذا الصراع الهائل بين الحق والباطل ؟ والى اى طريق انتهى المغول الذين دار حولهم هذا الصراع المرير بين الاتجاهين ؟ وماذا صنعت الدعوة الاسلامية بجبابرة المغول وطواغيتهم الذين ازعجوا الدنيا وروعوا الناس وهددوا الحضارة الانسانية كلها بالفناء ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه في الصفحات التالية ان شاء الله .

المبحث الاول

من الذين حملوا الدعوة الاسلامية الى المغول ؟

احدث احتلال المغول للبلاد الاسلامية وتحطيمهم للخلافة ، ردة فعل قوية في نفوس المسلمين جعلتهم ينشطون في الدعوة الى الاسلام نشاطا قويا نتج عنه اقتناع الاغلبية الساحقة من المغول بالاسلام ونستطيع ان نرجع دخول المغول في الاسلام الى الأسباب الآتية : -

اولا : قام دعاة الاسلام بنشاط كبير بين الامم من غير المسلمين بلا حماية من دولة او قوة مسلحة معتمدين على الله وحده آملين في ثوابه ، وقد نتج عن ذلك اقتناع اعداد كبيرة بالاسلام ، فمنهم من اشهر اسلامه ، ومنهم من اسلم سرا خوفا من الطواغيت الذين كانوا في الحكم (١) . وقد بلغ من شدة نشاط الدعاة في هذه الفترة ان ابناء النصارى بدأوا يدخلون الاسلام بشكل ازعج آباءهم . فقد شكى النصارى الى احد الحكام المغول من هذا النشاط قائلين " ان المسلمين يحرضون اولادنا على التحول عن النصرانية ، ويحولون بينهم وبين المسيح -عليه السلام - ، ويدفعونهم الى اعتناق دين " المصطفى " - عليه السلام - واذا لم يسد هذا الباب في وجه المسلمين تحول ابناؤنا جميعا عن النصرانية ، فدبر لنا بمالك من قوة وسلطان حلا لقضيتنا "(٢) ويقول ارنولد في موضوع آخر " لابد ان يكون هناك كثير من انصار النبي (صلى الله عليه وسلم) قد انتشروا في طول امبراطورية المغول وعرضها مجاهدين في طي الخفاء لجذب الكفار الى حظيرة الاسلام ، ففي عهد "جغتاي " نقرأ عن اسلام

---

١ . انظر اسلام تغلق تيمورخان - المبحث الرابع من هذا الفصل ص

٢ . ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٥٥

بوذ ى يدعي "كورجوز" " Kurguz " كان حاكما على بلاد الفرس من قبل المغول (١) ، ومن هذا يتضح ان نشاط دعاة الاسلام اصبح قويا لدرجة ان حكاما يتحولون الى الاسلام والنصارى يضجون بالشكوى ويستغيثون بحكام المغول لوضع حد لنشاطهم .

ثانيا : وقد قام المغول - عند احتلالهم للبلاد الاسلامية باسر اعداد ، غفيرة من المسلمين فمنهم من كان داعية ، ومنهم من كان فقيها ، ومنهم من كان صانعا ، وانتشر هؤلاء بين المغول ، وفي بيوتهم يباشرون طقوسهم الدينية ، ويدعون اليها كلما اتاحت لهم الفرصة ، وهذه صفة في المسلمين يتمسك بها اكثرهم حتى في اكثر الاوقات حرجا ، يقول ارنولد : "حتى المسلم الاسير ، يغتنم الفرص في المناسبات لدعوة آسريه او - اخوانه في الاسر - الى دينه ، وقد تسرب الاسلام الى اوروبا الشرقية اول الامر بفضل ما قام به فقيه مسلم ،سيق اسيرا ...." (٢)

وكم من فقيه ساقه المغول اسيرا الى بلادهم من عشرات المدن الاسلامية التي احتلوها .

ولم يكن نشر الاسلام من عمل الرجال وحدهم ، بل لقد قامت النساء المسلمات ايضا بنصيبهن في هذه المهمة الدينية - فيرجع الفضل في اسلام كثير من رجال المغول وامرائهم الى تأثير جارية مسلمة اتخذت زوجة. يقول ارنولد : "لا يبعد ان تكون سبايا المسلمين قد قمن بدور هام في تحويل المغول الى الاسلام " ، وقال عن " محمد خدابنده " : وعمد باسم"نيقولا " على انه

---

١. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٥٨

٢. نفس المصدر ص ٤٥٣

لم يلبث ان اسلم بعد موت امه (النصرانية) وهو لا يزال شابا في مقتبل العمر وذلك بتأثير زوجته "(١) .

وقد تسلم عرش الاسرة الجغتائيه الملك " مبارك شاه " ٦٦٣ هـ الموافق (١٢٦٤م) الذى ربته امه المسلمة "أُرغانه Orghana " على الاسلام (٢) كما واثر في المجتمع المغولي ما جلبه الحكام المغول الى بلادهم الاصلية من صناع وحرفيين عند انتصارهم على البلاد الاسلامية فقد اثار اخلاص هوءلاء واتقانهم صناعاتهم اعجاب المغول ودفع بعضهم الى تقليدهم واعتناق دينهم .

ثالثا : لقد شجع المغول التجارة ، وسمحوا للتجار بالتجول في طول بلادهم وعرضها ، وقد اغتنم التجار المسلمون هذه الفرصة واخذوا يدعون الى الاسلام كلما اتاحت لهم الظروف ومثال ذلك التجار الذين خلو " ببركة خان " وشرحوا له الاسلام شرحا مقنعا انتهى باعتناقه لهذا الدين . (٣) والتجار الذين دخلوا ارضا خصصها الامير " تغلق تيمور " للصيد فجيء بهم اليه وحصلت مناقشة بينهم وبينه وعرض الشيخ " جمال الدين - الذى كان معهم - الاسلام عليه بطريقة جريئة وانتهت القصة باسلامه . (٤)

رابعا : وقد قام عدد من القادة المسلمين الذين خدموا مع المغول بنشاط ملحوظ لاقناعهم بالاسلام ومثال ذلك القائد " نوروز " والحاحة على غازان ، وعرض الاسلام عليه من حين الى حين حتى انتهى بإسلامه . (٥)

---

١. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٦٥ والحاشية .
٢. انظر المبحث الرابع من هذا الفصل ص ٢٢٦
٣. انظر المبحث الثالث من هذا الفصل ص ٢١٧
٤. انظر المبحث الرابع من هذا الفصل ص ٢٢٧ ، ٢٢٨
٥. انظر اسلام غازان المبحث الخامس من هذا الفصل ص

خامسا : كان لقرب بلاد المغول الاصلية من اطراف العالم الاسلامي اثر كبير في قدرة سكان تلك المناطق على عرض الاسلام وشرحه لهم لان بعض المتجاورين يفهم لغة جيرانه ، ومن المعروف ان الامم المتجاورة تكون متقاربة في العادات والتقاليد والامزجة ، وهذه امور سهلت على دعاة الاسلام في تلك المناطق طريقة تقديم الاسلام لهم وعرضه عليهم .

سادسا : ثم ان المغول انهكتهم الحروب المتواصلة ، وخبروا الامم ، والشعوب والملل والنحل ، واصبحوا يتطلعون الى مذهب في الحياة فلم يجدوا افضل ولا اتم من الاسلام لانه دين الفطرة وهم كانوا اقرب الى البداوة والسذاجة الاولى لم تفسد فطرتهم بحياة المدن والحضارات وان كانوا غلاظا شدادا نتيجة الجهل وعدم وجود دين سليم يتعلمون منه الخير .

ولقد اتاح حكمهم للمسلمين ومخالفتهم اياهم فرصة كبيرة للاطلاع على احوال هؤلاء المسلمين وكيفية تطبيقهم للاسلام ، ورأوا عدالة القضاء الاسلامي الذى يسوي بين الغني والفقير ، والقوي والضعيف ، كما اتاح لهم رؤية بساطة الاسلام ووضوحه وسهولة شعائره وبعدها عن الطلاسم والخزعبلات الموجودة في غيره من الاديان والملل الاخرى فدفعهم هذا كله على المدى الطويل ، وبالتأثير الهادى البطيء للتحول من العداوة الحاقدة الى المسالمة ثم المصادقة للمسلمين ثم الاعجاب . وبتوفيق من الله سبحانه شرحت صدور اعداد كبيرة من المغول للاسلام ، واصبحت النفوس مهيأة للدخول في دين الله "افواجا "(١) وكأن هذه السورة الكريمة قد نزلت حينئذ "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ

---

١ . انظر اسلام غازان، المبحث الخامس من هذا الفصل ص

رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا "(١)

من هذا العرض السريع نجد ان المسلمين في تلك الفترة - بجميع فئاتهم من فقهاء ، وتجار ، وصناع ،وقادة ، واسرى ، وسبايا - حملوا الدعوة الاسلامية مستعينين بالله ثم بأساليب الدعوة الاسلامية العالمية ووسائلها والتي عرضناها في الباب السابق .

والآن نعرض - ان شاء الله - كيف اصبح الاسلام دين الاغلبية الساحقة من المغول ، ثم كيف اصبح الدين الرسمي لجميع خانيات (ممالك) المغول التي قامت في موطنهم الاصلي ، وفي البلاد الاسلامية التي فتحوها واستقروا فيها .

---

١ . سورة النصر



كيف اسلمت القبيلة الذهبية (القبجاق)

كان بركة خان - زعيم القبجاق - مسلما يكتم اسلامه لان معظم قبيلته كانوا شامانيين وقليل منهم نصارى او بوذيين وكان السبب الرئيسي في اسلام قبيلته ما هياه الله من علاقة وديه بينه وبين الظاهر بيبرس فقد احتفى هذا الاخير بمجموعة من جنود القبيلة الذهبية يبلغ عددها مائتين كانت تقاتل بين جنود " هولاكو " فلما وقع الخلاف بين هذا الاخير وبركه خان ، واشتعلت الحرب امر بركة خان جنوده - الذين كانو يقاتلون في جيش هولاكو - بالمسير اليه وترك جيش هولاكو ، واذا لم يستطيعوا ذلك عليهم ان يذهبوا الى بلاد المسلمين في طاعة السلطان الظاهر بيبرس .

ترك اولئك الجنود جيش المغول ، وساروا الى سوريا ثم الى مصر وهناك استقبلوا بكل مظاهر الحفاوة والتكريم في بلاط السلطان الظاهر بيبرس الذى اقنعهم بصحة الدين الاسلامي واعتناقه . (١)

وكان من نتيجة اختلاف المغول والقتال الذى حدث بين " بركه خان" وابن عمه " هولاكو " ان اضطربت بلادهم وكثر هروب جماعات من المغول الى بلاد الشام المجاورة لهم بحثا عن النجاة وذلك راجع الى ما سمعوه عن معاملة السلطان الظاهر بيبرس لهؤلاء الوافدين من استقبال واكرام وانعام مما جذب

= ليكون خانا اعظم للمغول وقد اقر مجلس الامراء " قورلتاى) انتخابه في ١٢٥١م رغم اعتراض اسرتي اوكيتاى وجغتاى على ذلك وقد لقي هذا الانقلاب مقاومة من امراء جغتائيين واوكيتائيين واعوانهم الا انهم فشلوا وانتقم منهم الخان الجديد بالقتل والتشريد وبهذا قضي على بيت (اوكيتاى) وانتقلت ولاية العرش الامبراطوريه الى بيت "تولوي " ولم يبق الا ثلاث اسر هي الجغتائيين وايلخانات فارس والقبجاق - القبيلة الذهبية (لتفصيل اكثر راجع كتاب الدكتور الباز المغول ص١٩٣ والحاشية) .

١. المقريزى ج ١ ص ١٨٠ -١٨١ و ١٨٧

الوافدين وقد زاد عددهم حين وصلت طائفة من المغول مستأمنين في شهر ذى القعدة سنة ٦٦١هـ (سبتمبر ١٢٦٣م) عدتها فوق الالف والثلاثمائه فارس من المغول ، فلما علم السلطان بهم كتب الى نوابه بحسن استقبالهم والاحسان اليهم " فلما رأوه نزلوا عن خيولهم وقبلوا الارض بين يديه فاكرمهم وعادوا الى القلعة ، ثم خلى عليهم ، ثم جاءت طائفة اخرى من المغول فاحتفل بهم السلطان واستقبلهم ، وجاءت طائفة ثالثه فاكرم وفادتهم ، واقر اكابرهم وعرض عليهم الاسلام فاسلموا ، وختنوا باجمعهم . (١)

وأنزلهم في دور بنيت لهم في " اللوق " وهي المعروفة الآن بباب اللوق " وبعث اليهم الخلع والاموال وأمّر كبراءهم وأدمج بعضهم في سلك المماليك . ومنحهم بعض الاقطاعات وكان من اثر هذه المعاملة الحسنة ان تكاثر عدد الوافدين من رجال القبيلة الذهبية على مصر حيث اتخذوا الاسلام دينا لهم . (٢)

وهكذا بتوفيق الله سبحانه ثم باخلاص السلطان بيبرس تحول عدد كبير من جنود هذه القبيلة الى الاسلام . وقد ارسل بيبرس اثنين من المغول اللاجئين وغيرهم من الرسل يحملون كتابا الى " بركة خان " وقد نقل هؤلاء عند عودتهم الى مصر ان لكل امير واميره في بلاط " بركه خان " إماما ومؤذنا خاصا وان الاطفال كانوا يحفظون القرآن في المدارس . (٣) .

والحق ان بركه خان كان له من اسمه نصيب فقد كتب الله على يديه هداية اكثر قبيلته وكشفت منه الايام قائدا مؤمنا واماما هاديا كما سيأتي تفصيل هذا الامر فيما بعد ان شاء الله .

---

١ . فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ٨٣
٢ . المقريزى : خطط ج ٢ ص ٥٠٠ - ٥٠١ (دار التحرير للطبع والنشر عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ .
٣ . ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٥٩ نقلا عن المقريزى



المبحث الثالث :

أعمال ملوك هذه القبيلة لخدمة الإسلام

أولاً : بركة خان (من سنة ٦٥٥هـ - ٦٦٦هـ) (١٢٥٧م - ١٢٦٧م)

هو بركه خان بن جوجي بن جنكيز خان ، اخذ الملك بعد ان توفي "طرطق خان" بن باطو بن جوجي بن جنكيز خان . كان بركه خان اول من اسلم من ملوك المغول ، وقد اختلفت الروايات في كيفية اسلامه ، فمن قائل انه التقى يوما مع عير للتجارة آتية من بخارى فاختلى بتاجرين منهم وسالهما عن الاسلام فشرحاه شرحا مقنعا انتهى الى اعتناق "بركه خان" لهذا الدين والاخلاص له ، وقد كاشف اصغر اخوته اول الامر عن تغييره لدينه ، واعتناقه الاسلام وحبب اليه ان يحذو حذوه ، ثم اعلن بعد ذلك اعتناقه لهذا الدين . (١)

واما الجوزجاني فيذكر ان بركه خان قد اعتنق الاسلام منذ طفولته ولما شب وبلغ سن التعليم حفظ القرآن الكريم على يد احد علماء مدينة "خوند" وقد اهتم بنشر الاسلام بين أفراد قبيلته وجنوده حتى اصبح جميع جيشه مسلما ، وكان كل فارس في جيشه يحمل سجادة للصلاة حتى اذا ما حان وقت الصلاة اشتغلوا بصلاتهم . (٢)

ومما يدل على صدق اسلام "بركه خان" ورجال قبيلته انه لم يكن في جيشه من يتعاطى مسكرا وكانت جماعته تضم مشاهير العلماء والمفسرين ورجال

---

١ . ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٥٩ (نقلا عن ابو الغازى ج ٢ ص ١٨١)

٢ . ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٥٩ .

الحديث ، والفقهاء ، وعلماء الكلام ، وكان في حوزته عدد كبير من كتب الدين كما كانت معظم مجالسه ومحاوراته مع العلماء ، وكانت المحاورات الدينية تشغل اكثر مجالسه ، كما كان سنيا شديد التمسك بدينه ، مدعما للدعوة الاسلامية ساعيا لنشرها بين رعيته وعائلته حتى لقد امر ان يكون في حاشيته كل واحدة من زوجاته وكل أمير من امرائه امام ومؤذن لاقامة الشعائر الدينية . (١)

وقد اثر اسلامه - وكذلك صلاته الطيبه مع المماليك - تأثيرا طيبا في انتشار الاسلام بين افراد القبيلة الذهبية ، فقد حذا حذوه كثير من زعماء وامراء المغول في تلك البلاد - رغم مقاومة بعضهم لهذا الدين ، وحيلولتهم دون انتشاره بينهم ، حتى انهم فكروا في خلع "بركه خان" حين اعلن اسلامه وعرضوا التاج على "هولاكو" ألد أعدائه . (٢)

وقد كان "بركه خان" شديد التمسك بالاسلام ، ومخلصا للمسلمين مدافعا عنهم ، وقد عرف عنه انه كان يؤثر المسلم مهما كانت جنسيته على غير المسلم ولو كان اميرا مغوليا ، حتى انه اعلن الحرب على ابن عمه "هولاكو" لانه قضى على الخلافة الاسلامية ، وذبح المسلمين ودمر مدائنهم ومدنيتهم في كثير من البلدان ، وكان بذلك متمثلا بقول الله سبحانه وتعالى "لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون ." (٣)

---

١. محمد جمال الدين سرور : الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره ص ١١٣

٢. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٧١

٣. المجادله : آية ٢٢

وقد بعث لسلطان مصر الظاهر بيبرس بعدة رسائل تظهر مدى تمسكه بدينه ، وتفضيله المسلمين من غير المغول على ابن عمه واهله ذلك لان الاسلام فرق بينهم فقد جاء في احدى رسائله : " قد علمت محبتي للاسلام وعلمت ما فعله " هولاكو " بالمسلمين فاركب أنت من ناحية حتى اتيه انا من ناحيه حتى نصطلمه (نستأصله) او نخرجه من البلاد واعطيك جميع ما كان بيده من البلاد "(١)

ويقول في رسالة اخرى :

" . . . . .فيعلم السلطان انني حاربت " هولاكو " الذى هو من لحمي ودمي لاعلان كلمة الله العليا تعصبا لدين الاسلام ، لانه باغ والباغي كافر بالله ورسوله ، وقد سيرت قصادى ورسلى صحبة رسل السلطان ، ووجهت "ابن شهاب الدين غفارى (صاحب ميافارقين) " معهم لانه كان حاضرا في الوقعة ليحكي للسلطان ما رآه بعينه من عجائب القتال ، ثم ليوضح لعلم السلطان أنه موفق بالخيرات والسعادات لأنه أقام اماما من آل عباس في خلافة المسلمين وهو الحاكم بأمر الله فشكرت همته وحمدت الله تعالى على ذلك لاسيما لما بلغني توجهه بالعساكر الاسلامية الى بغداد واستخلاص تلك النواحي من أيدى الكفار " (٢)

وقد شرح في رسالة اخرى الاسباب التي دعته لمحاربة ابن عمه وقال انه قام واخوته الاربعة بمحاربة " هولاكو " من جميع الجهات لاقامة شريعة الاسلام وانه اخذ بثار الائمة والامة ، وانه اقام الاذان والصلاة وقراءة القرآن في بلاده (٣)

ومن هذا نعلم ان اهم اسباب الخلاف بين "بركه خان " وابن عمه "هولاكو" غضب مغول الشمال من تصرفات هولاكو في اراضي المسلمين من تخريب وتدمير

---

١. ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص٢٣٨

٢. فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ٢٠٩

٣. فايد حماد عاشور : نفس المصدر ص ٨١

وقتل للمسلمين بالاضافة الى قتل الخليفة المستعصم بالله " (١)

ومن حسنات " بركه خان " او من اكبر تلك الحسنات كسره لهولاكو ، وفك الاسارى من يده ;، وكان يناصح الملك الظاهر بيبرس ويكرم رسله ويهاديه وكان لا يقطع مكاتبته ومراسلته " . . . . . وكما انه كسر قوة هولاكو وشوكته وصده بذلك عن قصد بقية بلاد الاسلام كذلك قوى قلوب ملوك الاسلام ، وحرضهم على قتاله واعانهم بارسال العساكر على ذلك ، حين جبنوا عن مقاتلته ، وخشوا بطشه وفرقوا من سطوته ، حتى انتعشوا بذلك ونهضوا بقوة الجاش لمحاربته" (٢)

---

١ . النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٢٢

٢ . د . فايد حماد عاشور : العلاقة السياسية بين المماليك والمغول ص ٢١٠ -٢١١ ويعزوه الى تلفيق الاخبار ص ٤٢٧

ثانياً : منكوتمر (٦٦٦ - ٦٧٩ هـ ١٢٦٧ - ١٢٨٠م)

تولى الحكم بعد "بركة خان" ابن اخيه (منكوتمر ") الذى سار على نفس الطريق الذى سار عليه عمه "بركه خان" حيث قاد قواته وانطلق لمحاربة "ابغا" بن هولاكو وارسل سفارة الى السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٧٠هـ (١٢٧١م) وقد حملت السفارة رسالة تؤكد عزم "منكوتمر" على مواصلة القتال حتى يتم استرداد الاملاك الاسلامية التي استولى عليها "هولاكو" وطلب من الظاهر بيبرس مساندته حتى يتم استئصال اسرة "هولاكو" .

ولقد ارسل الملك المنصور قلاوون سفارة الى منكوتمر سنة ٦٧٩هـ الموافق (١٢٨١م) ولكنها عندما وصلت وجدت ان "منكوتمر" قد توفي وأن اخاه "تدان منكو" قد تربع على الحكم من بعده وقد ارسل هذا سفارة الى مصر تحمل رسالة مكتوبه بالخط المغولي تتضمن بأن "تدان منكو بن طوغان بن باطو بن جوجي بن جنكيز خان" قد اسلم ويريد ان ينعت نعتا اسلاميا وان يجهز له علم من الخليفه ، وعلم من السلطان يقاتل بهما اعداء الدين ، فاجاب السلطان قلاوون طلبه وذلك سنة ٦٨٢هـ (١٢٨٣م) . (١)

ومعنى هذا ان الاسلام اصبح في تلك الاصقاع من القوة بحيث دفع الحكام الى اعلان التبعية للخلافة الاسلامية في القاهرة وتشوقهم لذلك ، كما وأن الشعب هناك اصبح مخلصا للاسلام والشعارات الاسلامية حتى حرص الحاكم على الحصول على نعت اسلامي ليجعل شعبه شعبا مطيعا له متفانيا في الحروب التي يخوضها لان القاعدة في الاسلام طاعة أُولي الامر - الذين يلتزمون بطاعة الله - جزء من طاعة الله ".... أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ..." (٢)

---

١. فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ٢١١ ويعزوه الى السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٤٢ .

٢. سورة النساء اية ٥٩

جهز السلطان قلاوون هدية سنية الى " تدان منكو " خان المغــول القبجاق "القبيلة الذهبية " ومبلغ الفي دينار وذلك لتجهيز جامع وتكتب عليــه القاب السلطان .

تنازل بعد ذلك " تدان منكو " عن الملك واظهر التزهد والانقطاع الى العلماء وتولى بعده ابن اخيه "تلابغا بن منكوتمر" سنة ٦٨٦هـ (١٢٨٧م) ولكنه اغتيل في عام ٦٩٠هـ (١٢٩١م) بتدبير من (طقطقاى " الذى تولــى الحكم . (١) ولكن " طقطقاى " هذا لم يكن مسلما ، وانما كان على دين المغول وكان له ولد مسلم الا أن ولده المسلم توفي قبل والده وقد توفي " طقطقاى " سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م) وتولى الحكم بعده ابن اخيه " ازبك " .

ثالثا : محمد أُزبك (٧١٣ - ٧٤١ هـ ١٣١٣ - ١٣٤٠ م)

لقد كان محمد ازبك مسلما متحمسا لنشر الاسلام فقد جذا حــذو "بركه خان " في نشر الاسلام في بلاده (فاخلص للاسلام غاية الاخلاص ، واظهر التدين والتمسك بالشريعة وحافظ على الصلاة) (٢) (اصبح الاسلام ثابت الاركان في عهده يقول عنه ابن بطوطه " . . . . . وهذا السلطان عظيم المملكة ، شديد القوة ، كبير الشان ، رفيع المكان ، قاهر لاعداء الله أهل قسطنطينية العظمى ، مجتهد في جهادهم وبلادهم متسعة ومدنها عظيمه منها التكفار والقرم والماجر وازاق وسرادق (سوادق) وخوارزم وحاضرته (السرا) (٣)

---

١ . العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ص ٢١٢ ؛ السلوك ج ٠ ق ٣ ص ٧١٦) .

٢ . دول الاسلام ج ٢ ص ٢٦٩ ، النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٢٦

٣ . السرا : تقع على الضفة اليسرى لنهر الفلجا شرق مدينه (ستالينجراد) التي تقع على الضفة اليمنى (انظر المسلمون تحت السيطرة الشيوعيه ص ٥٦ للاستاذ محمود شاكر) .

وهو احد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها . ." (١)

وقد كان متحمسا لنشر ا تعاليم الدين الاسلامي ، حريصا على تحويل كثير من الناس اليه حتى لقد حاول احد كبار المغول ان يقنعه بترك الحماس للاسلام والعمل اليه والتفاني في اقناع الناس بدخول الاسلام فقال له "اقنع بطاعتنا . وماذا يهمك من ديننا ؟ولماذا تترك دين جنكيز خان لتعتنق دين العرب ؟ ولكن محمد ازبك نجح - على الرغم مما لقيته جهوده من مقاومة شديدة في جذب كثيرين وتحويلهم الى هذا الدين الذى كان هو من اشد اتباعه حماسة وصلابة واليه يرجع الفضل في توطيد دعائمه وتثبيت اركانه في البلاد التي كانت تحت سلطانه "(١)

ومما يدل ايضا على نفوذ "أُزبك " ما نجده في القبائل الازبكية في اواسط اسيا ، التي اشتقت اسمها من اسمه والتي لا يستبعد ان تكون قد تحولت الى الاسلام في عهده ، ويقال انه وضع خطة لنشر الاسلام في كافة ارجاء بلاد الروسيا . (٣)

ورغم حماسته لنشر الاسلام الا انه كان كثير التسامح مع النصارى حتى لقد سمح لهم بموالاة التبشير لدينهم ونشره في بلاده ومن اهم الوثائق التي تسترعي الانتباه عن التسامح الاسلامي ذلك العهد الذى منحه "أُوزبك خان" للمطران بطرس سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م) وقد جاء فيه انه لا يحل لاحد ان يتعرض لكنسية بطرس او قساوستها او خدامها بسوء ولا يعتدى على ممتلكاتها وان من

---

١. رحلة ابن بطوطه ص٣٣١

٢. الدعوة الى الاسلام ص٢٧١ ويعزوه الى ابو الغازى ج٢ ص١٨٤

٣. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٧١ - ٢٧٢

يفعل ذلك آثم جزاؤه القتل ، وان تكون الكنائس والأديرة والمعابد التابعة له محل احترام وتعظيم " (١)

تولى الملك بعد السلطان محمد أزبك ولده (تين بك) لمدة يسيره ثم قتل وتولى بعده أخوه "جان بك" وهو خير من أخيه وأفضل . (٢)

---

١. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص٢٧٢

٢. رحلة ابن بطوطه ص ٣٣٧



المبحث الرابع :

انتشار الاسلام بين المغول الجغتائيين

ينسب مغول هذه الخانية الى " جغتاى بن جنكيز خان " وتشمل اراضي هذه الخانية ـ كما ذكرنا من قبل ـ تركستان ، وكاشغر ، والصاغون ، والشاس وفرغانه ، وسائر ما وراء النهر من البلاد (انظر الخريطة ص٢١٣) .

ان المعلومات التي وصلت الينا من انتشار الاسلام بين أفراد هـــذه القبيلة قليلة لا تشفي غليل الباحث ، ولو انه ثابت لدينا ان كثيرا من اعقـــاب هذه الخانية كانوا يستعينون بوزير مسلم على الرغم من انهم لم يبدوا اى ميـــل للاسلام ، وقد سن " جغتاى بن جنكيز خان " قوانين في مملكته سببت احراجـــا شديدا للمسلمين ، وضيقت عليهم مباشرة شعائرهم الدينية خاصة فيما يتعلـــق بذبح الحيوانات والضوء . (١)

ويذكر الجوزجاني ان " جغتاى ـ موسس هذه الاسرة ـ كان ألـــد اعداء المسلمين من بين خانات المغول كافة وقد بلغ من شدة عدائه لهذا الدين انه لم يكن يرغب في ان ينطق احد بكلمة مسلم في حضرته ، اللهم الا اذا اريد بها التحقير والحط من شأنها . (٢)

تزوج " قرة هولاكو بن موتوكن بن جغتاى " امرأة مسلمة اسمها " أرغانه" وخلفت منه ولداً ربته على الاسلام وعندما تنازع الأمراء المغول فـــي هذه المنطقة على عرش خاقانية " مملكة " "جغتاى " تقدم ولدها وتسلم الملـــك باسم"مبارك شاه " سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٤م) ولكن لم يلبث ابن عمه " براق خان" ان خلعه عن العرش ، ويبدو ان اسلام مبارك لم يترك اى اثر للدعوة الاسلامية

---

١. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٥

٢. نفس المصدر ص ٢٦٦-٢٦٧

حتى ان اولاده لم يكونوا مسلمين . (١) ويقال ان " براق خان " قد ادركته البركه بتلقيه نور العقيده قبل موته في ٦٦٨هـ (١٢٧٠م) بايام قليله وتسمى باسم السلطان" غياث الدين " الا انه دفن وفقا لشريعة المغول ، ولم يدفن على الطريقة الاسلامية ، ويبدو ان الذين اسلموا في عهده ارتدوا الى وثنيتهم وان الاسلام لم ينتشر بين افراد هذه الاسرة الا في القرن الثاني لاسلام " مبارك شاه " وذلك على اثر اسلام " طرماشيرين Tarmasharin " حوالي سنة ٧٢٦هـ (١٣٢٦م) وقد بقي المغول الذين اسلموا في هذه المرة متمسكين بدينهم . ولكن " بوزن " Buzon - الذى طرد " طرماشيرين " عن العرش واخذ مكانه - اضطهد المسلمين . (٢)

تغلق تيمور خان (٧٤٨-٧٦٥هـ ١٣٤٧-١٣٦٣م) Tiluq Timur Khan

قامت - على اثر ضعف اسرة جغتاى - مملكة في " كاشغر " استطاعت ان تستقل بحكم تلك البلاد ، ويذكر بعض المؤرخين (٣) ان اسلام " تغلق تيمورخان " ملك كاشغر كان على يد رجل من اهل التقوى والورع في مدينة " بخارى " يقال له الشيخ " جمال الدين " تقول القصة : (ان هذا الشيخ وكان معه جماعة من التجار - اعتدوا على الاراضي التي خصصها ذلك الامير للصيد ، فامر ان توثق ايديهم وارجلهم وان يمثلوا بين يديه ، ثم سالهم في غضب ، كيف تجرؤون على دخول هذه الارض ؟ فاجاب الشيخ بانهم غرباء

---

١. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٦

٢. رحلة ابن بطوطه ج ١ ص ٤١٤

٣. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٦

ولا يعلمون انهم يجوسون ارضا محرمة ، ولما علم الامير انهم من الفرس قال : ان الكلب اغلى ثمنا من اى فارسي . فاجاب الشيخ : نعم ، قد لا نكـــون اغلى ثمنا من الكلب لو اننا لم ندن بالدين الحق . وراع الامير ذلك الجـــواب فامر بان يقدم اليه ذلك الفارسي الجسور عند عودته من الصيد ، ولما خلا به سأله ماذا تعني بهذه الكلمات ؟ وماذلك الدين ؟ فعرض عليه الشيـــــــخ الاسلام في غيره وحماسة تفطر لها قلب الامير حين اكتشف ضلال معتقداته وفسادها وقال : ولكني اذا اعتنقت الاسلام الان فلن يكون من السهل ان اهدي رعاياي الى الصراط المستقيم . فلتمهلني قليلا ، فاذا ما آلت الي مملكة اجدادى فعد الي) (١) وذلك ان امبراطورية جغتاى انقسمت في ذلك الوقت الى إمارات صغيرة ، وظلت على ذلك سنين طويلة حتى نجح " تغلق تيمور " في توحيـــد الأمبراطوريه كلها تحت سلطانه ، وجمع كلمتها كما كانت من قبل ، وفي هـــذه الأثناء كان الشيخ جمال الدين قد عاد الى بلده حيث مرض مرضا شديدا فلما اشرف على الوفاة قال لابنه رشيد الدين : " سيصبح " تغلق تيمور " يوما ما ملكا عظيما فلا تنس ان تذهب اليه وتقرئه مني السلام ، ولا تخش ان تذكره بوعـــده الذى قطعه لي " ولم يلبث رشيد الدين الا سنين قليله حتى ذهب الى معسكر الخان ـ وكان قد استرد عرش امبراطورية ابائه ـ تنفيذا لوصية ابيه ، ولكنه لم يستطيع ان يظفر بالمثول بين يدى الخان برغم ما بذله من جهود ، واخيرا لجأ الى هذه الحيلة الطريفة ، ففي ذات يوم اخذ يؤذن في الصباح المبكر علـــى مقربة من فسطاط الخان ، فأقلق ذلك الصوت نوم الخان ، وأثار غضبه ، فامـــر باحضاره ومثوله بين يديه ، وهناك ادى رشيد الدين رسالةابيه ، ولم ينـــس

---

١ . ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص٢٦٧

" تغلق تيمور " وعده ، وقال : " حقا ما زلت اذكر ذلك منذ اعتليت عرش آبائي ولكن الشخص الذى قطعت له ذلك الوعد لم يحضر ، والآن فأنت على الرحب والسعة "، ثم نطق بالشهادتين ، وأصبح مسلما منذ ذلك اليوم " وأشرقت شمس الإسلام ومحت بنورها ظلام الكفر ...... ولكي ينشر هذا الدين بين رعاياه اتفق تغلق ، ورشيد الدين على ان يستقبل الملك الأمراء واحدا واحدا ويعرض عليهم الاسلام فمن قبله جُوزي الجزاء الحسن ، ومن أباه ذبح كما يذبح الوثنيون ، وعباد الأصنام " وكان اول من عرض عليه منهم الأمير " تولك Tiluq فقال له الخان " الا تدخل في الاسلام ؟ " عند ذلك سالت عبرات الأمير وقال (قد دخلت في الاسلام منذ ثلاث سنين على يد احد رجال الدين في "كاشغر" واصبحت مسلما منذ ذلك الحين ، ولكني لم أُصرح بذلك خوفا منك " فنهض " تغلق خان " وعانقه ثم جلس ثلاثتهم ، وهكذا عرض الاسلام على سائر الأمراء فقبلوه جميعا الا واحدا منهم اسمه "جراس" Jaras فقد ابى ان يدخل في هذا الدين ، واقترح عقد إمتحان في القوة الجسمانية بين الشيخ وخادمه " خادم ذلك الشخص الذى أبى الأسلام " وكان ضخم الجثة وقد بلغ من شدة قوته أنه كان يستطيع ان يرفع بيديه جملا ثنيا (ابن حولين) فقبل الشيخ المبارزة وقال لذلك الأمير " اذا لم اصرعه فلن اطلب اليك ان تدخل في الاسلام ، واذا قضت ارادة الله ان ينال المغول الشرف ببركة هذا الدين فانه سوف يهب لي بلا ريب ، قوة استطيع بها ان اظهر على هذا الرجل " وقد حاول تغلق وغيره من الذين اعتنقوا الاسلام جهدهم ان يصرفوا ذلك الشيخ الورع عن تلك المبارزة ولكنه أصر على ذلك . واحتشد الناس وأتي بذلك الكافر ووقف كل منهما امام الاخر ، فتقدم الخادم في غير اكتراث اعتزازا بقوته وبدا الشيخ صغيرا ضعيفا جدا بجانب ذلك الرجل ، ولم يكد يبدأ الصراع بينهما حتى

وكز الشيخ الكافر وكزة قوية في صدره فسقط مغشيا عليه ، وبعد قليل عاد الخادم المصارعة ولكنه لم يكد ينهض حتى سقط على اقدام الشيخ وصاح بكلمة الايمان فاكبر الناس ذلك الانتصار وعلت اصوات الاستحسان من كل مكان ، وفي ذلك اليوم قص ١٦٠٠٠٠ر رجل شعورهم [١] ودخلوا الاسلام ، واخذت الدهشة من الخان كل مأخذ . وبدد نور الاسلام غياهب الكفر " وأصبح الدين الاسلامي دين سكان الحضر في الولايات الخاضعة لسلطان خلفاء "جغتاي" [٢]

ولكن يبدوا ان كثيرا من بدو المغول لم يعتنقوا الدين الاسلامـــي وبقوا على وثنيتهم حتى بداية القرن الخامس عشر الميلادى وقد استعمل محمد خان امير مغالستان [٣] ٨١٩ هـ (١٤١٦م) وسائل عنيفة جدا في سبيل تحويل البدو الى الاسلام وكان محمد خان اميرا ثريا حسن الاسلام نهـــج منهج العدل وسلك سبيل المساواة بين الناس ، ولم يفتر عن بذل هذه الجهود حتى اصبحت معظم القبائل المغولية في عهده المبارك تدين بالاسلام ، وقـد عرف الناس هذه الوسائل الشديده الحرج التي تذرع بها لحمل المغول على الدخول في الاسلام مثال ذلك انه كان اذا لم يلبس أحد المغول عمامة انفذ في رأسه مسمارا من المسامير التي تستعمل في تركيب حذوة الحصان وذاع استعمال هذا النوع من الوسائل الشديدة . جزاه الله خيرا . [٤]

---

١. كانت عادة المغول ارسال شعورهم وكان قص الشعر رمزا للتحول عن دين المغول .

٢. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٧-٢٦٨ نقلا عن ابي الغازى ص١٦٦-١٦٨ (محمد حيدر ص ١٣ -١٥) .

٣. لما انحلت قوة خانات جغتاى غدا جزء منا لقسم الشرقي من مملكتهم مستقلا استقلالا عمليا تحت اسم (مغالستان) وهي مملكة زراعية تلائم عادات رعاة البدو وتسمى الآن تركستان الصينيه (ارنلد :الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٨) .

٤. المصدر السابق ص٢٦٩ ويعزه الى محمد حيدر ص٥٧-٥٨

وقد تصح هذه الحادثة او تكون من المبالغات التى تشاع بيـــــن الناس ، وتصاحب التحولات الكبرى خاصة بين هذه الشعوب الوثنية البدائيـه الغليظة ولكنها على كل تدل على انه كان من الضروري استعمال بعـــــض الوسائل العنيفة المناسبة لطبائع القوم في ذلك الوقت . وان لم تصل الى هذا الحد الغليظ الذى جاء في الخبر السابق .

ومن هذا العرض الموجز نستطيع ان نقول ان المغول الجغتائييـن أصبحوا مسلمين أو على الاقل أولئك الذين كانوا يسكنون الحضر منهم وبدأوا يتحملون تبعات الدعوة الاسلامية بين الشعوب المجاورة سواء كانوا من بدو المغول او من غيرهم .

المبحث الخامس:

الملوك الذين اسلموا من مغول إيران وما قدموه للاسلام

أولاً: احمد تكودار (٦٨١ - ٦٨٣ هـ ١٢٨٢ - ١٢٨٤م)

اعلن " تكودار بن هولاكو " اعتناقه للاسلام وسمى نفسه بـ " احمد تكودار " رغم كل المغريات وحمل على عاتقه نشر هذه الدعوة بين بني جنسه والمسلمون المسحوقون في هذه البلاد لا حول لهم ولا طول ، ولا سيوف في أيديهم ولا رماح ترغم بها الناس او ملوكهم على اعتناق الاسلام والانخراط في سلك الدعوة الاسلامية . انها ارادة الله التي تعهدت بحماية هذا الدين والحفاظ عليه ، " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ "(١) .

وقد حاول " احمد تكودار " ان يدخل مغول ايران في الاسلام ، واتبع طريق الشدة والعنف اولا ، ثم التحريض والملاينة بعد ذلك ، وكان من اثر عمله هذا ان اعتنق عدد كبير من رعيته المغولية الاسلام . (٢)

ثم قام " تكودار احمد " بارسال كتاب الى سلطان مصر يتجلى فيه حرصه على الاسلام والمسلمين ، وعلى تعريف اخوانه المسلمين في مصر بانه دخل الاسلام ، واصبح بذلك اخا لهم . يقول في كتابه " الى سلطان مصر أما بعد ، فان الله سبحانه وتعالى بسابق عنايته ونور هدايته ، قد ارشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثة الى الاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته والشهادة لمحمد عليه افضل الصلاة والسلام ، بصدق نبوته ، وحسن الاعتقاد في اوليائه الصالحين من عباده وبريته " فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره

---

١. سورة الحجر آية ٩

٢. الدكتور مصطفى طه بدر: مغول ايران بين المسيحية والاسلام ص ١٢

للاسلام (١) ، فلم نزل نميل الى اعلاء كلمة الدين ، واصلاح امور المسلمين . (٢)

---

١ . سورة الانعام آية ١٢٥

٢ . وهذا نص الرسالة : (بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله تعالى باقبال قا آن ، فرمان احمد الى سلطان مصر .

أما بعد : فان الله سبحانه وتعالى بسابق عنايته ، ونور هدايته قد كان ارشدنا في عنفوان الصبا وريعان الحداثه الى الاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته ، والشهادة بمحمد عليه افضل الصلوات والسلام بصدق نبوته وحسن الاعتقاد في اوليائه الصالحين من عباده وبريته " فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام " . فلم نزل نميل الى اعلاء كلمة الدين واصلاح امور الاسلام والمسلمين الى ان أفضى بعد أبينا الجيد واخينا الكبير نوبة الملك الينا ، فافاض علينا من جلابيب الطافه ولطائفه ما حقق به آمالنا في جزيل آلآئه ، وعوارفه وجلا هذه المملكة علينا واهدى عقيلتها الينا ، فاجتمع عندنا في قوريلتالي (مجلس السلطنه الذى يختار الحكام ويفصل في معضلات الامور) المبارك - وهو المجمع الذى ينقدح فيه الآراء - جميع الاخوان والاولاد والامراء الكبار ومقدمو العساكر وزعماء البلاد ، واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم اخينا الكبير في انفاذ الجم الغفير من عساكرنا التي ضاقت الارض برحبها من كثرتها ، وامتلأت الارض رعبا لعظيم صولتها ، وشديد بطشهم الى تلك الجهة ، بهمة تخضع لها شم الاطواد ، وعزمة تلين لها صم الصلاد ، ففكرنا فيما تمخضت زبدة عزائمها عنه ، واجتمعت اهواؤهم وارا ؤهم عليه ، فوجدناه مخالفا لما كان في ضميرنا من اقتناء الخير العام الذى هو عبارة عن تقوية شعائر الاسلام وألا يصدر عن اوامرنا - ما امكننا - الا ما يوجب حقن الدماء وتسكين الدهماء وتجري به في الاقطار رخاء نسائم الأمن والأمان ، ويستريح به المسلمون في سائر الامصار في مهاد الشفقة والاحسان ، تعظيما لامر الله وشفقة على خلق الله ، فالهمنا الله تعالى

ويمضي فيخبر سلطان مصر بنية اخوانه واولاده والامراء والكبراء برغبتهم في القتال ، وبانهم يحثونه على ذلك معتمدين على اعداد جيوشهم الكبيرة وعلى

= اطفاء تلك النائره وتسكين الفتن الثائره ، واعلام من اشار بذلك الرأي بما ارشدنا اليه : من تقديم ما يرجى به شفاء مزاج العالم من الادواء ، وتأخير ما يجب ان يكون آخر الدواء . واننا لا نحب المسارعة الى هز النصال للنضال الا بعد ايضاح المحجة ، ولا نأذن لها الا بعد تبيين الحق وتركيب الحجة ، وقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعي الصلاح وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح اذكار شيخ الاسلام قدوةالعارفين كمال الدين عبد الرحمن الذى هو نعم العون لنا في امور الدين ، فاصدرناه ، رحمة من الله لمن دعاه ، ونقمة على من اعرض عنه وعصاه ، وانفذنا أقضى القضاة قطب الملة والدين ، والأتابك بهاء الدين اللذيْن هما من ثقات هذه الدولة الزاهرة ليعرفاهم طريقتنا ، ويتحقق ما تنطوي عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا ، وبينا لهم أننا من الله على بصيرة ، وان الاسلام يجب ما قبله ، وأنه تعالى القى في قلبنا ان نتبع الحق واهله ، ويشاهدون عظيم نعمة الله على الكافة بما دعانا اليه : من تقديم اسباب الاحسان ، ولا يحرموها بالنظر الى سالف الاحوال ، فكل يوم هو في شأن ، فان تطلعت نفوسهم الى دليل تستحكم بسببه دواعي الاعتماد وحجة يثقون بها من بلوغ المراد ، فلينظروا الى ما ظهر من مآثرنا ، ما اشتهر خبره وعم اثره ، فاننا ابتدأنا - بتوفيق الله تعالى - باعلاء اعلام الدين واظهاره ، في ايراد كل امر واصداره تقديما - واقامه نواميس الشرع المحمدي على مقتضى قانون العدل الاحمدي اجلالا وتعظيما وادخلنا السرور على قلب الجمهور ، وعفونا عن كل من اجترح سيئة او اقترف وقابلناه بالصفح وقلنا : عفا الله عما سلف . وتقدمنا باصلاح امور اوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس ، وعمارة بقاع البر والربط الدوارس ، وايصال حاصلها بموجب عوائدها القديمة

شجاعتهم النادرة فيقول : " فاجتمع عندنا " القوريلتاي " وهو المجتمـــــع
الذى تقدح فيه الاراء - جميع الاخوان والاولاد والامراء والكبراء ، ومقد مــو

= الى مستحقيها بشروط واقفيها ،ومنعنا ان يلتمس شيء مما استحدث
عليها ، والا يغير احد مما قرراولا فيها . وامرنا بتعظيم امر الحاج
وتجهيز وفدها وتأمين سبلها وتيسير قوافلها . وانا اطلقنا سبيـــل
التجار المترددين الى تلك البلاد ليسافروا بحسن اختيارهم علـــى
احسن قواعدهم ، وحرمنا على العساكر والقراغول (كلمة مغولية معناها
حراس الطرق) والشحاني (جمع شحنة) في الاطراف التعرض بهم
في مصادرهم ومواردهم . وقد كان صادف قراغولنا جاسوسا في زي
الفقراء كان سبيله مثله ان يهلك ، فلم يهرق دمه لحرمة ما حرمه اللــه
تعالى ، وأعدناه اليهم ، ولا يخفى عليهم ماكان في انفاذ الجواسيس
من الضرر العام للمسلمين ، فان عساكرنا طالما رأوهم في زي الفقراء
والنساك واهل الصلاح ، فساءت ظنونهم في تلك الطوائف فقتلوا منهم
من قتلوا وفعلوا بها ما فعلوا . وارتفعت الحاجة ، بحمد الله تعالى
الى ذلك بما صدر اذننا به من فتح الطريق وتردد التجار وغيرهم فاذا
امعنوا الفكر في هذه الامور وامثالها لا يخفى عليهم انها اخلاق جِبلّية
طبيعية ، وعن شوائب التكلف والتصنع عرية ، واذا كانت الحال على ذلك
فقد ارتفعت دواعي المضرة التي كانت موجبة المخالفة ، فانها كانـــت
بطريق الدين والذب عن حوزة المسلمين . فقد ظهر بفضل الله تعالى
في دولتنا النور المبين . وان كانت لما سبق من الاسباب ، فمن تحرى
الآن طريق الصواب فان له عندنا لزلفى وحسن مآب . وقد رفعنـــا
الحجاب واتينا بفصل الخطاب ، وعرفناهم ما عزمنا عليه بنية خالصـــة
لله تعالى على استئنافها ، وحرمنا على جميع عساكرنا العمل بخلافها
نرضي بها الله والرسول وتلوح على صفحاتها آثار الاقبال والقبول .
وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الامة ، وتنجلي بنور الائتلاف ظلمـــة
الاختلاف والغمة . فتسكن في سابغ ظلها البوادي والحواضر وتقـــر

العساكر ، وزعماء البلاد ، واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم اخينا الكبير في انفاذ الجم الغفير من عساكرنا التي ضاقت الارض برحبها من كثرتها ، وامتلائت الارض رعبا من عظيم صولتها وشديد بطشها الى تلك الجهة بهمة تخضع لها صم الاطواد وعزمة تلين لها الصم الصلاد ".

ولكن دينه الجديد يمنعه من قتال اخوانه وسفك دماء الأبرياء ويجعله حريصا أشد الحرص على الحق ونصرته واقتفاء الخير الذى يعم الجميع ويشرحه بانه عبارة عن تقوية شعار الاسلام مستعينا بالفقهاء والعلماء الذين يثق بدينهم فيقوى عزمه بهم فيقول : " ففكرنا فيما تمخضت زبد عزائمهم عنه واجتمعت اهوائهم عليه فوجدناه مخالفا لما كان في ضميرنا من اقتفاء الخير العام ، الذى هو عبارة عن تقوية شعار الاسلام ، وأن لا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا الا ما يوجب

= القلوب التي بلغت من الجهد الحناجر ، ويعفى عن سالف الهنات والجرائر فان وفق الله سلطان مصر لاختيار ما فيه صلاح العالم وانتظام امور بني آدم فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى وسلوك الطريقة المثلى بفتح أبواب الطاعة والاتحاد ، وبذل الاخلاص بحيث تنعمر تلك الممالك والبلاد وتسكن الفتنة الثائرة وتغمد السيوف الباترة وتحل الكافة ارض الهوينى وروض الهدون (السلم والطمأنينة) وتخلص رقاب المسلمين من اغلال الذل والهون ، وإن غلب سوء الظن بما تفضل به واجب الرحمة ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة ، فقد شكر الله ساعينا وابلى عذرنا " وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا " .

والله الموفق للرشاد والسداد ، وهو المهيمن على البلاد والعباد وحسبنا الله وحده . كتب في أواسط جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وستمائه بمقام الاطاق) .

انظر: ـ المقرزى ـ السلوك ـ ج ١ ق ٣ ص ٩٧٧ ،

= ـ القلقشندى ـ صبح الاعشى ج ٨ ص ٦٥ -٦٨ ،

= الدكتور محمد ماهر حماده وثائق الحروب الصليبيه والغزو المغولي للعالم الاسلامي ص ٣٦٩ - ٣٧٣

حقن الدماء وتسكين الدهماء وتجرى به في الاقطار رخاء نسائم الأمن والأمان ، ويستريح به المسلمون في سائر الامصار في مهاد الشفقة والاحسان تعظيما لأمر الله وشفقة على خلق الله ، فألهمنا الله تعالى اطفاء تلك النائرة وتسكين الفتن الثائرة ، واعلام من اشار بذلك الراى بما أرشدنا اليه من تقديم ما يرجى به من شفاء مزاج العالم من الأدواء ، وتأخير ما يجب ان يكون آخر الدواء . واننا لا نحب المسارعة الى هز النصال للنضال ، الا بعد ايضاح المحجة ولا ناذن لها الا بعد تبين الحق وتركيب الحجة ، وقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعي الصلاح وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح ، إذ كان الشيخ قدوة العارفين (كمال الدين عبدالرحمن) الذى هو نعم العون لنا في أمور الدين ، فاصدرناه رحمة من الله لمن (لبى) دعاه ، ونقمة على من أعرض عنه وعصاه " . (١)

ثم يرسل هذا الكتاب مع أناس فقهاء وقضاة مشهورين ليكونوا شاهدين على حسن اسلامه ، وليطيبوا نفوس المسلمين من آثار الجرائم التي كان قد ارتكبها أسلافه معتمدين على أن الاسلام يجب ما قبله .

ثم يحاول أن يبين الأدلة التي تجعل المسلمين يحسنون الظن في دينه وحسن اسلامه وأنه عمر المساجد وأصلح أمور الأوقاف .

ثم يذكر الجواسيس الذين كانوا يلبسون زى الفقراء أو يظهرون بمظهر الزهاد والنساك ، ويذكر أن مصيرهم كان القتل قبل أن يتولى الحكم أما هو فقد أمر بالعفو عن أحدهم ، ويؤكد أن ذلك العمل جلب الشك والريبة على عباد الله المخلصين ، وسبب الضرر للمسلمين ، وأضاف أنه إذا كان ذلك العمل ضروريا لحماية المسلمين والاستعداد للدفاع عنهم ، فقد زال السبب الذى دعا اليه

---

١ . المقرزى ـ السلوك ـ ج ١ ق ٣ ص٩٧٧

القلقشندى ـ صبح الاعشى ج ٨ ص٦٥ ـ ٦٨

بدخول " أحمد تكودار " الاسلام .

وبعد ذلك يدعو الى المهادنة والسلام حتى يستريح المسلمون بعد العناء الطويل والمعاناة ، بل ويلتمس محالفة سلطان مصر .

ويؤكد أخيرا أنه إنما قصد بتلك الرسالة المعذرة الى الله فان صدقها سلطان مصر فقد انتفع المسلمون ، وإن أساء الظن فيه فإن الله سبحانه سيجزيه خيرا وسيجد له العذر إذا رفضت مقترحاته فيقول : " وان غلب سوء الظن بما تفضل به واجب الرحمة ، ومنع عنه معرفة قدر هذه النعمة ، فقد شكر الله مساعينا وأبلى عذرنا ، " وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا " (١) (٢)

وقد علق المؤرخ البريطاني " ارنلد " على هذه الوثيقة قائلا : -

" وإن من يدرس تاريخ المغول ليرتاح عندما يتحول فجأة من قراءة ما اقترفوه من الفظائع ، وما سفكوه من الدماء ، الى أسمى عواطف الإنسانية ، وحب الخير التي أعلنت عن نفسها في تلك الوثيقة التاريخية التي كتبها " تكودار احمد " الى سلطان المماليك في مصر والتي يدهش الانسان لصدورها من ذلك المغولي) (٣)

ولكننا لا ندهش من ذلك ، فان الاسلام هو دين الله ، ودين الحق والفطرة السليمة ، وهو الذى حول أجلاف البادية العربية وغيرها الى أئمة حق ودعاة صدق ، ورجال دعوة ، أنضاء(٤) عباده ، وأطلاح (٥) سهر يبكون من خشية الله تعالى .

---

١ . سورة الاسراء الاية ١٥

٢ . المقرزى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٩٧٧ ، القلقشندى : صبح الاعشى ج ٨ ص ٦٥ - ٦٨

٣ . ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٣

٤ . انضاء : جمع نضو وهو الهزيل من كثرة العبادة - المعجم الوسيط ص ٩٣٨

٥ . اطلاح : جمع طليح وهو المهزول والمجهود من طول السهر المعجم الوسيط ص ٥٦٧

أعداء الاسلام يثيرون الفتن

ولكن اعداء الدعوة الاسلامية الذين هالهم ان تضيع مجهوداتهم الضخمة هباء منثورا عندما رأوا الاسلام يقف قوة هائلة في قلوب الذين بنوا عليهم الآمال الكبار أن يحطموه ويقضوا عليه . بدأوا يخططون من جديد لإثارة الفتنه ، ولإشغال نار الحرب مرة أخرى فأثاروا على تكودار عددا من الأمراء وذهبوا الى " قوبيلاى " - الخان الأكبر للمغول - يشكونه اليه متهمينه بمخالفة دين آبائه وأجداده ، ثم تزعم ابن أخيه " أرغون " ثورة ضده انتهت بقتل " احمد تكودار " واستيلاء " أرغون " على العرش وبهذا استرد النصارى مكانتهم من جديد ، وقد لقي المسلمون الإضطهاد " فصرفوا عن كافة المناصب التي كانوا يشغلونها ، القضاء ، والمالية ، وحرم عليهم " أرغون " الظهور في بلاطه وبذل " بايدو " جهده في وضع العقبات في طريق الدعوة الإسلامية بين المغول فحرم على أى شخص أن يدعو لذلك الدين ، أو ينشر عقائده بينهم . (١)

ورغم ذلك فإن انتصار أعداء الدعوة الإسلامية ، لم يكن حاسما في بلاد فارس ، فإنه لم يكن في وسع " كيخاتو " و" بايدو " إلا أن يداروا الاسلام ويحاولوا أن يخفوا حقيقة نواياهم ، وميولهم نحو النصرانية عن المسلمين ، ويؤيد صحة هذا القول أن " كيخاتو " أعفى العلماء المسلمين ، وآل البيت من دفع جميع الضرائب على اختلافها (٢) بالرغم من أن خلفاء " أحمد تكودار " وهم " أرغون " وكيخاتو " و " بايدو " كانوا أعوانا للنصارى ويعطفون عليهم حتى أن بايدو

---

١. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٣

٢. القلقشندى : صبح الاعشى ج ٥ ص ٤٢٠ - تاريخ ابن خلدونج ٥ص٥٤٦

كان يكثر من الاجتماع بـ " دسبينا " - زوجة أباقا سلف تكودار وابنة "ميشيل باليولوغوس" الامبراطور البيزنطي - ويقال أن " بايدو " كان يعلق صليبا فخما في عنقه ، وأنه سمح للنصارى بأن تكون لهم كنائس ، وأن يدقوا أجراسهم في معسكره (١) بالرغم من ذلك كله فإن الدعوة الإسلامية سارت في طريقها بخطوات حثيثه ، وكثر عدد المسلمين بين المغول اضف الى ذلك أن "بايدو" الذى كان يعلق صليبا في عنقه لم يتنصر ولم يكن يجسر على اظهار عداوته للمسلمين ، وكان يحاول مراضاتهم ولذلك نجده يرسل ابنه ليصلي معهم كما يصلون .

على كل حال فإن المؤرخين قد أجمعوا على هذه الحقيقة الهامة وهي أن كثيرين من المغول في عهد "بايدو" اعتنقوا الاسلام وأصبحوا يؤدون فروضه . (٢)

---

١ . دكتور مصطفى طه بدر : مغول ايران بين المسيحية والاسلام ص ١١

٢ . نفس المصدر ص ١٤ (نقلا عن تاريخ وصاف ج ٣ ص ٣١٤) .

ثانيا : محمود غازان (٦٩٥ - ٧٠٤هـ ١٢٩٥ - ١٣٠٣م)

كان " غازان " بوذيا قبل ان يعتنق الاسلام ، وقد بنى للبوذيين معابد عديدة في خراسان ، وكان يسره ان يصاحب الكهنة الذين ينتمون الى هذا الدين ، والذين كانوا قد وفدوا الى بلاد فارس في جماعات كثيرة منذ بسط المغول سلطانهم في تلك البلاد (١) .

وقد جاء اعتناق " غازان " للاسلام عن طريق قائده " نوروز " (٢) الذى الح عليه كثيرا وقد هداه الله للاسلام بعد ان سلك معه قائده خطوات اربعة .

اولها : اشترط " نوروز" على " غازان " ان يعده باعتناق الاسلام اذا اراد منه الاخلاص له ، فوعده " غازان " بذلك .

ثانيا : عندما سار مع " غازان " الى مدينة (سلطان دوين) ، ووصل الخبر بان (بايدو " قد خرج على كيخاتو (انظر اسرة جتكيز خان وخلفائه صفحة) واجتمع القواد في " سلطان دوين " للتشاور فيما يجب ان يتخذوه من الاجراءات للثار من " بايدو " عند ذلك وعد " نوروز" "غازان " بمساعدة واشترط عليه ان يعتنق الاسلام ، وقد قال "نوروز " لغازان : - " ان أملي كله ينحصر في ان اجلس - بمشيئة الله - الامير خادم السماء على عرش العالم ، وان ارفع " بايدو " الكافر عن هذا العرش ويشترط لذلك ان يتقلد الملك قلادة الاسلام ، فقد قال

---

١ . ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٣

٢ . نوروز : كان أحد قادة غازان المسلمين ، عرض عليه الإسلام ورغّبه فيه حتى لقد أجمع المؤرخون على أنه سبب اعتناق غازان للإسلام
(مغول إيران بين المسيحية والإسلام ص ١٤)

بعض الحكماء: "الدين والملك توأمان ، والدين هو الاصل ، والملك حارس له ومالا اصل له مهدوم ، ومالا حارس له ضائع" (١)

ثالثا : عندما اجتمع "غازان" بمنافسة "بايدو" واتفق معه على اقتسام املاك الدولة بينهما ، ورغم اجتماع قواد "غازان" في "قربان شيره" ليظهروا ولاءهم له ، فقد انتاب القلق "غازان" لحضور جيوش "بايدو" وعزم على الفرار ، والعودة الى خراسان . عند ذلك طلب "نوروز" من "غازان" اعتناق الاسلام وقال له : "انه اذا فعل ذلك اجتذب قلوب المسلمين نحوه" وقد وعده "غازان" باعتناق الاسلام حالما يتغلب على خصمه" وعند ذلك أهداه "نوروز" ياقوته عظيمة زنتها عشرة مثاقيل ، ورجاه أن يحتفظ بها تذكارا للوعد الذى أعطاه له (٢)

رابعا : وقد استغل "نوروز" جميع الوسائل المادية والمعنوية لجعل "غازان" يعتنق الاسلام فبعد أن أطلق "بايدو" سراحه حضر مجلسا "لغازان" فقال له "ان الفلكيين والمتنبئين والعرافين اعلنوا انه سيظهر حوالي سنة ٦٩٠هـ (١٢٩١م) ملك يحمي الاسلام ويعيد له مجده الغابر ، ويسعد اهله ، ويتمتع بالعرش سنوات عديده ، وقد اعتقدت دائما يامولاى انك أنت المشار اليه في هذه النبوءة ، فاذا اعتنقت الاسلام صرت سيد ايران ، وأصبح المسلمون - وقد رفعتهم من حالة الذل التي يئنون فيها تحت نير "التتار" الوطنيين - وقد كرسوا حياتهم لمصلحتك ، وبارك الله في اسلحتك وهو جل شانه يعلم أنك

---

١. الدكتور مصطفى طه بدر : مغول ايران بين المسيحية والاسلام ص١٤

٢. نفس المصدر ص ١٥

ستنقذ الدين الحق من دمار شامل "(١)

فاحضر "غازان" الياقوته التي كان يحتفظ بها واعلن اعتناقه للاسلام وكان ذلك في اليوم الرابع من شعبان سنة ٦٩٤هـ (١٩ يونيه ١٢٩٥م) ولا يهمنا كثيرا من الذى لقنه عبارات التشهد ، ولكن يهمنا أن نعرف أن جميع الأمراء والقادة والجنود - الذين حضروا الاحتفال بإعلان اسلامه - قد أسلموا وتقول بعض المصادر التاريخية أن عددهم بلغ مائة الف (٢) وقد وزع بهذه المناسبة كثيرا من العطايا على المشايخ والسادات ، ثم توجه الى الله بالدعاء بأن ينصره على أعدائه ، وأرسل نبأ اسلامه الى العراق ، وخراسان وصام شهر رمضان كله في ذلك العام .

وقد حاول بعض المؤرخين والفقهاء وعلى رأسهم شيخ الاسلام ابن تيميه التشكيك في اسلام "غازان" فقال بعضهم انه كان ينشد مصلحته السياسية الخاصة بالحصول على مساعدة المسلمين له ضد عدوه "بايدو" ورغب في الاستجابه لتوسلات قائده ، ويعتمد الفقهاء في تشكيكهم ذلك على الحادثة التي تقول بانه هم بالارتداد عن الاسلام عندما علم بأن الاسلام يحرم الزواج بمن تزوج الاب بهن من النساء ، وان احدى زوجات ابيه كانت محببة الى نفسه وقد سر كثيرا عندما أفتاه أحدهم بأن والده كان كافرا ، وأن زواجه بتلك المرأة كان سفاحا ، وأجاز له بأن يعقد عليها ويبقى على اسلامه ، كما ويستدلون على زيف اسلامه بضراوة الحرب التي شنها على المسلمين في بلاد الشام ، الا انه حتى ليقوم بتلك الحرب اضطر الى الحصول على "فتوى" لتبريرها وفي

---

١٢ دكتور مصطفى طه بدر : مغول ايران بين المسيحية والاسلام ص ١٥

٠٢ نفس المصدر ص ١٩ (ويعزوه الى حبيب السير م٣ ج ١ ص ٨٣)

ذلك يقول الشيخ تقي الدين بن تيميه انه اجتمع بأحد التتار الأتقياء وسأله عن السبب في خروجه لقتال المسلمين ؟ فقال له " أفتانا شيخنا بتخريب الشام وأخذ أموالهم لأنهم ما يصلون الا بأجرة ، ولا يؤذنون الا بالأجرة ، ولا ينفقون إلا بالأجرة ، وقال لنا إذا فعلتم ذلك بهم يرجعون إلى الله ويتوكلون عليه (١) .

وقد تصدى المؤرخ رشيد الدين للدفاع عن صحة إسلام " غازان " وأتى بأدلة قوية تؤكد حسن إسلامه ، وربما كان قد حسن اسلامه بعد ان تمكنت الدعوة من قلبه ، وان جهله بقواعد الاسلام اول الامر جعله يتصرف تصرفات بعيدة عن الاسلام .

والذى يهمنا في هذا الموقف أثر إسلام غازان على الدعوة الاسلامية فقد تبين لنا أن إسلام " غازان " حقق للإسلام الأمور التالية : -

اولا : أصبح الإسلام دين الدولة الرسمي ، وبهذا زال الحاجز الذى كان يحول بين الحكام والمحكومين ، وبدأ الحكام يعطفون على رعاياهم ويعملون على إرضائهم وحسن معاملتهم كما وأنهم أزالوا جميع العقبات التي كان يضعها الخانات الوثنيون السابقون أمام الدعوة الإسلامية ، وقد تقدمت العلوم الاسلامية في عهد غازان وكثر إنشاء المدارس الإسلامية ويكفي للدلالة على مدى تقدم العلوم الدينيه الاسلامية ان نقول ان وزير غازان المشهور (رشيد الدين) ألف مؤلفات دينية كثيرة منها اربعة مؤلفات قيمة توجد في مجلد واحد يعرف باسم " المجموعة الرشيدية "(٢) .

وقد أصدر غازان مرسوما - في بداية عهده - متأثرا " بنوروز " أمر فيه المغول والويغور باعتناق الاسلام ، والانقياد للشريعة الاسلامية وكان لهذا

---

١ . د . مصطفى طه بدر : مغول ايران بين المسيحية والاسلام ص ٤٦

٢ . نفس المصدر ص ٤٨

المنشور أثره في اعتناق المغول الاسلام ، وحذوا حذو غازان فبنيت المساجد بكثرة في المدن والقرى ، وزادت الأوقاف الاسلامية كما واصبح اسم الله يذكر في مفتتح الأوراق الرسمية (١) .

وقد زاد عدد المساجد في عهد "غازان" لأنه ايضا حول عددا من الكنائس والبيع والمعابد البوذية الى مساجد اسلامية ، كما أمر ببناء المساجد والحمامات في القرى المنتشرة في امبراطوريته ، عندما علم أنه لم يكن يوجد بها مساجد أو حمامات وأن الناس كانوا لا يستطيعون ان يتعبدوا كما يجب ، أو يؤدوا أحكام الوضوء ، وقد نفذ أمره هذا في مدى سنتين وأصبحت أجور الحمامات تخصص للصرف على المساجد . (٢)

ثانيا : أصبح قادة الجيش ، والوزراء والأعوان والقضاة من المسلمين واختفى القساوسة النصارى ، والكهنة البوذيون من البلاط الملكي تقريبا ، وارتاح المسلمون من مؤامراتهم ودسائسهم .

ثالثا : حارب غازان المظالم التي كان يقوم بها بعض أعوان الخاصة الملكية ضد أفراد الشعب ، كتلك الاعتداءات التي كان يقوم بها ضباط الصيد الذين كانوا يقيمون في بلاط الايلخانات للمحافظة على طيور الصيد ، كذلك خلص الناس من مظالم سائقي البغال ، والجمال الذين كانوا يستولون على أموالهم وحاجياتهم (٣)

رابعا : حارب "غازان" الخمر والذين يشربونها ، فقد اتخذ في هذا السبيل وسائل عملية فأمر أن يقبضوا على كل شخص يجدونه في حالة سكر ويربطوه الى شجرة

---

١ . د . مصطفى طه بدر : مغول ايران بين المسيحية والاسلام ص ٤٦

٢ . نفس المصدر ص ٤٧

٣ . نفس المصدر ص ٤١ (ويعزوه الى حبيب السير م ٣ ج ١ ص ١٠٤)

في الطريق حتى يتعرض لإهانات المارة وتأنيبهم عقابا لـه وردعا لأمثالـه.
خامسا : حارب الربا ، فقد أصدر مرسوما يحرم فيه على أى مخلوق أن يأخذ أو يعطي فيمابعد نقودا بفائدة ، ويهدد كل شخص يخالف الشرع الشريف ، والأمر الايلخاني (الملكي) بالعقاب .
سادسا : حارب البغاء ، وعالج مشكلته من أساسها فحرم بيع البنات - الذى كان قد انتشر قليلا في عهد المغول - وحرم اجبارهن على مزاولة هـذه المهنة .
سابعا : حارب ألفاظ الكفر فقد أصدر الأوامر بألا يتكلم الناس الاحاديث التي منشؤها التيه والكبر ، وأن ينسبوا الخير فيما يأتونه الى فضل الله سبحانه وتعالى ، وأن يعلموا أن كل شر ينزل بهم ما هو الا نتيجة أخطائهم وسوء تصرفاتهم ، وأمر بأن ترسل تلك الأوامر مكتوبة الى جميع الولايات ليعلمها الناس ويعملوا بمقتضاها . (١)

وقد وزع الصدقات في عهده بسخاء عظيم ، وخصص اعتمادات مالية كبيرة لشئون الحج الى مكة ، واصدر سنة ٦٩٩ هـ(١٣٠٠م) مرسوما فرض فيه للسادة والأئمة وخدام الكعبة حقوقهم ، وعين أحد الامراء قائدا عاما لقوافل الحج ، وسير حرسا مؤلفا من الف فارس بضباطهم للمحافظة على الحجاج وأرسل كساء للكعبة ، وخصص لمشايخ العرب في مكة والمدينة مبلغ اثنى عشر تومانا من الذهب . (٢)

من العرض السابق يتبين لنا مدى الخدمات الجليلة التي قدمت للاسلام والمسلمين في هذا الجزء من العالم الاسلامي في عهد "غازان " وأنه

---

١ . د . مطفى طه بدر : مغول ايران بين المسيحية والاسلام ص٤٤ (ويعزوه الى حبيب السير ٣ ج ١ ص ٩٤ - ٩٦)
٢ . نفس المصدر ص ٤٨

-رغم ما أُثير حول إسلامه من شبهات - قد خدم الدعوة الاسلامية خدمة عظيمة لم يسبقه لها أَحد من ملوك المغول السابقين في إيران من الإيلخانيين .

ثالثا : محمد خدابنده (أولجايتو)(٧٠٤ - ٧١٧هـ ١٣٠٤ - ١٣١٧م)

كان " اولجايتو " خدا بنده - ثامن ايلخانات فارس - قد عمدته أُمه مسيحيا ولكنه أَسلم عند ما كبر بتأثير احدى زوجاته وتسمى بـ " محمد خدانبده " ، واتخذ له لقبا إسلاميا " غياث الدين والدنيا " ووليَ الحكم بعد موت أَخيه " محمود غازان "، وكان هواه مع الشيعه أُول الأَمر ، وحاول ارغام اصحاب المذاهب الاخرى على السير على المذهب الشيعي ، فحدثت قصة غريبة مع القاضي مجد الدين (١) ترك على أُثرها لأُصحاب المذاهب الأُخرى حرية السير على مذاهبهم ، ثم إنـــه اتبع مذهب أهل السنة ، وحاول بعد ذلك أن ينشر في بلاده مذهب الامام الشافعي بدل مذهب الامام ابي حنيفه ، ولكنه عاد فصمم على اتباع مذهب الشيعة اثـــر زيارته لقبر الإمام علي رضي الله عنه كما تدل على ذلك احدى مسكوكاته . (٢)

وكان محمد خدانبده رجلا فاضلا حر الراى وقد عني بمرصد مراغه ، كما شجع الحركة الادبية والتاريخية التي قام بها الوزير " رشيد الدين " والمؤرخ " وصاف الحضره " وسار على نهج أَخيه غازان . (٣)

---

١ . يقول ابن بطوطه في كتابه المشهور " رحلة ابن بطوطه " : بأُن السلطان أُمر بأن تكون صلاة الجمعة على طريقة الروافض فرفض الناس ذلك والتزم القضاة طريق أهل السنة في الخطبة متحدين الملك وأُوامره ، فارسل اليهم فكان القاضي "مجد الدين " قاضي شيراز أول من وصل فأمر به أن يلقى للكلاب المفترسة وعند ما فعلوا ذلك وقفت الكلاب أمامه وأخذت تبصبص اليه وتحرك أذنابها ولم تؤذه فبلغ ذلك السلطان فذهب اليه حافي القدمين وقبل قدمي القاضي وأكرمه وخلع عليه ثم رجع السلطان عن مذهب الروافض. (ابن بطوطه ج ١ ص ٢٢٦) .

٢ و ٣ دائرة المعارف الاسلامية م ٢ حرف الجيم ص ٥١١

ثم خلفه بعد ذلك ولده السلطان "أبو سعيد" الذى سار على نهج والده ، وبقي الاسلام دين الدولة عزيز الجانب .

وبهذا أصبح المغول في بلاد فارس يدينون بالاسلام ويحملون لواءه ويبلّغون رسالته في تركستان ، وسيبريا ، وجنوب روسيا والصين والهند . (١)

---

١ . المسلمون في تركستان الشرقية ، والغربية ، تحت السيطرة الشيوعية) محمود شاكر

الفصل الثالث (١)

المغول يحملون الإسلام لمن حولهم

المبحث الأول :

حملهم للدعوة في أوروبا وسيبيريا

أولاً : حملهم للدعوة في جنوب روسيا

قامت معارك دامية بين المغول وبين الروس احتل المغول على أثرها أجزاء كبيرة من جنوب روسيا واستوطنوها ، وقد فرض المغول الجزية على بعض الإمارات الروسية - وعلى رأسها إمارة موسكو نفسها - ثم تمكن الروس فيما بعد من هزيمة المغول ، واحتلوا البلاد التي استوطنوها وبدأوا يطردون ، المغول ويحلون الروس الاورثوذكس مكانهم ، فأخذ هؤلاء المطرودون ينشرون الاسلام بين القبائل الوثنية التي كانوا يمرون بها ، مما أثار حفيظة الروس عليهم ، فقرروا وقف تهجيرهم وارغامهم على اعتناق المذهب الاورثوذكسي ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل فقد كان هؤلاء المغول يعودون الى الاسلام وبشكل قوى واخلاص شديد بمجرد التوقف عن اضطهادهم (٢) ويرجع فشل الروس في تحويلهم الى النصرانية الى اخلاص القبائل المغولية للإسلام

---

١. بعد ان انتهت الفترة الزمنية المحددة لهذا البحث وجدت من الضرورى أن أشير - ولو بشكل موجز - الى بعض الأعمال التي قام بها المغول من حمل للدعوة الاسلامية الى الشعوب الاخرى ، وتمسك شديد بالإسلام رغم ما واجهوا في سبيل ذلك من صعاب اعتقادا مني بأن البحث لا يكمل إلا بهذا الفصل الموجز .

٢. محمود شاكر : المسلمون تحت الحكم الشيوعي ص ٦٦ - ٧٠

وعلى العكس من ذلك فقد لاحظت الحكومة الروسية بأنهم أخذوا ينشرون الإسلام بين النصارى الاورثوذكس أنفسهم . مما اضطر الحكومة الروسية إلى إصدار أمر بمعاقبة كل شخص تثبت عليه تهمة تحويل نصراني إلى الإسلام ، وذلك بتجريده من الحقوق المدنية ، وبحبسه ثماني سنوات مع الأشغال الشاقة ، ورغم ذلك فإن نشاط القبائل المغولية في الدعوة إلى الإسلام لم يتوقف فنجحوا في جذب قرى بأسرها إلى الدين الإسلامي - خاصة القبائل الروسية التي تقيم في الشمال الشرقي من البلاد . (١)

وقد لوحظ أن جميع الأفراد - حتى السذج والأميين - من القبائل المغولية كانوا يقومون بالدعوة إلى الإسلام ، ذلك لأن المسلم مكلف بتبليغ الدعوة إلى الآخرين في حدود مايعلم ، كما لوحظ أن الذين كانوا يمتهنون حياكة الثياب من الروس الاورثوذكس ويدخلون القرى الإسلامية ليباشروا صنعتهم كان يتعرض لهم دعاة الإسلام ويقنعونهم به ، وعند عودتهم يحملون الاسلام معهم الى ذويهم وأقاربهم في القرى النصرانية . (٢)

ويرجع نجاح المسلمين في الدعوة الاسلامية الى عوامل عدة ذكرناها في الباب السابق - أساليب ووسائل الدعوة الاسلامية (٣) - أضف الى ذلك ثم ما امتاز به دعاة الاسلام من خلق رفيع ، وشعور التآخي الذى يبديه المسلمون نحو إخوانهم ممن يدخلون في الإسلام ، وإقبال المسلمين على الإنفاق بسخاء في سبيل الله ، ولبناء المساجد التي اتخذت منارات لهداية البشر ، كل ذلك جذب أفواجا كثيره من القبائل التي كانت تسكن تلك المناطق من العالم الى هذا الدين

---

١ . ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٨٠

٢ . نفس المصدر ص ٢٨١

٣ . راجع ص من هذه الرسالة .

العظيم ،هذا في الوقت الذى لم تتوفر هذه الامتيازات في دعاة التنصر ، فقد كانوا ذوى أخلاق سيئة ،لا يشعرون نحو الذين يدخلون في دينهم بالشعور الذى يشعر به المسلمون ، ثم انهم كانوا يضنون بالأموال في سبيل نشر دينهم يقول : ارنولد : " . . .ان اكبر الفضل في نجاح هذه الدعوة يرجع الى مستوى الحياة الأخلاقية في المجتمع الإسلامي ، الذى كان أكثر رقيا ،كما يرجع أيضا إلى شعور التآخي الذى كان يشيع في هذا المجتمع والذى كان أكثر تماسكا وقوة ، أضف إلى ذلك أن الأساليب التي لجأ اليها رجال الكنيسة الروسية وايدتها الحكومة لتجعل تلك الطبقة التي كان يطلق عليها التتار (المغول) النصارى أكثر تمسكا بالدين ، فقد جعلت العقيدة النصرانية أمرا غير مألوف لديهم "(١) ويقول أرنولد في موضع آخر واصفا سخاء المسلمين في البذل :

" . . . وقد نستدل على امتداد حماستهم نحو الذين دخلوا معهم في الإسلام من احدى قرى الشوفاش النصرانية التي يمكن أن نتخذها مثلا في هذا الصدد فقد قضى قسيسها سنوات كثيرة في جمع ثلاثماية روبل Roubles كانت ضرورية لاصلاح الكنيسة ، وتحولت ثماني اسرات شوفاشيه الى الاسلام ،فجمع المسلمون الفي روبل في خلال بضعة أشهر لبناء مسجد (٢) " .

كما قام دعاة الاسلام بطبع عدد من المنشورات سنويا كانت سببا في ادخال قرى وثنية بأكملها في الإسلام وإعادة التتار (المغول) الذين تنصروا الى الاسلام ثانية ، ومن أهم تلك القبائل التي تأثرت بالدعوة الإسلامية قبيلة " الفوتياك Votiaks الذين عمدوا كنصارى ولكنهم أصبحوا مسلمين بعد ذلك وكذلك قبيلة " الشيريمس Cheremiss " .

---

١. الدعوةالى الاسلام ص ٢٨٠ -٢٨١

٢. نفس المصدر ص ٢٨٣ بتصرف

ومن الوسائل اللطيفة التي لجأت اليها القبائل المغولية - ومنها قبائل القرفيز - نشر الإسلام بالأغاني الشعبية التي كانت تحتوى على مبادىء الإسلام ، فكانت هذه المبادىء تصل إلى القلوب عن طريق تلك الأغاني (١)

١٠ ارنولد : الدعوةالى الاسلام ص ٢٨٤

ثانياً : حملهم الدعوة الاسلامية إلى سيبيريا

تقع سيبريا شرق اوربا الى سواحل المحيط الهادى ، في اقصى الشرق وشمال تركستان والصين الى المحيط المتجمد الشمالي ، وارضها واسعة وهي مناطق سهلية في الاجزاء الغربية ، واما اجزاؤها الشرقية فمعظمها جبلية وتسيل فيها المياه من الجنوب الى الشمال ، وتتجمد مياهها في فصل الشتاء لشدة البرودة . (١)

وقد كان دعاة الاسلام يخرجون من بخارى وسمرقند وغيرهما من مدن اسيا الوسطى الاسلامية زرافات ووحدانا لنشر الاسلام في تلك الاصقاع ، فكانوا يشقون طريقهم الى هناك بصعوبة متناهية وقد مات عدد كبير منهم في تلك المناطق الشديدة البرودة ، بسبب رداءة الطقس احيانا ، وبسبب الاضطهاد الذى كانوا يقابلونه هناك احيانا اخرى ، ولكن ذلك لم يثنهم عن المضي قدما في سبيل الله ذلك لانهم كانوا يبغون الشهادة في سبيل الله ، وهي اقصر طريق الى الجنة .

ولا بد ان اولئك الدعاة اصابوا بعض النجاح الا ان جهلنا بتاريخ تلك المناطق جعلنا لا نستطيع ان نقدر تماما مدى النجاح الذى اصابوه هناك .

وقد ضم "كوتشم خان" سنة ٩٧٨هـ - ١٥٧٠م - احد امراء القبيلة الذهبية هذه المناطق تحت الحكم الاسلامي بعد ان غزاها ، ويقال ان ابناء تلك الجهات قد استدعوه ليكون خانا عليهم بعد ان خلا هذا المنصب من وريث يملؤه (٢) .

قام هذا الخان بجهود كبيرة في سبيل ادخال رعيته في الدين الاسلامي فكان يطلب من "بخارى" ان ترسل له بالدعاة ليساعدوه في مهمته التي نجحت الى حد بعيد .

---

١ و ٢ محمود شاكر : المسلمون تحت الحكم الشيوعي ص ٩٨

" وقد خلف لنا احد الدعاة الذين قدموا من " بخارى " اخبارا وصف فيها خروجه مع احد رفاقه الى حاضرة " كوتشم خان " على ضفة نهر " ارتش " وهناك مات رفيقه بعد سنتين ، وقفل هو راجعا الى وطنه لاسباب لم يتعرض هذا الكاتب لذكرها ، ولم يلبث الا قليلا حتى عاد الى بلاد " كوتشم خان " ثانية لاستئناف عمله وبصحبته رفيق آخر . وذلك حين عاود " كوتشم خان " بخارى بطلبه مددا من الدعاة ، كذلك قدم دعاة من " قازان " الى سيبريا " (١)

ولكن الزحف الروسي - الذى كان يلاحق المغول في بلادهم ويتعقب المسلمين ايمنا كانوا - حال دون استمرار انتشار الاسلام بين قبائل تلك المناطق ، ذلك لان الروس استطاعوا ان يحتلوا عاصمة المغول في تلك البلاد - مدينة "سيبير" سنة ٩٨٨هـ الموافق ١٥٨٠م بعد عشر سنوات من قيام "كوتشم خان" بالامر . وعرفت البلاد التي تقع شرقي جبال اورال كلها باسم سيبريا تخليدا لذكرى الاستيلاء على تلك المدينة ، ولكن هذا لم يكن كافيا لمنع انتشار الاسلام ، فقد استمر قدوم الدعاة من مدينة بخارى وبقية مدن بلاد ما وراء النهر وحتى مدينة " قازان " التي كانت في قبضة الروس منذ اكثر من ثلاثين عاما . واستطاع هؤلاء الدعاة ان ينشروا الاسلام بين قبائل التتار ، (المغول) الضاربة بين نهر " اوبي " ورافده ارتش " (٢)

ولا نعرف اليوم عن احوال المسلمين او اوضاعهم الاجتماعية في تلك المناطق تحت الحكم الروسي الشيوعي وهل استطاع الروس ان يزيلوا اثر الاسلام من سيبيريا وان يحولوا دون انتشاره ام ان نوره لا يزال يبدد ظلمة ذلك الليل البهيم ولو كره الكافرون ؟ هذا املنا في الله عز وجل وهو نعم المولى ونعم النصير .

---

١. ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٨٣ - ٢٨٤

٢. انظر محمود شاكر : المسلمون تحت الحكم الشيوعي ص٩٩

المبحث الثاني

أثر المغول على الاسلام والمسلمين في الصين والهند

أولاً : أثرهم في الصين

عرف العـرب الصين قبل الاسلام لانهم اشتغلوا بالتجـارة في رحلتين احداهما صيفية والاخرى شتوية ، وقد ورد اسم الصين في الاثر " اطلبوا العلم ولو في الصين "(١) .

ويذكر تاريخ كوانجتنغ (Kwigtung) اول من جاء من المسلمين الى الصين بقوله " في عهد دولة تانج Tang وفد على كَنتن Camton عدد كبير من الغرباء من مملكة أنّام Annam وكمبوديا Cambodia " ومدينـا " وبعض بلاد اخرى وكان هؤلاء الغرباء يعبدون الله وليس لهم في معابدهـم تمثال ولا صنـم ولا صورة وكانت " مدينا " قرية من مملكة الهند . وفيها قامت ديانة هؤلاء الغرباء التي تختلف عن ديانة " بوذا " وكانوا لا يطعمون لحـم الخنزير ، ولا يشربون الخمر ، ويعتبرون الذبائح التي لا يذبحونها بايديهـم طعاما نجسا . ويطلق عليهم الآن اسم هوى هوى Hui Hui ولما استأذنوا الامبراطور وحصلوا منه على إذن بالاقامة في كنتن بنوا دورا جميلة من طراز يختلف عن ذلك الذى كان في بلادنا ، وكانت لهم ثروة عظيمة ودانوا بالطاعة لرئيـس انتخبوه بانفسهم (٢) .

الا انه معروف لدينا ان التجار المسلمين هم اول من نقل الاسلام الى الاجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من آسيا ، وقد كانت موانيء الصين ضمـن البلاد التي عرفت التجار المسلمين وعرفها المسلمون وتأثرت بهم وادخلوا الاسلام

---

١ . ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٣٣١ (يعزوه الى كنزالعمال م٥ص٢٠٢ لم اقف على تخريجه .

٢ . نفس المصدر ص ٣٣٢

اليها ، ويثبت هذا انتشار الجاليات الاسلامية في موانيء الصين .

وقد قامت علاقات ود وتعاون بين بعض أباطرة الصين ، وبعض الخلفاء العباسيين .

وعند ما هاجم المغول البلاد الإسلامية هاجرت أعداد كبيرة من المسلمين على اختلاف قومياتهم . واستقروا في الامبراطورية الصينية وتطوروا الى جالية كبيرة فقدت مع الزمن جنسها الاول وامتزجت مع السكان الصينيين .

وقد تقلد عدد كبير من المسلمين مناصب كبيرة تحت امرة حكام المغول ، ساعدت على نشر الاسلام بين السكان الصينيين ، لان تلك المراكز اكسبت المسلمين مكانة مرموقة كخبراء مخلصين في الاقتصاد والتجارة وغيرهما ومن بين الذين تقلدوا مراكز ممتازة " عبد الرحمن " الذى اختير سنة ١٢٤٢م رئيسا على بيت مال الدولة في الصين وخول حق تقدير الضرائب المفروضة على الصين وكذلك " عمر شمس الدين " المشهور بالسيد الأجلّ ، وكان من أهالي "بخارى " عهد اليه " قوبيلاي خان " عندما اعتلى العرش سنة ١٢٥٩م بادارة بيت مال الامبراطورية ، ولما نُودي " بقوبيلاى خان" امبراطورا للصين عُين السيد الاجلّ مديرا سياسيا للبلاط وفي سنة ٦٤٠هـ (١٢٧٢م) ارسل الى ولاية "سيتشوان" حاكما عاما عليها ، ثم اصبح حاكما عاما على ولاية " يونّان " Yunnan (١) .

وقد قامت ذرية السيد الاجل بخدمات جليلة دعمت الاسلام وثبتته في تلك البلاد ، " فقد حصل حفيده من الامبراطور سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥م) على الاعتراف بان الاسلام هو الدين الحق الخالص "(٢)

---

١. بدر الدين و . ل . جي تاريخ المسلمين في الصين ص ٢٧

٢. ارتولد : الدعوة الى الاسلام ص ٣٣٥

وقد تكاثر عدد المسلمين بعد ذلك في الصين ، وانتشر الاسلام في كثير من مدنها ، وقد ذكر ابن بطوطه ذلك فقال : " وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة للمسلمين ينفردون بسكناها ، ولهم فيها المساجد لاقامة الجمعات وسواها وهم معظمون محترمون "(١)

وقد قدم الامبراطور هنج وو Hung Wa مؤسس دولة منج Ming الجديده في الصين للمسلمين امتيازات كثيرة فقام المسلمون ببناء عدد كبير من المساجد في الفترة التي قضتها هذه الدولة في الحكم ٧٧٠-١٠٥٤هـ (١٣٦٨-١٦٤٤م) وقد قامت صلات طيبة بين اباطرة هذه الدولة وبين امراء المسلمين الذين كانوا على حدود الصين الغربية ، وتبادلوا السفراء مع الامراء التيموريين .

ويعتبر الشاه " رخ بهادر " من بين هؤلاء الامراء ذا اهمية كبيرة في نشر الدعوة الاسلامية لانه انتهز فرصة قدوم سفير صيني الى "سمرقند " سنة ٨١٥هـ (١٤١٢م) وحمّل تلك السفير رسالتين احداهما بالعربية (٢) والثانية

---

١. ابن بطوطه : تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ص٧١٨

٢. وهذا نصها نقلا عن كتاب ارنلد : الدعوة الى الاسلام ص٣٣٧ :

" بسم الله الرحمن الرحيم : لا اله الا الله محمد رسول الله ، قال رسول الله محمد عليه السلام : لايزال من امتي امة قائمة بامر الله ، لايُنصر من خذلهم ولا يطاع من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك ، لما اراد الله تعالى ان يخلق آدم وذريته ، قال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان أُعرف ، فخلقت الخلق لأُعرف ، فعلم ان حكمته جلت قدرته ، وعلت كلمته ، من خلق نوع الانسان ايثار العرفان واعلاء اعلام الهدى وارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، ليعلم الشرائع والاحكام ، وسنن الحلال والحرام واعطاه القرآن المجيد معجزة ليفحم به المنكرين ، ويقطع لسانهم عند المنازعة والخصام ، وابقى بعنايته الكاملة وهدايته الشاملة ، آثاره الى يوم القيامه ، وصب بقدرته في كل زمان وفرصة

بالفارسية ، يدعوه فيهما بصراحة الى اعتناق الاسلام وترك عبادة الاوثان (١) .

= وأوان ، في اقطار العالمين من الشرق والغرب والصين ، ذا قدرة وامكان وصاحب جنود مجندة وسلطان ، ليروج اسواق العدل والاحسان ويبسط على رؤوس الخلائق اجنحة الامن والامان ، ويامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر والطغيان ، ويرفع بينهم اعلام الشريعة الغراء وازاح من بينهم الشرك والكفر بالتوحيد في الملة الزهراء ، فوفقنا الله تعالى بسوابق لطفه ، ولواحق فضله ان نسعى في اقامة قوانين الشريعة الطاهرة وادامة قواعد الطريقة الزاهرة ، وامرنا بحمد الله ان نفصل بين الخلائق والرعايا ، في الوقائع والقضايا ، بالشريعة النبوية والاحكام المصطفوية ، ونبني في كل ناحية ، المساجد والمدارسّ ونعمر الخوانق والصوامع والمعابد ، كي لا يندرس اعلام العلوم ومعالمها ، وينطمس اثار الشريعة ومراسمها ولان بقايا الدنيا الدنية ، وسلطنتها ، واستدامة آثار الحكومة واياالتها باعانة الحق والصواب ، واماطة اذى الشرك والكفر عن وجه الارض ، لتوقع الخير والثواب فالمرجو والمأمول من ذلك الجناب واركان دولته ان يوافقونا في الامور المذكورة ويشاركونا في تشييد قواعد الشريعة المعمورة ."

١ . نص الرسالة الفارسية نقلا عن كتاب ارنلد : الدعوة الى الاسلام ص ٣٣٧-٣٣٨ .

(لما خلق الله الاعظم بحكمته البالغة وقدرته الكاملة آدم (عليه السلام) جعل بعض ابنائه انبياء ورسلا وارسلهم الى الخلق يدعونهم الى الحق ، وانزل على بعض هؤلاء الانبياء كابراهيم وموسى وداود ومحمد (عليهم السلام) كتابا وعلمهم شريعة وامر اهل زمانهم ان يتبعوا شريعة كل منهم ودينه ، ودعا هؤلاء الرسل جميعا الناس الى دين التوحيد وعبادة الله ونهوا عن عبادة الشمس والقمر والنجوم والملوك والاصنام ومع ان كلا من هؤلاء الرسل كانت له شريعة خاصة ، فانهم كانوا جميعا متفقين على توحيد الله الاعظم ولما صار امر الرسالة والنبوة الى محمد المصطفى ((صلى الله عليه وسلم) نسخت كل الشرائع الاخرى وهو نبي آخر الزمان ورسوله وواجب على العالم باسره - امراء وسلاطين ووزراء واغنياء وفقراء وصغارا وكبارا - ان يعلموا بشريعته وان يتركوا كل الملل والشرائع السابقة ، هذه العقيدة الصادقة الصحيحة تسمى الاسلام ، ومنذ سنوات خلت تهيأ " جنكيز خان " للقتال وارسل

وقد نشأت عن ذلك قصة تقول بان احد اباطرة الصين قد تحـــول الى الاسلام . (١)

= ابناءه الى بلاد وممالك مختلفة - فارسل جوجي خان الى حدود سراى وقرم ، ودشت قفجاق ، حيث اسلم بعض الشاهات ، من امثال اوزبك وجاني خان وارس خان وعملوا بشريعة محمد (عليه السلام) واصبحوا بذلك مسلمين ، وانتقلوا الى الدار الاخرة سعداء بشرف الاسلام ، ومن هؤلاء الملك الصادق غازان ، والجايتو سلطان والشاه سعيد الحظ ابو سعيد بهادر - وغيرهم بعدهم حتى ولي العرش والدي المكرم امير تيمور كوركان . وقد عمل والدى كذلك بشريعة محمد (عليه السلام) في كل البلاد التي حكمها ، ونعم المسلمون طوال عهده برخاء شامل . والان وقد انتقلت الى يدى ، بلطف الله وفضله ، ممالك خراسان وما وراء النهر والعراق وغيرها وغيرها ، فان حكم البلاد في كافة ارجاء المملكة بموجـــب الشريعة المطهرة النبوية ، امر بالمعروف ونهي عن المنكر . وزالت قواعد جنكيزخان ومنذ ذلك الحين صار يقينا ومحققا ان الخلاص والنجاة في يوم القيامة والسلطان والدولة في الدنيا ، سببها ايمان الفرد واسلامه وعناية الله تعالى ومن الواجب علينا ان نعامل رعيتنا بعدل وانصاف ، واني لارجو بفضل الله تعالى وكرمه ان تعملوا انتم ايضا بشريعة محمد رسول الله (عليه السلام) وان تقووا الاسلام فتنالوا بدلا من سلطان الدنيا سلطان الآخرة "

٢ . ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص٣٣٩

ثانيا : أثر المغول على الدعوة الاسلامية في الهند

تشرفت الهند بنور الاسلام في القرن الاول الهجرى ولكن المسلمين لم يتوغلوا فيها بل انحصر نفوذهم في مقاطعة السند ، وما جاورها ولم يتوغل المسلمون في شبه القارة الهندية الا في عهد السلطان " محمود الغزنوى " (٣٨٨ -٤٢١ هـ) وخلفائه ، ولكن هؤلاء وجنودهم لم يكونوا قد تربوا على الاسلام بعناية تجعلهم اهلا لحمل الدعوة ، فلاعجب اذا انحرف هؤلاء عن الطريق الاسلامي في الجهاد وعن العمل بقوانين الإسلام الحربية .

ثم جاء المغول - الذين كانوا في بداية امرهم كفارا كما هو معروف - وعند ما اسلموا في النصف الثاني من القرن السابع الهجرى كان كثير منهم لا يفرقون في حروبهم بين المسلمين والوثنيين فكانوا يفتكون بهم جميعا .

وقد تعرضت سواحل الهند لهجرة اصحاب العقائد الباطلة المنحرفة من المبتدعين والمارقين الذين هربوا من ديار المسلمين لانهم وجدوا مقاومة عنيفة للباطل الذى كانوا يحاولون نشره في البلاد الاسلامية ، كالطائفة الاسماعيلية وفرقها المنحرفة .

وبهذا نشأت بين الذين اعتنقوا الاسلام في الهند افكار غريبة وشوائب كثيرة ابعدتهم عن حقيقة الاسلام واصبح الاسلام - حتى بُعيد اسلام المغول - مشوها " وجملة القول ان دين الاسلام لم يؤثر في اديان البراهمة كما تأثر هو نفسه بعقائدهم وشعائرهم الدينية " (١)

وقد دخل الهند حكام مسلمون عظام قاموا بأعمال جليلة وفتوحات واسعة وشيدوا الحصون القوية ، والمباني الشاهقة ، وفتحوا الشوارع الفسيحه واوجدوا التنظيمات

---

١ . مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ١٢

القوية ، الا أنهم لم يقدموا للإسلام اوالدعوة الاسلامية خدمات تذكر لأن جل هممهم كان تثبيت ملكهم الدنيوى ، يستثنى من هؤلاء الملك محمد تغلق وفيروز تغلق والملك اورنك زيب .

فقد قام " محمد تغلق " ٧٢٥-٧٥١هـ(١٣٢٤-١٣٥٠م) باحياء شعائر الاسلام والقضاء على البدع التي تسربت للمجتمع الاسلامي ، عاقب تاركي الصلاة ورفع المظالم وانصف المظلومين ، قال عنه ابن بطوطه : " .... وهو اشد الناس مع ذلك تواضعا واكثرهم اظهارا للحق والعدل ، وشعائر الدين عنده محفوظه وله اشتداد في امر الصلاة والعقوبة على تركها " (١)

ثم ولي الملك بعده " فيروز تغلق " ٧٥٢ -٧٨٩هـ (١٣٥١-١٣٨٧م) وقد كان عادلا تقيا ورعا ارسى دعائم الاسلام في مملكته وحارب الزنادقة ودعاة الفاحشة والروافض وبدعهم ، ومنع بناية معابد الكفار ، ومنع النساء من زيارة القبور وبنى المساجد والمستشفيات واعاد للاسلام احترامه في النفوس وللشريعة مكانتها وهيبتها .

الا ان الهند ابتليت مرة اخرى بحكام حاولوا تثبيت ملكهم على حساب الاسلام فاصدروا من التشريعات ما قوض دعائم الاسلام وقضى على اكثر اسسه وبعض فرائضه وكان السلطان "جلال الدين اكبر" من اكثر السلاطين خروجا على الاسلام حتى لقد الغى الجزية عن الكفار ، واباح الرده ومنع ذبح البقر ، واباح البغاء وزواج المتعة و منع الزواج من بنات العم والعمة والخال والخالة ، ومنع الختان وشجع السفور ثم الف اخيرا دينا جديدا اسماه " الدين الالّهي " (٢)

---

١ . رحلة ابن بطوطه ص ٥١١

٢ . لتفصيل اكثر راجع تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ٩٥ وما بعدها

وقد ادت هذه الانحرافات الى ابعد الناس عن الاسلام الصحيح ، وظهور كثير من البدع والخرافات الى ان جاء المصلح الكبير والملك العابد الزاهد ابو المظفر اورنك زيب " عالمكير " .

الملك أبو المظفر أورنك زيب "عالمكير" (١٠٦٨–١١١٨هـ، ١٦٥٦ – ١٧٠٦م)

هو ابن شاه جهان بن جهان كير بن اكبر بن همايون بن محمد بابر ، وهؤلاء هم سلاطين الدولة المغولية الذين حكموا الهند ، وكان "اورنك زيب" جنديا شجاعا وفارسا مقداما الى جانب ورعه وتقواه ، فقد مسح الاثار التي خلفتها العقيدة "الاكبرية " فكان اول ملك - بعد آل تغلق يستمسك بالعروة الوثقى ، وعاش عيشة الزهاد الفقراء ، يقوم الليل ويصوم النهار ، وهو الذى اعاد للدين المبين في عصره نضرته وشبابه ، والغى القوانين المناقضة للشرع واكرم العلم والعلماء ، وقضى على البدع والمنكرات وكان الى جانب ذلك من كبار ملوك الهند قديما وحديثا) (١) ، فقد منع الاحتفالات التي تتعارض مع الاسلام ومنع المغنيين والمغنيات والراقصات من الحضور الى باب الملك ، وعزل المنجمين وابطل عادات ملوك المغول مثل الاشراف على الرعية من القصور والحصون كل صباح لتتمتع الرعية برؤيتهم ، ومنع الخمر الذى كان قد اباحه بعض اجداده ، ومنع الزنى وشدد في ذلك وحارب الربا وقضى على الدين الذى الفه جده "جلال الدين اكبر " وسماه" الدين الالٰهي " جهلا وافتراء .

هذا وقد عرف عن "اورنك زيب " الى جانب مقدرته الحربية اشتغاله بالعلم وبامره واشرافه الفت بالهند موسوعة مهمة في الفقة الحنفي تعرف باسم "الفتاوى

---

١ . مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ١٢١

الهندية اوالعالمكيرية "(١)

وقد بلغ من تقوى هذا السلطان وزهده انه حين حضرته الوفاة اوصى بان يدفن في اقرب مقابر للمسلمين ، والا يعدو ثمن كفنه خمس روبيات كان قد كسبها من نسخه للقرآن الكريم ، وصنعه للطواقي ضمن ثلاثمائة روبية امر رجاله ان يتصدقوا بها على الفقراء كذلك "(٢)

وكان هذا الملك يغدق الأموال على الذين يعتنقون الإسلام ويمنع نفسه من التمتع بها وقد قدم للإسلام والدعوة الإسلامية خدمات عظيمة فكان من أفضل ملوك الهند خدمة للأسلام رحمه الله واجزل مثوبته ، ونضر وجوه العاملين لدعوته وزينه في كل مكان وزمان .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه اجمعين وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .

---

١ . د . احمد الساداتي: تاريخ الدول الاسلامية بآسيا وحضارتها ص ٩٣

٢ . نفس المصدر ص ٩٣

الخاتمــــة

وبهذا نصل إلى نهاية هذا البحث الذى تحدثنا فيه عن أصـــل " المغول " ونشأتهم ، والأماكن التي عاشوا فيها ، وتأثير تلك البيئة علـى مسلكهم وحياتهم ثم عن ظهور " جنكيز خان " وتوحيده لتلك القبائل .

ثم تناولت بالبحث أحوال العالم الإسلامي ، والإنحرافات السياسيـة والطائفية والخلقية ، وانتشار الموبقات بين المسلمين - وخاصة في الطبقـات الحاكمة - وتخطيط أعداء المسلمين وتشجيعهم ، وغفلة المسلمين أو تغافلهم ثم إقبال المسلمين على الترف ، واشباع غريزتي البطن والفرج ، مما جعل المسلمين يستحقون عقاب الله تعالى الذى لا يظلم الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

ثم تحدثت عن إحتلال المغول لأجزاء كبيرة من العالم الاسلامي ومـا قاموا به من طمس للحضارة ، وقتل للناس ، وهتك للأعراض ، مما تقشعر منه الأبدان .

وتحدثت عن عودة المسلمين الى الاسلام بظهور بعض الولاة المخلصين ثم انتصار المسلمين في موقعه " عين جالوت " .

وتكلمت عن الدعوة الاسلامية والمشاكل التي يواجهها الدعاة ، وما تميز به الإسلام ، والوسائل والأساليب التي تجعل الناس يدخلون في هذا الديـن ذلك لأنه يناسب الفطرة البشرية " فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا "

ثم تكلمت عن انطلاق دعاة الإسلام يدعون المغول للدخول في الاسلام غير مبالين بالصعاب التي تواجههم ، ثم هداية هؤلاء الأقوام الجفاة الغلاظ

وتبين لنا كيف أحالهم الاسلام الى أمة كريمة طيبة رحيمة في ذاتها ، وتحمل إلى الناس رسالة الهدى والخير والرحمة ، بدل التدمير والهلاك الذى كان سمتهم المميزة في جاهليتهم وصدق الله (. . . قَدْ جاءكم مِنَ اللهِ نُورٌ وكتابٌ مُبينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِم إِلَى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) (١)

نتائج البحث :

وبعد هذا العرض التاريخي ، وما تبعه من بحث في شئون الدعوة والدعاة نستطيع إستخلاص كثير من النتائج منها : ـ

١. إن الإسلام لا يقضي عليه بتخطيط البشر ، أو برغبتهم أو بقوتهم فكم من قوي ماكر صارع الاسلام فَصُرِعَ ، وبقي الاسلام شامخا قويا عزيزا شاهدا على وفاء الله بعهده "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (٢) " وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ " (٣)

٢. إنَّ الإسلام ينتشر بإرادة الله ، ويملك قوة ذاتية ، أودعها فيه علام الغيوب ، ثم بنشاط المخلصين من الدعاة مهما كانت قوتهم أو ضعفهم

٣. إن الإسلام لم ينتشر أبدا بالقوة ، ولم يرغم المسلمون أحدا على الاسلام ولا يقبل الإسلام ذلك بل يحرص على إبعاد المؤثرات الضاغطة على الأفراد ، المانعة لحريتهم حتى يكونوا أحرارا يقبلون ما تهديهم

---

١. سورة المائدة آية ١٥ و ١٦ .

٢. سورة الحجر آية ٩ .

٣. سورة التوبة آية ١١١ .

إليه فطرتهم وعقولهم " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ " (١)

٤. إنّ سر إنتصار المسلمين يكمن في طاعتهم لله وبعدهم عن عصيانه فإذا عصى المسلمون الله ، وغاصوا في الموبقات ، وتفرقوا شيعا وأحزابا تاركين سبيل الله ، متبعين طرق الشياطين فإن الله يسلط عليهم من لا يرحمهم ، فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله .

٥. إن تاريخ المسلمين مملوء بالعبر التي تجعل المسلمين يسارعون إلى العودة إلى الله إذا أرادوا النصر والفلاح في الدنيا والآخرة .

٦. إن ضغوط أعداء الإسلام على المسلمين لإخراجهم عن دينهم - وهم يحاولون ذلك دائما ومنذ نشأة الدعوة - تذهب أدراج الرياح إذا أخلص المسلمون النية لله رب العالمين .

الإقتراحات :

وإني بهذه المناسبة أقترح على الجامعات الإسلامية خاصة والمؤسسات العلمية عامة ما يأتي : -

١. إعادة دراسة وتدوين التاريخ الإسلامي بما يتفق ووجهة النظر الإسلامية ، بحيث يؤخذ منه العبر ، ولا يبقى أحداثا مسرودة عرضة لزيادة أو حذف من أعداء الإسلام .

٢. أن تفرز وتميز الكتب التي وضعت لتشويه تاريخ المسلمين لتحذير المسلمين منها ، وقطع خطرها الفكري والثقافي .

---

١. سورة البقرة اية ٢٥٦

٣ . تكوين لجان لترجمة المراجع الإسلامية الأصلية إلى اللغة العربيـــة حتى يستفيد منها الباحثون .

٤ . تتبع تاريخ الامم - غير العربية - وكتابة نشاطاتهم لخدمة الدعـوة الإسلامية عن طريق مؤسسات وجماعات علمية ذات إمكانات واسعـــة لأن المجهودات الفردية على عظمتها لا تكفي لتسجيل هذا التاريخ العظيم .

٥ . محاولة كتابة تاريخ المسلمين في سيبيريا وجنوب الإتحاد السوفيتـي واوربا لمعرفة نشاطهم ومحاولة تشجيعهم بكل الوسائل لدعـــم نشاطهم الإسلامي هناك ، حتى يكون حاضرهم إمتداد لماضيهـم الإسلامي المجيد إن شاء الله تعالى .

والله تعالى نسأل أن يوفق المسلمين ودعاتهم وزعماءهم الى طريـق الحق والخير والرشـــاد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالميـــن



الآيــــــــــــــــة	رقم الصفحة الموجودة فيها الآيـــة
ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف . .	١٢٥
كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون . .	١٢٥
وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة . . .	١٢٦
ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ،	١٢٧
وتكون لكما الكبرياء في الأرض	١٢٨
ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا إختلاق	١٢٨
وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف . .	١٢٨ ، ١٦١
فطرة الله التي فطر الناس عليها	١٣٣
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد	١٣٣
اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم . .	١٣٤
ولقد خلقنا الإنسان وتعلم ما توسوس به نفسه ونحن . .	١٣٤
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع . .	١٣٤
ألا تزر وازرة وزر أخرى	١٣٥
وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى	١٣٥
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	١٣٦
ومن الناس من يقول أمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين	١٣٧
. . . هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون	١٣٧
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر . .	١٣٨
آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وأنا . .	١٣٨
. . . آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم . .	١٣٨
يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم . . .	١٣٩
قل : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم . .	١٣٩
اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح . .	١٣٩

الآيــــــــــة	رقم الصفحة الموجـودة فيهـــا
وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو . . .	١٣٩ ، ١٤٠
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله	١٤٠
والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار . .	١٤٠
لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي	١٤٠
ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره . .	١٤٠
ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن	١٤٠
وإنك لعلى خلق عظيم	١٤١
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص . . .	١٤١
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين	١٤١
وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا	١٤١
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا	١٤١
قل ياأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا الذي له . .	١٤١
إنا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك	١٤٢
وإلى عاد أخاهم هودا	١٤٢
وإلى ثمود أخاهم صالحا	١٤٢
وإلى مدين أخاهم شعيبا	١٤٢
نحن أبناء الله واحباوءه	١٤٣
وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى	١٤٣
إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم . .	١٤٣
إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار . .	١٤٤
وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات . .	١٤٤
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم قلوب . . .	١٤٤
إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون	١٤٤

الآيـــــة	رقم الصفحة الموجودة فيها
وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول . .	١٤٤ ، ١٤٥
قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى . .	١٤٥
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . . .	١٤٥
قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا	١٤٥
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون	١٤٦
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون	١٤٧
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون	١٤٧
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم . .	١٤٨
وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم . .	١٤٨
إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن . . .	١٥١
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا . .	١٥١
وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا	١٥١
إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم . .	١٥٢ ، ٢٢١
وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا	١٥٢
كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر . .	١٥٣
ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك	١٥٣
والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون	١٥٣
قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم . .	١٥٥
وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها . .	١٥٥
فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا . .	١٥٥
قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاكم من . .	١٥٥ ، ١٥٦
كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز	١٥٦
إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات . .	١٥٦

الآيـــــــــــــة	رقم الصفحة الموجـــودة فيهـــا
وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا إن لدينا . .	١٥٦ ، ١٨٠
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي . .	١٥٧
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من . . .	١٥٩
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس . . .	١٥٩
وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا . .	١٦٠
كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر . .	١٦٠
واذكر في الكتاب ابراهيم أنه كان صديقا نبيا إذ قال . . .	١٦٠
قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك . .	١٦١
قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا . . .	١٦١
قالوا إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم . .	١٦١
أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون .	١٦٢
يَـس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين	١٦٢
والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى	١٦٢
والتين والزيتون وطور سنين . وهذا البلد الأمين لقد . .	١٦٢
ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وماأنتممعجزين	١٦٢
لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون	١٦٢
والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا . .	١٦٢
وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه . .	١٦٣
إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب	١٦٣
إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به . . .	١٦٣
أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما تأتكم مثل الذين خلوا . .	١٦٤
يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون . .	١٦٤
مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت . .	١٦٤
مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح . .	١٦٤

الايـــــــة	رقم الصفحة الموجـودة فيهـا
مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هـل . .	١٦٤
وجادلهم بالتي هي أحسن	١٦٥
ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن	١٦٥
ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله . . .	١٦٦
وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا	١٦٦
قل أنزله الذى يعلم السر في السموات والأرض إنه كان . .	١٦٦
ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى . . .	١٦٧
ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا	١٦٨
أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب . .	١٧١
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند . .	١٧١
يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم . .	١٧٢
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين	١٧٢
تلك الدار الآخره نجعلها للذين لا يريدون علوا في . .	١٧٣
ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني . .	١٧٣
خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين	١٧٣ ، ١٧٧
فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين	١٧٣ ، ١٧٤
وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها	١٧٤
ما تسبق أمه أجلها وما يستاخرون	١٧٤
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا . .	١٧٦
والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة . . .	١٧٧ ، ١٧٨
واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا	١٧٧ ، ١٨٠
أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم . .	١٧٨
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله . .	١٧٩

الآيـــة	رقم الصفحة الموجودة فيها
قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ...	١٨٠
وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني ...	١٩٤، ١٩٥
ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا	١٩٧
ادعوا ربكم تضرعا وخفيه إنه لا يحب المعتدين	٢٠١
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون	٢٠٢، ٢٣٣
والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون	٢٠٢
ومن أوفى بعهده من الله	٢٠٤
إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في ...	٢٠٩، ٢١٠
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد ..	٢١٨
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام	٢٣٣ - ٢٣٤
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا .	٢٣٧، ٢٣٩

ثانيا : فهرس الاحاديث النبوية (١)

	الصفحة
عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :	
- " إن الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن اول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ".	٧٥
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقيق :	
- " .... هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فاطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم .	٧٦
- " عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم ...... "	٨٠
- " ...... ليبلغ الشاهد منكم الحاضر "	١٢٥
- " والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم "	١٢٥
- اللهم اليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس	١٢٦
- قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك	١٣٤
- " إن مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فحسنه وجمله إلا موضع لبنه من زاوية فجعل الناس يطوفون ويعجبون ويقولون (هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنه وانا خاتم النبيين) "	١٤٢
- كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى	١٤٣
بعثت بجوامع الكلم "	١٦٩
- " .... عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة "	١٧٢

---

١ . الاحاديث الشريفة مرتبة حسب ورودها في صفحات الرسالة

اوكيتاى ١٨٢، ١٨٣، ٢١٢، ٢١٤، ٨٣

اولجايتو ٢٦٠

ايبك (سفيربيجو) ١٨٧

ايبك الدوادار ٦٧

— ب —

بارثولوميو الكريموني ١٨٩

باطو ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ٢١٢

باكي ٢٩

بيدربن جغتاى ١٨٢

بايدو (خان) ٢٤٠ ، ٢٤٣

البحترى ٧٣

بدرالدين لؤلؤ ٨٠

براق خان ٢٢٦، ٢٢٧

بطرس (المطران) ٢٢٣

بكى ٢٩

بلال ٧٦، ١٤٢، ١٦٨

ابن الاثير ٧٢، ١٩٦

ابن الرومي ٦٩

ابن المعتز ٧٢

ابن شهاب الدين غفارى ٢١٩

ابن طباطبا ٥٥

ابن فضل اللهالعمرى ٣٣

بهاء الدين (الاتابك) ٢٣٥

بهادر ٢٩، ٣٩

بوذا ٢٥٦

بوزن ٢٢٧
بوسكارد جيزولف ١٩٣
بوهمند ١٠٥، ١٩١
بيجو ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠
بيلا ١٨٢

- ت -

التابير ٢٠
تقي الدين بن ابراهيم التنوخي (الشيخ) ٩٩
تقي الدين بن تيميه ٢٤٥
تدان منكو ٢٢١، ٢٢٢
تغلق تيمور خان ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢٧، ٢٢٨
تكش ٤٥، ٤٦
تكودار بن هولاكو ٢٣٣
تلابغا بن منكوتمر ٢٢٢
تموجين ٣٧
توارنشاه ١٠٤
توبان ٢٩
توزون ٥٥
تولك ٢٢٩
تولوى بن جنكيز خان ٨٧، ٢١٢
تيمور كوكان ٢٦٠
تين بك ٢٢٤

- ج -

الجاحظ ٧٠ ، ٧١

جانكيز خان ٢٠ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٢٦٠

جان بك ٢٢٤

جحظله ٧٣

جراس ٢٢٩

جعفر الصادق ٦٤

جغتاى ٢٠١ ، ٢١٢ ، ٢٢٧

جلال الدين منكبرتي ٨٨ ، ٨٦

جمال الدين (الشيخ) ٢٠٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨

جوبرت هيلفيل ١٩٣

جوجي بن جنكيز خان ٨٦ ، ٨٤ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ٢١٢ ، ٢٦٠

الجوزجاني ٥٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١٧ ، ٢٢٦

الجويني ٣٢ ، ٣٣

جيمس الادبك بريجان ١٩٢

الجيهيداى ١٨٨

- ح -

حاطب بن ابي بلتعه ١٧٠

حافظ ابراهيم ١٣٢

حسام الدين (الفلكي) ٩٤

الحسن بن الصباح ٥٠ ، ٥١

الحسن بن علي ٦٤ ، ٤٠٣

الحسين بن علي ٦٤

حمدان (قرمط) ٢٠٣

- خ -

خان ٣٠ ، ٣٩

خاقان ٢٠

خوارزم ٢٤ ، ٤٥، ٤٨، ٥٠

- د -

داود (عليه السلام) ٢٥٩

داود (سفير للمغول) ١٨٨

دحيه الكلبي ١٧٠

دسبينا ٢٤١

دنانير البرمكية ٧٩

- ر -

رابان سوما ١٩٢، ١٩٣

الرازي ١٣٨

الراشد ٥٢

الراضي ٦٩

رخ بهادر (شاه) ٢٥٨

رشيد الدين ٦٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٥

ركن الدين خورشاه ٩٢

رويركي ٣٣، ٣٤

- ز -

الزمخشري ١٧٨

زيادة الله بن الاغلب ٧٨

زيد بن حارثة ١٦٨

زيد بن علي زين العابدين ٦٤

- س -

سارتاق بن باطو ١٨٩
ستسن ٢٩
السعيد (الملك) ١٠٤
سقراط ١٢٣
سلمان الفارسي ٧٦ ، ١٤٢
سليمان بن الحسن الجنابي
(ابو الطاهر) ٢٠٣
سماد ١٩٠
سورجقتاني ١٩٠
سيبوتاى ١٨٢
سيد قطب ١٤٦
سيركيس ١٨٧

- ش -

شاهنشاه ٤٢
شمس الدين احمد الكافي القزويني ٥٣ ، ٩١
شمس الدين الكوفي (شاعر) ١٠٠
شهاب الدين السهروردى ٤٨

- ص -

صلاح الدين بن يوسف بن ايوب ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١٠٢
صهيب ١٤٢

- ط -

طارق بن زياد ٨٦
طرطق خان ٢١٧
طرماشيرين ٢٢٧

طغرل ٢٦
طغرل الثالث ٤٦
طقطقاى ٢٢٢
طقز خاتون ٩٨ ، ١٩٠

- ظ -

الظاهر بيبرس ١٠٧، ١١٧، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠

- ع -

العادل (الملك) ٦٠
عبد اللهبن المعتز ٥٥
عز الدين بن عبد السلام ١١٣، ١١٤
علاء الدين محمد خوارزمشاه ٢٤، ٤٦، ٤٧
علي بن ابي طالب ٦٣
علي بن الجهم ٧٨
عمار بن ياسر ١٧٧
عمر بن امية الضمرى ١٧٠
عمر شمس الدين (السيد الاجل) ٢٥٧

- غ -

غازان ٢٠٨
الغزالي (الامام) ١٢٦
غياث الدين (مبارك شاه) ٢٢٧

- ف -

فرعون ١٢٨، ١٣٨، ١٦١
فريد ريك الثاني ١٨٥

فريـده ٧٩

فيليب الرابع ١٩٢

فلك الدين محمد بن ايدمر ٩٥

فيروز تغلق ٢٦٢

- ق -

قاآن ٥٣

قان ٢٩

القاهر ٥٥

قرة هولاكو بن موتوكن بن جغتاى ٢٢٦

قسطنطين ٩٨

قطب الدين ١٠٦

قطز ١٠٧، ١٠٩، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٧

قلاوون (الملك المنصور) ٢٢١، ٢٢٢

قوبيلاى ١٩٩، ٢٤٠، ٢٥٧

قيم الرقيق ٧٥

- ك -

الكامل (الملك) ١٠٣، ١٠٤

كانون تايلور ١٩٥

كتبغا ٩١، ١٠٦، ١١٥، ١١٨

كجلك (امير) ٢٤

كليمنت الرابع (البابا) ١٩٢

كمال الدين بن عبد الرحمن ٢٣٥، ٢٣٨

كواعُجتنج (ملك) ٢٥٦

كوتال (ملك) ١٨٢

كوتشم خان ٢٥٤ ، ٢٥٥
كوتوكتاى ١٩٠
كورجوز ٢٠٧
الكوخان ٢٤
كيخاتو خان ٢٤٠ ، ٢٤٢
كين ٢٦
كيوك ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١

- ل -

لوط (عليه السلام) ١٦٢
لويس التاسع ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٢

- م -

ماريا (الاميره) ١٩٠
ماريا القبطية ١٤٠
مبارك شاه ٢٢٦ ، ٢٢٧
محبوبه ٧٩
المتقي بالله ٥٥
المتوكل ٧٨
مجد الدين (قاضي شيراز) ٢٤٨
مجد الدين البغدادى ٤٨
مرقص ١٨٨
محمد ازبك ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤
محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ٢٠٣
محمد بن عبد الملك الهاشمي ٧٢
محمد بن الحنفية ٦٥

محمد حوقل البغدادى ٢٢
محمد تغلق ٢٦٢
محمد الحجة ٦٥
محمد خان ٢٣٠
محمد خدابنده ٢٠٧
محمد خوارزمشاه ٤٧ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٩
محمود الغزنوى ٢٦١
المسترشد ٥٢
المستعصم بالله ٦٥ ، ٢٢٠
المستكفي ٧٠
مسعود ٥٢
المسيح (عليه السلام) ١٩٤
المفضل ٧٨
المقتدر بالله ٥٥ ، ٧٧
المقنع ٢٠٤
المقوقس ١٧٠
المكتفي ٧٨
منكو خان ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢١٢
منكوتمر ٢٢١
موءنس المظفر ٥٥
موءيد الدين العلقمي ٦٦ ، ٩٤ ، ٩٨
موسى (عليه السلام) ١٢٨ ، ١٦١ ، ٢٥٩
موسى الكاظم ٦٥
موسى بن نصير ٧٦
ميشيل پالييولوغوس ٢٤١

- ن -

ناصر الدين (محتشم الاسماعيلية) ٩١ ، ٩٢
الناصر لدين الله (الخليفة) ٤٧ ، ٥٢
الناصر يوسف (ملك) ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٩
النجاشي ١٠٧
النسوى ٨٧
نصر بن سيار ١٩
نظام الملك ٥٢
نوح (عليه السلام) ١٥٥ ، ١٦٠
نور الدين محمود ٥٨
نور الدين الخوارزمي ٢٠٠
نوشكتين ٤٥
نوفجورد ١٨٣
نيقولا ٢٠٧

- هـ -

هارون ١٢٨ ، ١٦١
هرقل ١٧٠
هشام بن عبد الملك ٦٥
هيلينا ٩٨
هنج وو ٢٥٨
هولاكو ٩١ ، ٩٣ ، ١١٠ ، ١٩٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٠
هونوريوس الرابع (البابا) ١٩٢
هيثوم ١٠٥ ، ١٩٠ ، ١٩١

- و -

وانج خان	٢٦
وليم روبروك	١٨٩

- ى -

يبغوا	٢٢
يحيى بن الافتخارى (امام الدين)	٥٣
اليعقوبي	٧٥
يوحنا بيان دلكاربيني	١٨٦، ١٨٧
يورى الثاني	١٨٣
يوسف بن عمر الثقفي	٦٥
يوكاى	٢٦
ينال خان	٨٤

رابعا : فهرس البلدان والأماكن والمواقع الحربية :

ـ ا ـ

آرتيش (نهر) ٢٧ ، ٢٥٥
آسيا الصغرى ١٦ ، ١٩١
أفزار (مدينة) ٨٤
الادرياتيك ١٦ ، ١٨٢
أرخون (نقوش) ٢٢ ، ٢٤
أرخون (نهر) ٢٦
أرمينيا ١٠٥ ، ١٩٠
أرنون ٢٧
آزاق ٢٢٢
اسكتلندا ١٩٣
اصفهان ٥٢
افريقيا ٢٠٣
افغانستان ٤٦
المانيا ١٨٥
ألَموت (قلعة) ٥٠ ، ٩١ ، ٨٠
اوكرانيا ١٨١
أنام (مملكة) ٢٥٦
انجلترا ١٨٤ ، ١٩٣
اوروبا ٩٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ٢٥٠
اونون ٢٥
ايران ٦٢ ، ٢٤٨

- ب -

بلاساغن ٢٤
باميان ٨٨
بايكال (بحيرة) ١٦ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩
بخارى ٨٤ ، ٨٥ ، ٢١٧ ، ٢٥٤
براون (سهول) ٨٨
بريسلافل ١٨١
بغداد ٤٨ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٩٣ ، ١٨٧
بلخ ٢٤ ، ٤٦ ، ٨٧ ، ٨٨
البلطيق ١٨٢
البلغار ١٨٢
بناكت ٨٤
بولندا ١٨٢
بويرنور (بحيرة) ٢٨
بيت المقدس ٥٨ ، ١٠٦ ، ١٩٣
البيرة ١٠٤
بيسان ١١٧

- ت -

تانج (دولة) ٢٥٦
التاى ١٦
تبريز ١٨٧
تخشب ٨٧
تركستان ١٩ ، ٢٢ ، ١١٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤
ترمذ ٤٧ ، ٨٧
التنكفار ٢٢٢
تيان شان ١٦ ، ٢١٢

- ج -

جرجانية ٨٦
جنـد ٨٤
جوبي (صحراء) ١٦، ١٨، ٢٥

- حـ -

حارم ١٠٥
حران ١٠٤
حلب ١٠٣، ١٠٣، ١٠٤
حماه ١٠٢، ١٠٥
حمص ١٠٢، ١٠٥

- خ -

خجنده ٨٤
خراسان (اقليم) ٤١، ٦٢، ٩٠، ٩١، ٢١٢
خوارزم ٢١٢، ٢٢٢
خونـد ٢٢٧

- د -

دشت قفجاق ٢٦٠
دمشق ١٠٢، ١٠٥، ١٠٩، ١٩٣
دوذبار ألَمَوت ٩١
دير الزند ورد ٧٣
دير الموسي ٧٢
دير سمالو ٧٢

- ر -

الرها ١٠٤
روسيا ١٨٣، ٢٢٣، ٢٥٠

روما ١٨٧، ١٩٢
الرى ٢١٢

- س -

سامراء ٧١، ٧٤، ٧٥
ساند وميr ١٨٢
ستالنجراد ٢٢٢
سجستان ٢١٢
السرا ٢٢٢
سراد ق (سواد ق) ٢٢٢
سرتخت ٩٢
سروج ١٠٤
سلطان د وين ٢٤٢
سمرقند ٨٥، ١٩٨، ٢٥٤، ٢٥٨
سنام (قلعة) ٢٠٤
السند ٨٨، ٢١٢، ٢٦١
سوريا ١٨٧، ١٩٣، ٢١٤
سوزدال ١٨٣
سيبير (مدينه) ٢٥٥
سيبيريا ١٦، ٢٤٩، ٢٥٤
سيتا (سيتي) ١٨٣
ستهشوان ٢٥٧
سيراوردو ١٨٦

- ش -

الشاس ٢١٢، ٢٢٦
الشام ١٨٧
شريجوف ١٨١
شعب بني هاشم ١٣٠

- ص -

الصافون ٢١٢، ٢٢٦

الصحيفة ١٣٠

صراى ٢١٢

الصين ١٦، ٣٤، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٥٦

- ط -

الطائف ١٢٩، ١٦٨

الطالقان ٨٨، ٨٧، ٩١

- ع -

عامور ٢٥، ٢٩

عجلون ١٠٦

عكا ١١٥، ١٨٩

العراق ٤١، ٤٧، ٦٢، ٧٩، ٢١٢

عراق العجم ٤٦، ٩٠، ٢١٢

عين جالوت (معركة) ١٠٧

- غ -

غزنه ٤٦، ٨٨

غزه ١٠٥، ١٠٦، ١١٥

- ف -

فارس ١٩١، ٢١٢

فاهلشتان ١٨٢

الفتاوى الهندية ٢٦٣، ٢٦٤

فرغانه ٢٢، ٢١٢، ٢٢٦

فرنسا ١٨٤، ١٨٩، ١٩٣

فلاديمير ١٨٣

فلسطين ١٠٢، ١٩٢

- ق -

قازان ٢٥٥

قره قورم ٩١، ١٨٣، ١٨٨، ١٩١، ٢١٢

قربان سيره ٢٤٣

القرم ٢٢٢، ٢٦٠

قزوين ٥١، ٥٣، ٢١٢

قسطنطينيه ٢٢٢

قطربُل ٧٢

قهستان ٩١

قوريلتاى (مجلس) ١٨٦، ٢١٣، ٢٣٦

القوقاز ١٨٤

قوس ٩١

قيليقه ١٠٤

- ك -

كابل ٤٦

كاشغر ٢١٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩

الكرخ ٦٥

كراكوف ١٨٢

كردكوه ٩١

الكرك ١٠٢

كرمان ٤٦

كرواتيا ١٨٢

كمبوديا ١٨٧

كنتارى ٢٦

كنتن ٢٥٦ ،
كيرولين (نهر) ٢٧ ، ٣٩
كيفا ١٠٢
كييف ١٨١

- ل -

لبنان ١٠٢
اللان ١٨٣
اللوق ٢١٤
لبنه سر ٩١
ليون ١٨٦
ليجنتر (مدينه) ١٨٢

- م -

الماجر ٢٢٢
مارين ١٠٤
مازندان ٨٥
ماوبالبغ (مدينةالبوس) ٨٨
المجر ١٨٢
مدينا ٢٥٦
مرو ٢٦ ، ٨٨ ، ٢٠٤
مصر ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨
المطيره ٧٢
المعره ١٠٥
مغالستان ٢٣٠
مقاص (منقاص) ١٨٣

مكة المكرمة ٣٤٧
منبج ١٠٤
منج (دولة) ٢٥٨
منشوريا ٢٠، ٢٤٠
منغوليا ١٦، ١٩، ٢٩، ١٨٦
موسكو ١٨٣
ميافارقين ٣١٨
ميمون دز ٩١، ٩٢

- ن -

نابلس ١٠٦
نابولي ١٩٢
نسا ٨٧
نصيبين ١٠٤
نيسابور ٨٨، ١٩٦

- هـ -

هرات ٤٦، ٨٨
الهند ٢٤٩

- و -

وقف (قرية) ٩٨
ويلز ١٩٣

- ى -

الياسا ٣٠، ٣٢، ٣٧، ٣٨
يونان ٢٥٧

خامسا : فهرس باسماء العشائر والشعوب

ـ ا ـ

أرلات (عشيرة) ٢٨

الاغوز (قبائل) ٢٠

اوبرات (قبائل) ٢٩

الاويغور (قبائل) ٢٢ ، ٢٤

ايكراس (عشيرة) ٢٨

الايلخانيين (قبائل) ٣٨

ـ ب ـ

بارين (عشيرة) ٢٧

باياوت (عشيرة) ٢٨

البراهمه ١٤٣

برجقين (قبيلة) ٢٧ ، ٢٨

بنو اسرائيل ٧٥ ، ١٤١ ، ١٩٧

بنو مخزوم ١٧٧

البويهيون ٤٧

بيرون (عشائر) ٢٧

ـ ت ـ

تايجيوت (عشائر) ٢٧ ، ٢٨

الترك (قبيلة) ٢١٢

التغزغز (قبائل) ٢٢

توركش (قبائل) ١٩

توكور ٢٩

تونغوزيه (قبائل) ١٩ ، ٢٤
التيتون (قبائل) ١٨٢

- ج -
جاجيرات (عشائر) ٢٧
جلائر (عشيره) ٢٨ ، ٢٩

- خ -
الخطا (قبائل) ٢٠ ، ٢٤
الخوارزميون ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٢

- د -
دربان (عشيره) ٢٨
دورلوكين (عشائر) ٢٨

- ز -
الزنج ٢٠٣

- س -
ساليجوت (عشيرة) ٢٧
سلاجقة ٢٢ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٢ ، ١٩٠

- ش -
الشامانيه ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٤
الشوفاش (قبائل) ٢٥٢
الشيريمس (قبيله) ٢٥٢

- غ -
الغز (قبائل) ٢٢
الغوريون ٤٥ ، ٤٦

- ف -

الفوتياك ٢٥٢

فورلاس ٢٨

- ق -

القارلون (قبائل) ٢٢

القبجاق (قبائل) ١٨٢، ٢١٢، ٢١٤

القراغول (حراس) ٢٣٦

القرامطه (فرقه) ٢٠٣

القرغيز (قبائل) ٢٠، ٢٤، ٢٥٣

القنقرات (عشائر) ٢٨، ٢٩

قره خيتاى (قبائل) ٢٤، ٤٦

- ك -

كتاكين (عشيره) ٢٧

الكرايت (قبائل) ٢٦، ٢٧

- م -

المانويه ٢٠

المركيت (قبائل) ٢٦، ٢٩

الملاحده ٥٣، ٩١

المنبوذين ١٤٣

- ن -

النايمان (قبيلة) ٢٧

النسطوريه ٢٠، ٢٦، ٢٧ و، ١٩٠

النصيريه ٦٥

- هـ -

هوى هوى ٢٥٦

- و -

ويرلاس (عشيره) ٢٧

سادساً : فهرس الانساب

	الاســــــــرة	الصفحة
١ .	ائمة الشيعة عامه والامامية خاصة (الاثنى عشريه)	٤٩
٢ .	ائمة الطائفة الإسماعيلية بين أئمة الشيعة وموقع النزاريه (الحشاشين) منها .	٦٤
٣ .	أُسرة جنكيز خان	٢١١
٤ .	المغول القبجاق (القبيلة الذهبية)	٢١٦
٥ .	المغول الجغتائيون	٢٢٥
٦ .	مغول فارس (الايلخانيون)	٢٣٢

الكتـــــــاب	المؤلـــــــف	الناشر والطبعة وسنة الطبـــع
– تاريخ مختصر الدول	لابن العبرى	المكتبة الشرقية بيروت ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م
– تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضـــر	للسيد /بدرالدين و.ل. جي	دار الإنشاء للطباعة والنشر طرابلس لبنان ١٩٧٤م
– تاريخ العراق بين احتلالين	للدكتور /عباس الغزاوى	طبع في مطبعة بغداد ١٣٥٣هـ ١٩٣٥م
– تفسير ابن كثيـــر	ابن كثيـــر	طبع بدار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه
– تفسير البيضاوى	لناصر الدين ابن الخير عبد الله بن عمر البيضاوى	الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م
– تفسير الكشاف	لابي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمي	طبعة دار الفكر بيروت
– تهذيب سيرة ابن هشام	لعبد السلام محمد هارون	دار البحوث العلمية ـ الكويت الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م
– الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية	للدكتور محمد صالح داود القـــزاز	مطبعة القضاء في النجف ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م
– جغرافية اليعقوبـــي		بمساعدة جامعة بغداد
– خصائص التصور الاسلامـــــي ومقوماتـه .	للشهيد سيد قطب	١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م
– الخـطـط	لتقي الدين احمد بن علي المقريـــزى	عن طبعة بولاق ١٢٧٠هـ

الكتاب	المؤلف	الناشر والطبعة وسنة الطبع
— دائرة المعارف الاسلامية	نقلها الى العربية : محمد ثابت الفندى ، احمد الشنتناوى ابراهيم زكي خورشيد ، عبد الحميد يونس .	١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م
— درس النكبة الثانية :	للدكتور يوسف القرضاوى	١٣٨٨هـ ١٩٦٨م
— الدعوة الاسلامية اصولها ووسائلها .	للدكتور احمد احمد علوش	دار الكتاب المصرى القاهرة
— الدعوة الاسلامية دعوة عالميه	للدكتور محمد الراوى	دار الطباعة للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت لبنان
— دول الاسلام	للحافظ شمس الدين ابن عبد الله محمد بن احمد عثمان بن قايماز التركماني الذهبي	طبع بمطبعة دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد ـ الدكن ١٣٦٤ هـ
— الديارات	لابن الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي / تحقيق كوركيس عواد	منشورات مكتبة المثنى ببغداد الطبعة الثانية ١٩٦٦ م
— الدين	للدكتور محمد عبد الله دراز	مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٨٩ - ١٩٦٩
— ديوان ابن الرومي	لابي الحسن علي ابن العباس بن جريج / تحقيق الدكتور حسين نصار .	مطبعة دار الكتب ١٩٧٤م

الكتاب	المؤلف	الناشر والطبعة وسنة الطبع
— ديوان حافظ ابراهيم	ضبطه وصححه وشرحه ورتبه/ احمد امين/ احمد الزين/ ابراهيم الابياري	الناشر محمد امين رمج بيروت ١٩٦٩م
— رحلة ابن بطوطه "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"		موسسة الرسالة
— رسائل الامام حسن البنا	للامام الشهيد حسن البنا	الناشر دار الكتاب العربي بمصر محمد حلمي المنياوى
— رسائل الجاحظ	لابي عثمان بن بحر الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون	الناشر مكتبة الخانجي بمصر الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م
— رياض الصالحين	لابن زكريا يحيى بن شرف النووى تحقيق رضوان محمد رضوان	دار الكتاب العربي/ بيروت ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م
— زاد المعاد في هدى خير العباد	لابن القيم الجوزيه حققه وخرج احاديثه وعلق عليه شعيب الارنؤوط عبد القادر الارنؤوط	مكتبة المنار الاسلامية الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م
— سيرة جلال الدين منكبرتي	لشهاب الدين محمد بن احمد بن علي النسوى تحقيق حافظ احمد حمدى	دار الفكر العربي القاهره ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م
— سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم)	لابن هشام - ابي محمد عبد الملك بن هشام راجع اصولها وضبط غريبها وعلق حواشيها ووضع فهارسها المرحوم الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد	دار الفكر ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م

الكتاب	المؤلف	الناشر والطبعة وسنة الطبع
الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي	لحافظ حمدى	دار الفكر العربي القاهره ١٩٥٠م
صبح الاعشى في صناعة الانشا	لاحمد بن علي بن احمد شهاب الدين لقلشندى	المؤسسة العامه المصريه للتأليف والنشر ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م
صحيح البخارى	للامام ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيره ابن د زبه البخارى الجعفي	دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٤٠١هـ ١٩٨١م
صحيح مسلم	للامام ابي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى بشرح النووى	دار الفكر بيروت لبنان / الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م
الطبقات الكبرى	لابن سعد	دار صادر للطباعة والنشر بيروت ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م
الظاهر بيبرس حضارة مصر في عصره	تاليف محمد جمال الدين سرور	مطبعة دار الكتب المصريه ١٩٣٨م
ظهر الاسلام	لاحمد امين	مكتبة النهضة المصريه الطبعة الخامسة
عقيدة المسلم	للشيخ محمد الغزالي	دار القلم دمشق بيروت الطبعة الثانيه ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م
العلاقات السياسية بين المماليك والمغول	للدكتور فايد حماد عاشور	دار المعارف بمصر
الفخرى في الاداب السلطانية والدول الاسلامية	لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا	دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٤٠٠هـ ١٨٩٠م

الكتاب	المؤلف	الناشر والطبعة وسنة الطبع
فتح الباری بشرح البخاری	للحافظ شهاب الدين ابن الفضل العسقلاني المعروف بابن حجر	مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٥هـ ١٩٥٩م
في ظلال القران	للشهيد سيد قطب	دار الشروق بيروت الطبعة الشرعية الرابعة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م
الكامل في التاريخ	تاليف الشيخ ابن الاثير	دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م
كتاب البلدان	لاحمد بن اسحق بن جعفر بن واضح اليعقوبي	المطبعة الحيدريه النجف
كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك	لتقي الدين احمد بن علي المقريزی قام بنشره محمد مصطفى زياده	مطبعة دار الكتب المصريه ١٩٣٦
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر	لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون	مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م
مختصر صحيح مسلم	للحافظ المنذری تحقيق محمد ناصر الدين الالباني	وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية احياء التراث الاسلامي .
المختصر في اخبار البشر	للملك المؤيد / عماد الدين اسماعيل ابي الفدا	دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان
مذكرات الدعوة والداعية	بقلم الامام الشهيد حسن البنا	الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م

الكتاب	المؤلف	الناشر والطبعة وسنة الطبع
مروج الذهب ومعادن الجوهر	للمسعودى	منشورات الجامعة اللبنانيه بيروت ١٩٦٦م
المسلمون تحت السيطرة الشيوعية	للاستاذ محمود شاكر	مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م
المسلمون في تركستان الصينيه والشرقية	للاستاذ محمود شاكر	مؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م
معجم البلدان	لشهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى تصحيح محمد امين الخانجي	مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٥هـ ١٩٠٧م
المعجم المفهرس لالفاظ القران الكريم	وضعه محمد فؤاد عبد الباقي	دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ ١٩٨١م
المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية	دار احياء التراث العربي بيروت لبنان
المغـــول	للدكتور / السيد الباز العريني	دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٩٦٧م
مغول ايران بين المسيحية والاسلام	للدكتور طه بدر	ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي
المغول في التاريخ	للدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد	مكتبة الشريف وسعيد رافت للطباعة والنشر ١٩٧٤م
مفاتيح الغيب	عمر بن عمر بن الحسن الفخر الرازى ابو عبد الله	المطبعة الحارة الشرقية القاهرة ١٣٠٨هـ ١٨٩٠م

الكتاب	المؤلف	الناشر والطبعة وسنة الطبع
المفردات في غيب القران	لابي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني تحقيق وضبط محمد سيد الكيلاني	دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان
مقد مه ابن خلد ون	لعبد الرحمن بن محمد بن خلد ون	الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م
مناهل العرفان في علوم القرآن	للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني	دار احياء التراث العربي بيروت لبنان
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة	لجمال الدين ابن المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكي	مطبعة دار الكتب المصريه الطبعة الاولى القاهرة ١٣٤٨هـ ١٩٢٩م
النظم الاسلامية نشأتها وتطورها	الدكتور صبحي الصالح	دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية
وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الاسلامي	الدكتور محمد ماهر حماده	مؤسسة الرسالة ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م

الموضـــــوع	الصفحـــــة
الفصل الثاني : هجوم المغول على المسلمين	٨٢ - ١١٩
المبحث الأول : القضاء على الدولة الخوارزمية	٨٢ - ٨٩
المبحث الثاني : القضاء على الطائفة الإسماعيليه	٩٠ - ٩٢
المبحث الثالث: سقوط الخلافة العباسية	٩٣ - ١٠١
المبحث الرابع: حروب المغول في بلاد الشام	١٠٢ - ١١٩
- معركة عين جالوت	١٠٧ - ١١٩
- العودة إلى الإسلام	١٠٧ - ١١٣
- موقف السلطان قطز	١١٣ - ١١٩
الباب الثانـي : الدعوة الإسلاميـة	١٢٠ - ١٨٠
الفصل الاول : تعريف الدعوة ونشأتها وامتدادها	١٢١ - ١٢٢
المبحث الاول : تعريف الدعوة	١٢١ - ١٢٢
المبحث الثاني : نشأة الدعوة وامتدادها	١٢٣ - ١٣٢
أولا : ضرورة الدعوة	١٢٣ - ١٢٤
ثانيا : وجوب تبليغ الدعوة	١٢٤ - ١٢٧
ثالثا : نشأة الدعوة وامتدادها	١٢٧ - ١٣٢
الفصل الثاني : خصائص الدعوة الاسلامية	١٣٣ - ١٤٨
المبحث الاول : الإسلام دين الفطرة	١٣٣ - ١٣٦
المبحث الثاني : الإسلام دين الحريه والمساوة	١٣٧ - ١٤٠
المبحث الثالث: عالمية الدعوة الإسلامية	١٤١ - ١٤٣
المبحث الرابع: الإسلام دين العقل والفكر	١٤٤ - ١٤٥
المبحث الخامس: الإسلام دين الشمول	١٤٦ - ١٤٨

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث: أساليب الدعوة الاسلامية ووسائلها	١٤٩ - ١٧٥
المبحث الاول : تعريف أساليب الدعوة الاسلامية ووسائلها .	١٤٩ - ١٥٠
أولا : تعريف الأسلوب	١٤٩
ثانيا : تعريف الوسيلة	١٤٩ - ١٥٠
المبحث الثاني : اساليب الدعوة الاسلامية	١٥٠ - ١٥٧
أولا : تحديد الداء ووصف الدواء	١٥٠ - ١٥٢
ثانيا : ازالة الشبهات	١٥٢ - ١٥٦
ثالثا : الترغيب والترهيب	١٥٦ - ١٥٧
المبحث الثالث: وسائل الدعوة الاسلامية	١٥٨ - ١٧٥
اولا : القرآن الكريم	١٥٨ - ١٦٧
ثانيا : السنة النبوية	١٦٨ - ١٧٠
ثالثا : الداعية	١٧١ - ١٧٥
الفصل الرابع : الدعوة الإسلامية والجهاد	١٧٦ - ١٨٠
أولا : تقرير المبدأ	١٧٧ - ١٧٨
ثانيا : في أول الهجرة	١٧٨ - ١٧٩
ثالثا : مرحلة قتال المشركين عامه	١٧٩ - ١٨٠
الباب الثالث : المغول يدخلون الإسلام	١٨١ - ٢٦٨
الفصل الاول : عداء المغول والنصارى للإسلام	١٨١ - ٢٠١
تمهيد	١٨١ - ١٨٥
المبحث الأول : النصارى يحاولون تنصير المغول ويسلطونهم على المسلمين	١٨٦ - ١٩٥

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني : اضطهاد المغول للمسلمين	١٩٦ - ٢٠١
الفصل الثاني : توجيه الدعوة الإسلامية إلى المغول-	٢٠٢ - ٢٤٩
تمهيد	٢٠٢ - ٢٠٥
المبحث الاول : من الذين حملوا الدعوة الإسلامية الى المغول ؟ .	٢٠٦ -
المبحث الثاني : انتشار الإسلام بين المغول القبجاق (القبيلة الذهبية)	٢١٢ - ٢١٦
المبحث الثالث: أعمال ملوك هذه القبيلة لخدمة الإسلام	٢١٧ - ٢٢٤
أولا : بركه خان	٢١٧ - ٢٢٠
ثانيا : منكوتمر	٢٢١ - ٢٢٢
ثالثا : محمد أزبك	٢٢٢ - ٢٢٤
المبحث الرابع : انتشار الإسلام بين المغول الجغتائيين	٢٢٦ - ٢٣١
- تغلق تيمور خان	٢٢٧ - ٢٣١
المبحث الخامس : الملوك الذين أسلموا من مغول إيران وما قدموه للاسلام	٢٣٣ - ٢٤٩
اولا : أحمد تكودار	٢٣٣ - ٢٤١
ثانيا : محمود غازان	٢٤٢ - ٢٤٧
ثالثا : محمد خدابنده	٢٤٨ - ٢٤٩
الفصل الثالث:- المغول يحملون الاسلام لمن حولهم -	٢٥٠ - ٢٦٤
المبحث الاول : حملهم للدعوة في أوروبا وسيبيريا	٢٥٠ - ٢٥٥
أولا : حملهم للدعوة في جنوب روسيا	٢٥٠ - ٢٥٣
ثانيا : حملهم للدعوة الإسلامية في سيبيريا	٢٥٤ - ٢٥٤
المبحث الثاني : أثر المغول على الإسلام والمسلمين في الصين والهند	٢٥٦ - ٢٦٤

